صلاح الدين أبو العنين
المحامي

الله والكون

من نور الله وبيان الرسول
وبفقه الدليل العلمي

١٩٨٣

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

دعـــاء واهــــداء

ربنـــا جـــلّ جـــلالك وعظم شـــأنك وقـــد الهمتنى « الله والـــكون » فى آفاق الســـماوات والأرض .

ادعــــــوك :

أن تتقبله بقبول حسن ، وأن تحفظـــه من الشـــيطان الرجـــيم .

وأن تدخـــله قـــلوب النـــــاس ، كل النـــــاس ، لا فرق بين هــــذا وذاك ، نورا عظيما ، حتى يروا بعض آياتك فى الآفاق ، ويتبين لهم أنك سبحانك الحق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احـــد وهو على كل شىء قدير . ((**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه**)) ، صاحب المشيئة كلها فهو الغالب على امره ، وجعل لكل شىء نهاية فهو القــاهر فوق عباده ، وخلق كل شىء و ((**ليس كمثله شىء**)) ، وملك يوم الدين .

والله جل جلاله وملائكته يصلون على النبى ، اللهم صلى على سيدنا محمد عبد الله ورسوله وفيض رحمته للعالمين وسلم تسليما كثيرا .

والله جل جلاله وملائكته يصلون على المؤمنين ، من فيض رحمة العلى العظيم بهم ((**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور**)) .

اما بعـــــد ..

فقد جاء هذا الكتاب ((**الله والكون**)) بعون الله تبارك وتعالى من نبع الرحمن وبتوفيق ربى وهداه ، ونوره سبحانه بعد اشراقة رضاه ، وبيان الهدى النبوى لمصطفاه ، دون اللجوء الى اية اقوال اخرى مهما كان بريقها ، لأن بعد قول الرحمن وبيان رسوله لا يوجد نور لسواه .

ونور رب العالمين ، ليس له من نهاية الا مظنة و ((**ان الظن لا يغنى من الحق شيئا**)) يونس ٣٦ . لذلك فمن البداية اقرر ان هـــذا الكتاب ليس الا محاولة لسبر غور نور رب العالمين فى بعض آياته فى الآفاق ، مؤيدا ببيان رسوله الكريم سالكا طريق الهداية المحمدية وعلى هدى الصراط المستقيم .

ولأن القرآن العظيم ؛ قد تضمن — فيما تضمن — حقائق علوم الآفاق — السماوات والأرض — والانســـان .

ولأن الله جل جلاله انزل القرآن بعلمه على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم وكلفه البيان « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » وأمر الناس بالتفكير الكثير فيه « **ولعلهم يتفكرون** » النحل ٤٤ .

فان هذا الكتاب قد استمد نوره وهداه ، دليله وبرهانه ، من القرآن العظيم وسنة رسول الله و « **من يطع الرسول فقد اطاع الله** » النساء ٨٠ .

ولأن قول الله هو الحق « **والله يقول الحق وهو يهدى السبيل** » .

فان كل ما يخالف كتاب الله باطل وفاسد « **فماذا بعد الحق الا الضلال** » يونس ٣٢ .

لهذا ، جاء هذا الكتاب مبينا منورا لحقائق « الكون » بالبرهان الالهى ، الحجة البالغة ، التى تستمد يقينها من الله الخالق العظيم ، كما تستمد دليلها من كل ما خلق الله من مادة ومن علم « **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** » ذلك بأنه ليس لدى النـــاس علم الا ما آتاهم الله من علمه « **قل هــل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين** » الانعام ١٤٨ ، ١٤٩ .

ولذلك ، فلا سبيل الى وصف ما يدعون من علم الا بالكذب لأنه مبنى على الظن اى على الاعتقاد والاحتمال والشـــك ، ولا يؤدى الا الى باطل لأن ما بنى على الباطل لا يؤدى الا الى باطل .

أما ما نراه من أدوات وآلات وغـــيرها من حاجات هـــذه الدنيا ، فهى من « الأسماء » والله سبحانه علم آدم — مؤمن وكافر — الأسماء كلها . ومن ثم فلا صلة لهـــا بهذا الكتاب .

ومن قبل ومن بعد ، فلا سبيل للطعن فى كتاب الله وما فيـــه من علم وهدى وحكم ولا فى بيان رسول الله .

ذلك بأنه لما لم يجد أعداء الاسلام وسيلة للنيل من هذا الدين القيم ، ومن قلوب المؤمنين التى أطبقت على نور ربها لا تحيد ، فقد لجأوا بكل الخبث والرجس معا الى تعلم اللغة العربية حتى يستطيعوا أن يفهموا القـــرآن

ثم يدسوا عليه من نجسهم ويلووا به السنتهم لتلتوى به السنة المسلمين من بعدهم كيدا فى الاسلام والمسلمين ، فما استطاعوا الا اذى ، فقالوا ، بعـد ان سموا انفسهم بالمستشرقين ، ان الدين « عقيـدة » فتبعهم كثير من الناس بحسن النية ، غير محتسبين ما فيها من خبث ودنس ، ذلك بأن « العقيدة » أسم الفعـل « أعتقد » « يعتقـد » أى يفكر بظن واحتمال ، فان كان الظن الغالب الترجيح كان الاعتقاد هو الغالب ، وان كان الظن مرجوحا كان الاعتقاد فى الرأى هو المغلوب ؛ فالاعتقاد ظن يعبر عن الاحتمال فى الراى ، ومعلوم أن الاحتمال يزيل اليقين . وليس من صـلة بين كلمة « عقيدة » و « عقـد » ، فالعقد رابطـة بين طرفين عن حل وبمقابل . اما العقيدة فتعبير عن زعزعة رأى لم يستقر بعد ...

لذلك أطلق المستشرقون هذه الكلمة الاحتمالية عنوانا على الدين ، حتى يخرجوا بالمسلمين من اليقين بالله وكتبه ورسله الى الاحتمال والظن ، فيهتز فى قلوب الناس ايمانهم ، ويتشكك فيه فكرهم ... لأن وظيفة اللفظ نقل المعنى الى الوجدان والعقل ...

ولأن الله جل شأنه عليم بغيب السماوات والأرض ، فقد أثبت سبحانه فى أول سطر من القرآن العظيم ما يدحض هذا الافك الذى يضعونه عنوانا على الكتاب ، فقال جـل جـلاله : **« الـم ، ذلك الكتاب لا ريب فيـه »** أى لا شك فيه أى لا ظن فيه أى لا احتمال فيه . ولكنه اليقين فقال سبحانه بيانا للكتاب : **« والذين يؤمنون بما انزل اليـك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »** البقرة ٤ .

لذلك وصم الله الذين يتبعون الظن والاحتمال والاعتقـاد بالكذب ، لأن الله لا يستحى من الحق ، فقال تعـالى : **« ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون »** يونس ٦٦ ، أى يكذبون ...

ولهـذا ، نجـد أن كلمة « عقيـدة » لا وجود لها فى القرآن العظيم ولا فى السنة النبوية الشريفة ، لا هى ولا تصريفها ، ولا فعلها « أعتقد » ولا تصريفه ولا تصرفه ، وكلمة « عقيدة » هى اسم الفعل « اعتقد » أما اسم الفعل « عقد يعقد » فهو « عقدة » فقال تعالى : **« عقدة النكاح »** البقرة ٢٣٥ ،

٢٣٧ ، وقوله تعالى : **« واحلل عقـــدة من لسانى »** طه ٣٧ ، مما يفيد ربط شىء بشىء كما هو شأن العقد من ربط طرفيه كل بالتزاماته .

ومن ثم فان الخلط بين « العقيدة » وهى تعبير عن نوعية لفكر بالظن والاحتمال ، وبين « العقد » وهو ربط طرفين بالتزاماتهما ؛ باطل وتطويع لباطل . فلا صلة اطلاقا بين مادتى الكلمتين .

وثمة قصـــد سيىء آخر وضعه المستشرقون وغيرهم من الملاحـــدة ومن تبعهم من الذين يؤثرون الدنيـــا على الآخـــرة ، ذلك بأن الثـــابت أن « الاسلام » دين ودولة ، وانه بهذه المثابة ، اهدر اعظم امبراطوريتين حين بزوغه ، فقوض عرش الأكاسرة فى مشرق الأرض وعرش القيـــاصرة فى مغربها ، وامتد الى الصين فى أقصى الشرق والى المغرب فى أقصى الغرب ، وصعد شمالا حتى جنوب فرنسا وتغشى دول البلقان فى المشرق الأوروبى ، فأراد المشركون نزع قوة هذا الدين فعملوا على أن ينزعوا منه أسباب قوته وثباته وعظمته ، فادعوا كذبا أن الدين هو العبادات من صلاة وصوم وحج، وكرسوا دعاواهم بالتشجيع على اقامة المســـاجد ونبذ بقية احكام الدين واعظمها الجهـــاد فى سبيل الله .

بهذا الفرق بين المعنيين ، زرع المشركون والذين وجـــدوا فى نجسهم مصلحة شخصية لهم كلمة عقيدة فى عناوين الكتب الاسلامية ، وفى السنة كثير من الناس ، وعند قولهم فى مضمون الدين، وطلاب الدنيا أكثر من الذين يسعون للآخرة ، فكثر القول بغير حق ، ومن هنا ظهرت الفتن ...

ذلك بأن حقيقـــة معنى « الدين » فى الاســـــلام هو « الحـــكم » و **« ان الدين عند الله الاسلام »** آل عمران ١٩ ، ذلك وان تعددت استعمالات الكلمة ، فالدين عبادة وحكم وشريعة وهدى ونور واخلاق وسلوك وشورى وسياسة وعلوم السماوات والأرض والانسان ، وحساب وجزاء ، والدين بهـــذه المعـــانى كلها يتبلور فى **« الطاعـــة لله والرســـول »** اى فى معنى **« ان الحكم الا لله »**(١) . **« فاقم وجهك للدين حنيفـــا ، فطرت الله التى فطر**

---

(١) عرف الامام أبو حنيفة « الدين » بأنه الحكم (كتاب أبو حنيفة) =

الناس عليهـا ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر النـاس لا يعلمون » الروم ٣٠ .

ومن هنا ، فان « الاسلام » أى الطاعة لله مطلقا بتنفيذ ما جاء به القرآن وبينه الرسول ، هو مضمون الدين أى حكم الله .

واذا علمنا ذلك ، وجدناه جليـا واضحا ، فالقرآن العظيم يحـوى نحو ٣٦٨ آية كريمة تحكم العبادات وما يلحق بها من أحكام الجهاد فى سبيل الله وأحكام الأحـوال الشخصية وأحكام المعاملات والمرافعـات والأحكام الجنائية والدستورية والدولية والمالية(١) كما جاءت السنة النبوية الشريفة بنحـو ٤٥٠٠ حـديث — كما أخرج ابن القيم الجوزية — كلها اما مبينـة لما فى القرآن من أحكام أو مفسرة والقليل منها منشىء(٢) .

لهذا ، فان « الاسلام » ليس اذعانا وانقيادا بالعبادات فقط ، ولكنه دين ودولة أى عبادات وأحكام وعلوم وهدى وأخلاق أى كل ما يقوم به الفرد ويقومه وكل ما تقوم به الدولة ويقومها كذلك .

فهو ايمان يقين بالله جل جلاله والملائكة والكتاب والنبيين واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وطاعة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ بعبادة رب العالمين والحكم بما أنزله على رسوله الكريم والتخلق بخلقـه العظيم ، والاهتداء بنور هديه فى القرآن الكريم . ذلك بأن القرآن هو كتاب الاسلام هو النبع الالهى ، كلى الشريعـة ، كلى الحقائق العلمية ، كلى

= للشيخ محمد أبو زهرة /١٦٩ ، وكتاب (تاريخ النظم القانونية والاجتماعية) للدكتور محمد بدر الأستاذ بحقوق عين شمس /٤٨٤ — ٥٠٨ وبه استعراض تاريخى منذ قدامى علماء الغرب وعلماء المسلمين وحتى الآن . وقد تمخض البحث عن أن « الدين » هو الحكم . ويرى الامام محمد بن جرير الطبرى أن الدين هو الطاعة مطلقا لله . وهو بهذه المثابة يعنى « الحكم » .

(١) كتاب (علم أصول الفقه) للشيخ عبد الوهاب خلاف /٣٠ ، ٣١ .

(٢) كتاب (خلاصة تاريخ التشريع الاسـلامى) للشـيخ عبد الوهاب خـلاف /٢٧٨ .

الهداية ، كلى النور ، نزل بعلمه سبحانه برهانا لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعله برهان ربه ، فحق أن يكون التفكر من فيض نعمه ونور اشراقاته حسما لكل فكر وبترا لكل باطل ، وارساء للحق .

ولما كان علماء التفسير أصحاب فضل على العالمين ومصابيح تهدى ، فلهم منا الدعاء أن يجزيهم ربهم أعظم المثوبة .

والعلوم تقدمت ، فأخرجت كثيرا من ظلمات الغيب الى نور البيان والوضوح ، وبالتالى لم يعد من الممكن تفسير كلمة « ذرة » بأنها النملة الصغيرة أو الأخف من حبة الخردل . كما لم يعد من المقبول تفسير « الأفق الأعلى » بأنه أفق الشمس مع الأرض مع أنه تحت مستوى نظر الانسان . ولم يعد صحيحا تفسير « نور السماوات والأرض » بأنه نور الشمس والقمر وقد ثبت علميا وبالدليل المادى أن الشمس والقمر تضيئان الأرض فقط ... وليس لهما من أثر فى السماء الدنيا ومن ثم فى باقى السماوات .. الى آخر الأمثلة التى يطول شرحها .

لذلك ، ومع الاعتراف بفضل تفاسير علمائنا الأجلاء الأعلام أمثال محمد بن جرير الطبرى والقرطبى وابن كثير والجلالين وغيرهم الذين أثروا الفكر والعلوم الاسلامية على مدى قرون كثيرة وكانوا وسيظلون مشاعل عظيمة على الطريق ، ولأنهم لم يعيشوا عصور البخار والكهرباء والذرة وقنابل النيترون وتأيين الضوء .

فان التفاسير القرآنية التى بين أيدينا لأولئك السلف الصالح ، انما تهدى أساسا فى بيان المعانى اللغوية والبلاغية والفقهية والتشريعية وتاريخ السيرة النبوية والدعوة الاسلامية واخراج الأحاديث النبوية الشريفة ، مما يبين كثير من الحقائق العلمية كما سنرى فى هذا الكتاب باذن الله ، متفقة فى ذلك مع الواقع العلمى الحديث الثابت يقينا .

ومن هنا وجب علينا أن ندرك ، أن تفكرا جديدا ومتأنيا للحقائق القرآنية فى الآفاق وفى الانسان يجب أن يقوم به علماء المسلمين ، بيانا لاعجاز القرآن ونورا يزيد الذين آمنوا ايمانا ويهدى الناس للاسلام عن بينة ،

وهو ما بذلنا — على قدر الطاقة — فى بيان حقيقة خلق السماوات والأرض وحقيقة نظام الكون وطبيعته وحركة أجرامه . جاعلين من هـذا الكتاب — بمشيئة الله وتوفيقه — تمهيدا للكتابين القادمين « الايمان» و « الرسول ».

ونخلص من ذلك الى أن أساس هذا الكتاب **« الله والكون »** بعون الله :

أولا : أن ما ورد فى القرآن العظيم هو الحق والحقيقـة : **« وبالحق انزلناه وبالحق نزل »** .

ثانيـا : ان أى شىء يخالف القرآن باطل وفاسد وكذب .

ثالثـا : لا علم لأحد لغير علم الله الذى نزله لنا وعلمه لنا .

رابعـا : ان كل شىء — والعلوم من الأشـياء — موجود فى القـرآن : **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء »** .

خامسـا : ان القرآن بين ووضح حقيقة كل شىء : **« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء »** .

سادسا : ان الحقيقة هو ما عرفت بدليلها القرآنى . ولأن الانسان مخلوق من مادة وروح ، ولأن القرآن روح ، فان الله سبحانه جعـل لكل حقيقة — فضلا عن أدلتها القرآنية — أدلة مادية ويقينية ؛ حتى يعذر الانسان .

وأشـهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله . والله يهـدى الى سـواء السبيل .

المؤلف
صلاح الدين ابو العنين
المحامى

القاهرة — مدينة نصر فى ٢٧ شعبان ١٤٠٢ هجرية قمرية .

١٩ حزيران ١٩٨٢ مصرية شمسية .



الباب الأول

المعرفة

الفصل الأول

حقيقة المعرفة

بدات المعرفة منذ وجد الانسان على الأرض ، ومهما قيل فى كيف هذا الانسان ؛ فان طبيعة قدرته فى خلقه تنبىء بقدرته على السمع والرؤية والادراك والفهم والتحوط والتربص والتدبر والعزم .

وقد اخبرنا الله العظيم فى قرآنه ان آدم عليه السلام : **((نسى ولم نجد له عزما))** طه ١١٥ ، وآدم هو أول الخلق ، وعليه فان من كان منه ، فانه ينهج النهج الذى يحيا به وبالتالى يدبر به شئونه وحاجاته ومن معه .

والمعرفة وان بدات بهذه البساطة ، فانها مع مزيد من تشابك الحياة ، تتشابك ثم تتعقد ، وبالتالى تكون التفريعات والتصنيفات المختلفة ومن ثم العلوم بأنواعها .

ومنذ نيف واربعة آلاف عام ، ومفكروا الاغريق يتكلمون فى البحث عن الوجود وكيف نشأ والانسان وما هى بدايته والخالق وما هى صفاته ، ولمزيد من تخطيط هذه المباحث العميقة المتأنية فانهم قالوا بضرورة وضع معالم لمعرفة هذه المباحث وسبر غورها .

ومن هنا نشأت لدى الفلاسفة « **نظرية المعرفة أو الأبستمولوجيا** » واصبحت اساسا لمباحث الفلسفة ، ويرى ارسطو فى كتابه « ما بعد الطبيعة » أنه لكى تعرف الحقيقة فلابد من أن تفسر بعللها[1] .

ونظرية المعرفة ، كما يفهم من اسمها على صلة بعلم المنطق لانه علم الفكر ، كما انها على صلة بعلم النفس لأنها تخوض فى أعماق النفس الانسانية لتعلم كيف يفكر ليعرف وبأى وسيلة يعرف ما يريد الوصول اليه .

---

(١) « تراث الانسانية » المجلد الثانى /٥٢٤ وما بعدها .

ونظرية المعرفة — فى واقع الأمر — أوسع وأشمل من كل من المنطق وعلم النفس ، لأنها تتناول بوجه عام بحث طبيعة العلاقة التى تنشأ بعد الوعى والوجود وفاعليته فى حادثة التعرف وفيما ينتج عنها من معارف .

ولما كان ذلك ، فان أى بحث هام عن الوجود وصلته بالوعى الانسانى ، يجب أن يسبر غور حقيقة المعرفة وبيان أجهزتها حتى يسير قدما مطمئنا الى استنباط الأدلة الصادقة .

والمعرفة قامت علي أساليب مختلفة ، أهمها أسلوب الشك المذهبى ومعناه التوقف عن اصـــدار أى حكم لعدم الثقة فى كفاءة وسائل الادراك لدينا . وبالتالى فالانسان عاجز عن التوصل الى حقائق الأمور . وهـــذا المذهب يضع الانسان فى حالة غير مستقرة ولا محددة ولا ينبىء بأنه سيصل الى معرفة محددة فى القريب أو البعيد . لذلك ظهر أسلوب الشك المنهجى الذى يفرض على الباحث عدم التأثر بالمؤثرات الخارجية عن مجال بحثه ، ثم أسلوب الشك الدينى الذى يتضمن عدم الاعتقاد فى الديانات ، وواضح أن هذا الأسلوب متقدم عن الأسلوب الأول ، لأنه يضع من الشك وسيلة للوصول وليس سمة للفكر كله وعنوانا على أى واقع ولو كان مجزوما به .

ولما كانت « المعرفة » كحقيقة هى مزيج من العقل والتجربة ، فان فكرة أو أسلوب « الشـــك المنهجى » قد فرض نفسه تقريبا على المفـــكرين ، ذلك بأن المفكر بهذا الأسلوب يبدأ بالشك كمرحلة مؤقتة لينتهى باليقين ، لذلك فقد فرض هـــذا الأسلوب نفسه على أهم المفـــكرين مثل ســـقراط الذى يعتبر نموذجا لمن أخذ بهذا الأسلوب فى المجال الفلسفى ومن بعـــده أفلاطون كأبرز العقليين بنظريته فى « المثل » واعلانه عن قيمة التفكير الرياضى والبرهنة الرياضية ، وكذلك أرسطو الذى فرق بين الشك المنهجى والشك المطلق وأيد المنهجى وان نزع الى العقلية النقدية التى تبعه فيهـــا حديثا الفيلسوف الألمانى « كانط » .

واذا كان هذا خارج الفكر الاســـــلامى ، فان الامام الغزالى المتوفى ٥٠٥ هجرية قد طرق هذا الأســـلوب فى كتابه « المنقذ من الضلال » حيث قال من لم يشك لم يبحث ولا يصل الى اليقين . والثانى كنموذج لأســـلوب

الشك المنهجى بين مفكرى المسلمين ، هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ حيث يقرر ان العالم اوسـع من أن يحيط به عقلنا ؟ ويجب على المفكر أن يستفيد بجميع التجارب الانسانية . لذلك فقد وضـع ابن خلدون قواعد لاسلوب الشك والتمحيص حتى يستقيم به التفكير فقال بعدم الجرى وراء الآراء ووجوب فحصها وكذا التيقن من الناقلين والاحتراز من توهم الصدق ثقة بالناقلين .

وظهر فى اوروبا « ديكارت » عالما مفكرا يأخذ باسلوب الشك المنهجى ويؤصله فى كتابه « المثال فى المنهج » ويدعو للشـك فى كل شىء ولو لمرة واحدة حتى يعود الى سلامةالفطرة .

والشك المنهجى كاسلوب يعتمد على العقل ، الا أن ديكارت يقـرر أن « الوحى » يعلو على مستوى العقل ، ومن ذلك نرى تأثر « ديكارت » واضـحا بالامام الغزالى . ذلك بأن العقلانيـة فى الفلسـفة وكما يقول « سبينوزا » مذهب يعتد بالعقل مقياسا للوحى ويرفض ما لا يقبله أى أنه يخضع « الوحى » للعقل بعكس ديكارت تأثرا منه بالغزالى رضى الله تعالى عنـه الذى يؤمن بالوحى فوق العقل من منطلق ايمانه بالله وبالرسـالة المحمـدية .

لذلك نجد ان العقلانية كمذهب واسـلوب تقابل المذهب التجريبى الحسى ، وبالتالى ترفض الروحيـة القائلة بالمذهب الحدسى أى الوحى المباشر كطريق مستقل للمعرفة .

واذا كان تلاميذ ديكارت قد اضافوا الى العقلية والحدسية (الوحى بمعنى الالهام) اللذين اتخذهما ديكارت سـبيلا لمذهج المعرفة ؛ التجريبية الحسية ؛ فان المذهب التجريبى أو الحسى الذى نادىبه المفكر الانجليزى « جون لوك » (١٧٠٤) جعل من التجربة الوسـيلة الوحيدة للمعرفة ؛ ورفض أى معرفة سابقة على التجربة وانكر وجود العقـل ، وقال ان التجربة هى منبع المعرفة ؛ فهى والحواس الطريق الوحيـد لكل علم ، واعتبر المعرفة العقليـة مجرد صدى للادراكات والخبرة الحسية ولكنها تتوارث وتنتقل من جيل لآخر حتى تبدو كما لو كانت فطرية . لذلك فعنـد

هؤلاء ان الاحكام العقلية تتغـــير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف الظروف والأحوال . وتوضيحا لهذا المذهب فقد قال جون لوك بأن الادراكات اما حسية واما تأملية كفكرة « العلة » و « الجوهر » . ولا شك أن هـذا المذهب ما زال يسيطر على تفكير كثير من البشر الذين يؤمنون بالمـادية كمذهب فلسفى يعلل الوجود ككل او يعللهم ويتجاهل الوجود .

ومع هذا فقد ظهر فيلسوف فرنسى فى النصف الأول من هذا القرن العشرين هو هنرى برجسون (١٩٤١) وقال بأن العقل وان كان يجـول ويصول فى ميدان المادة والتجربة وهو ميدان العلم فانه لا يستطيع ذلك فى ميدان النفس اى باطنها وهو ميدان الحياة ، والحدس (الالهام) عنده هو نوع من الادراك المباشر لمجرى شـعورنا الداخلى وحياتنا الباطنيـة وهو وحده الذى يسـتطيع أن ينفذ اليها ، وأن هناك حدس حسى كالمشـاهدة للأشياء ، وحدس رياضى وهو الرؤية العقلية للحقائق الرياضية حتى تبلغ حـد اليقين ، وحدس منطقى الذى يعنى سرعة الانتقال من المقـدمات الى النتائج كما يقول المناطقة العرب .

وكما هو ظاهر من كلام برجسون فان تفسيره لمظاهر او انواع الحدس عنده ، فقد أشرك العقل معه سواء فيما أسماه بالحدس الحسى أو الرياضى او المنطقى ؛ ومن ثم فهو لا يختلف كثيرا عن ديكارت وعمن اخذ الاثنان منه وهو الامام ابى حامدالغزالى . مما يعطى فكرة عن تأثير الفكر الاســلامى بأصالة فى الفكر الأوروبى ومن ثم العالمى .

والمعرفة فى الفكر الاســلامى اما ظاهرية أى مرتبطة بظاهر النص وبقواعد منضبطة لتفسيرها بطريقة منطقيـة عقليـة مؤسسة على قاعدة اصولية هى أن كل ما يتصل بقواعد الدين انما يرتكز أساسا على أصول الدين المقررة فى الكتاب والسنة ، وان ما عدا أصول الدين فللفكر أن ينطلق ما شاء له أن ينطلق فى اطار التاويل السليم لآيات الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسـلم .

واما أن تكون معرفة حقيقية وهى ما يسمى بالمعرفة الحدسـية فى التصوف الاسلامي ، وهي المعرفة التى تصل الى الحقائق « بالبصيرة » أو

« الحدس » أى الالهام وأن هذا خاضـــع للفضـــل الالهى قبل كل شىء ثم بمجاهدة النفس للتغلب على ما بها من شوائب وحتى تشف نفســـه لما بها من ربوبية لقوله تعالى : ((**قل الروح من أمر ربى**)) فالاشتغال بالعبادات والمواظبة عليها ((**والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون**)) **فانه يقهر ما لا ينبغى .**

ويقول الامام الغزالى لبيان معنى الالهام (اعلم أن للقلب بابين باب ينفذ الى عوالم الحواس وباب ينفذ الى عالم الغيب ويعرف صدق هـــذا القـــول بالتأمل فى النوم فانك ترى فيه من العجائب ويظهـــر لك الغيب وما سيكون بعد بمدة مديدة وفى اليقظة انما يفتح ذلك الباب للأنبياء والأولياء وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى وأقبل بالكلية عليه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « سبق المفردون . قيل ومن هم يا رســـــول الله قال : المجتهدون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيـــامة خفافا ثم قال فى وصـــفهم اقبل عليهم بوجهى أترى أن من واجهتـــه وجهى يعلم احد اى شىء اريد ان اعطيه . ثم قال عليه الصلاة والســـلام : أول ما اعطيهم أن اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهـــم » فاذا مدخل هذا كله هو الباب الداخل من القلب الذى ينفذ الى عالم الغيب وهو عالم الاله) ثم قال فى الفرق بين التعلم وحال الصوفية (فما ينكشف للعلماء ينكشف لهم — أى للصوفية — بزيادة بريق ووراء ما يحصـــله العلماء ينكشف لهم أمور لا يتصور الوصول اليها بتكلف العلم واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب البشر » وقوله « أيعلم احـــد اذا واجهتـــه بوجهى اى شىء أريد أن أعطيه » وذلك هو الحيـــاة المرادة بقوله تعالى : ((**اذا دعاكم لما يحييكم**)) الأنفال ٢٤ .. الى أن يقول الامام الغـــزالى : فايمان النـــاس كالسرج والشـــموع وايمان الأولياء كنور القمـــر والنجـــوم وايمان الأنبياء كنور الشمس . وللدلالة على صحة طريق الصوفية يقول قال أبو الدرداء المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق فوالله ان للحق قولا يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه

على السنتهم وقال عليه الصلاة والسلام « ان من أمتى محــدثين ومكلمين وان عمر منهم ») .(١)

ويقول الصوفية فى بيان للربط بين الالهام والفـــكر وكلما زيد نور القلب ، اطفىء نورالرأس ، حتى اذا اســتكمل نور القلب عاد نورالرأس ساطعا وهاجا » .

يخلص من هذا أن حقيقة المعرفة عند الصوفية ليست فى الظاهــر وانما هى وراء ســـتر تكشــف لمن نور الله قلبه بالايمان وغمره بفيضه واشراقاته فيلهم بالحقيقة ساطعة كضوء الشمس بغير حاجة الى مجاهدة علمية ، ويشير الى ذلك قوله تعالى جل شــأنه ((**والذين جاهدوا فينــا لنهدينهم سبلنا**)) .

ولكن اذا ادركنا أن السبيل الذى رسمه رب العالمين فى كتابه سبيلا للمعرفة هو فى قوله تعالى : ((**ومن الناس من يجادل فى الله بغير عــلم ولا هدى ولا كتاب منير** » الحج ، لتبين لنا ان العـــلم بكل صــنوفه وفروعه مطلوب مع الهدى ودراسة القرآن العظيم ، فاذا ما حصل هذا ، فلا شك أن الحقائق التى تنكشف للمؤمن أو يلهم بها المؤمن ستكون حقائق علميــة باهرة وبراهين تؤدى الى تقدم الانســـانية بنور رب العالمين . ذلك بأن المعرفة انما هى للحصول على العلم ثم تأصيله ، والعلم مسند الى العــالم والعــالم هو الذى يعلم ما بينه ربنا العظيم فى أصول الجدال فى كلامه . والله جل شأنه يذكر ((**والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عنــد ربنا ..**)) آل عمران ٧ ويذكر ((**انما يخشى الله من عباده العلماء**)) وقــوله تعالى ((**يرفع الله الذين آمنــوا منــكم والذين أوتوا العــلم درجات**)) المجادلة ١١ .

اذا فالعلم هو الأساس تليه الهداية ثم دراسة كتاب الله العظيم فهو

---

(١) « مختصر احياء علوم الدين » للامام الغزالى ١٥٢ — ١٥٤ .

النور الربانى الذى انزل بعلم الله من لدن حكيم خبير وفيه العلم كله أى فيه الحقائق كلها وليس الظواهر فقط . فالظواهر للعامة والحقائق للعلماء .

وتدليلا على ذلك ، فان الله سبحانه وتعالى يشهد بأن العلماء يعرفون حقيقة الأحدية الالهية وهى أعظم الحقائق وأقيمها وأعمقها فيقول سبحانه جل شأنه ((**شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم**)) آل عمران ١٨ .

لهذا ، فان المجاهدة النفسية وتحصيل العلم ودراسة القرآن الكريم مع الهداية الربانية واشراقات القرآن لابد وأن تؤدى الى حقيقة المعرفة .

الفصل الثانى

جهـــاز المعـــرفة

مما تقدم نرى أن جهاز المعرفة أو ادوات المعرفة لدى المفكرين هى اما العقل فقط أو العقل والحواس أو الحواس فقط أو الالهام فقط أو العقل والالهام . أى هذه الأجهزة على اختلاف مذاهبهم محصورة فى العقـــــل والحواس والالهام .

ولم يبين علماء الفكر والفلسفة فى أوروبا أو غيرها موطن العقــل ، وانما أطلقوه اسما بغير اشارة اليه . اما الحواس فهى معروفة . والالهام أمر خفى يأتى من خارج الانسان . واذا كان ديكارت قد اعترف صراحة بأن الوحى نور العقل ، فقد كان هو وحده الذى سمى الأشياء بأسمائها ايمانا منه بالقوة الالهية التى تلهم الانسان بالمعارف الحقة .

ومفكروا المسلمين عامة قد تحدثوا فى وســـائل المعرفة ويركز الامام الغزالى على أن القلب هو الذى يقتنص العلوم فيقــول (أعلم ان اقتناص القلب على مراتب منها ما يكون للعلماء فيتوســــلون بالمقدمات الى النتائج وبالأدلة الى المدلولات . ومنها ما يكون على سبيل الكشف والارادة من الله تعالى كما يكون للأنبياء قال تعالى لابراهيم الخليل عليه السلام : « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض** » الأنعام ٧٥ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللهم أرنا الأشياء كما هى » فتنكشف لهم الحقائق كفاحا من غير توسط دليل أو برهان أو مقدمات وهو المراد بقوله تعالى : « **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممســك لها** » فاطر ٢ . وهذه الرحمة المبذولة فى الجود الالهى والكرم الأبدى فى القلوب المتعرضة لها واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « ان لربكم فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » فالتعرض هو الفلاح والسعادة بالتزكية .. الى قوله وعلى الجملة فاعلم أن الجود الالهى اقتضى أن تكون الســـــعادة مبذولة من غير بخل والكرم السرمدى اقتضى أن يكون القلب فى أصــل الفطرة مســتعدا لقبول هــذه

السعادة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » وقوله تعالى : ((**فطرة الله التى فطر الناس عليهـا**)) الروم ٣٠ وقوله تعالى : ((**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**)) التين ٤ . نعم يعترض فى وسط الأمرين أمور مانعة شاغلة وهى الشهوات والخبائث والشواغل فاذا رفعت الموانع رجعت الأمور الى أصل مقتضياتها وانكشـف للقلب جلال الله وعظمته ووصل الى سعادة الأبد .)(١)

ويقول محمد الشرقاوى فى رسالة ماجستير بكلية دار العلوم « العقل عند الصوفية » :

(ان القلب الانسانى هو همزة الوصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو بين الملك والملكوت . وأن هذا القلب — فى نظر الصوفية — جهاز متكامل للمعرفة الانسانية يشمل مراتب ومقامات متدرجة من الظاهر الى الباطن على النحو التالى : ١ — أول المقامات هو الصدر ، ٢ — وثانيها هو القلب، ٣ — وثالثها هو الفؤاد ، ٤ — ورابعا اللب .

والصـــدر :

هو الجزء الخارجى ويشمل القوى العادية الظاهرية الادراكية ممـا يجلبه الحس ووظيفته الادراكية ؛ فان كل علم لا يوصل اليه الا بالتعـلم والحفظ والاجتهاد والتكلف من جهة السمع والخبر قرآنا أو حديثا أو غيره فان موضعه الصدر ويجوز عليه حكم النسيان . فالصدر اذا علمه وأدركه ادراك عقلى كسبى نتيجة تحليل وجهد فى الحفظ والنظر . والصدر بهذا المعنى نظير العقل فى المجالات الادراكية وله ارتباط خاص بالقوة الحافظة كما أن علم الصدر ينازعه ميول النفس الأمارة .

والقلب :

وهو كسواد العين الذى هو داخل العين لقوله تعالى : ((**ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**)) الحج ٤٦ . وهو معدن أصول العلم لأنه مثـل عين الماء ؛ والصدر مثل الحوض يخرج اليه من القلب العلم . وقد سماه

---

(١) « مختصر احياء علوم الدين » ١٤٩ — ١٥٠ .

الصوفية (عين القلب) ويختص بعلم الحكمة والاشارة أى ما يرد من الله تعالى على قلب العبد من حقائق الايمان . وهو العلم النافع فى مقابل علم اللسان أو العبارة الذى هو حجة الله على ابن آدم .

والقلب يمثل مرتبة النفس اللوامة .

الفـؤاد :

وهو فى وسط القلب ، كما أن القلب فى وسط الصدر ، ومكانته أرفع من مكانة القلب . وهم يربطون القلب باسم الرحمن ((**قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا**)) . أما الفؤاد فباسمه تعالى الرحيم ؛ والقلب يعلم ويذكر . أما الفؤاد فيعاين ويشاهد ، ولذا فهو يمثل مرحلة الاحسان والرؤية ((**ما كذب الفؤاد ما رأى**)) بينما القلب مرتبة الايمان الاتقان . فقال للقلب حق اليقين ، والفؤاد عين اليقين ، أما الصدر فعلم اليقين .

والفؤاد يمثل مرتبة النفس الملهمة .

اللـب :

ومثال اللب فى الفؤاد كمثال نور العين فى العين ، وهو يستقبل أنوار التوحيد والتفريد . واللب لا يكون الا للخاصة من عباد الرحمن الذين هم « أولوا الألباب » ((**فاتقوا الله يا أولى الألباب**)) وقال سبحانه ((**واتقون يا أولى الألباب**))] .

* * *

وبمراجعة بعض التفاسير القرآنية تبين لنا الآتى :

أنهم يعتبرون « الصدر » بمعنى « القلب » تارة والصدر تارة بغير تفرقة كما أن التفسير الوسيط يزيد عليهم انه « النفس » كذلك(١) . كما

---

(١) يقول الوسيط ١٣٢٣ شرح الصدر للاسلام كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها محصنة مما يمنعه وينفيه . ويقول الجلالين ١٣٧ « يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله » ويقول ابن كثير ج ٢/١٧٤ أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هداية الله تعالى حيث قال : نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفتح .. وفى قوله تعالى ((**قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله**)) آل عمران ٢٩ يقول =

قالوا عن القلب أنه القلب وكذلك أن الفـــؤاد هو القلب (١) . أما اللب فيقول عنه جميع المفسرين انه العقل .

ومن هذا نرى أن علماء التفســير يختلفون مع النظرة الصــوفية فى تحرى جهاز المعرفة بالانسان . ربما لأنه لم يكن فى اعتبارهم ذلك وهــو الاقوى او لأن ظاهر المعنى لا يتطلب دقة التحرى عن جهاز المعرفة .

ولكن لأن معرفة اعضاء وادوات جهاز المعرفة فى الانسان أمر يكون بالغ الأهمية لا سيما بعد تحديد دور كل عضو من هذه الأعضاء وبالتالى يبين الأسباب التى تؤدى الى صحة الأفكار والوصول بالأدلة الى المدلولات اى الى الحقيقة ، وهو ما يهدف اليه اى فكر . فما بالنا ونحن فى ســـبيل البحث عن حقائق القرآن العظيم .

لهذا ، كان لابد من البحث بمنتهى الدقة للتعرف من القــرآن العظيم نفسه على أجهزة المعرفة وأجهزة الاعلام فى الانسان تحقيقا لقوله تعــالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

والله جل جلاله خلق الانســـان فقال تعالى « **وجعلنا له عينين** .

= الوسيط : قل يا محمد للمؤمنين : ان تخفوا ما فى انفسكم من الضمائر .. وقال الجلالين ٥٦ صدوركم أى قلوبكم . وقال الوسيط فى تفسير « **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** » الأعراف ٤٣ أى وأخرجنا ما فى صدورهم من حقد وعداوة بســبب أمور جرت بينهم فى الحياة الدنيا أو حفظ أنفســهم من التحاسد على درجات الجنة . الوسيط ١٤٢٤ .

(١) قوله تعالى « **نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة** » الهمزة ٦ و ٧ اى التى تطلع على القلوب . الجلالين / ٥٤٩ وقال الوسيط / ١٣٠٤ فى تفسير قوله تعالى : « **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** » الأنعام ١١٠ أى نحــول قلوبهم . ومثله الجلالين /١٣٥ . وقال الوسيط فى تفسير قوله تعــالى : « **ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون** » الأنعام ١١٣ أى ولتميل اليه قلوب الذين لا يؤمنون — الوسيط ١٣١٠ . وفى تفسير قوله تعالى « **كذلك لنثبت به فؤادك** » الفرقان ٣٢ أى نقوى قلبك . الجلالين / ٣٢٢ . وقوله تعالى « .. **ان الســمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » فؤادك أى قلبك . الجلالين / ٢٤٩ .

ولسانا وشفتين » البلد ٨ و ٩ وقال سبحانه « **هو الذى انشا لكم السمع والابصار والافئدة . قليلا ما تشكرون** » المؤمنون ٢٨ وقال تعالى « **افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم آذان يسمعون بها او قلوب يعقلون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » الحج ٤٦ وقال تعالى « **ناصية كاذبة خاطئة** » العلق ١٦ ويقول سبحانه « **يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم** » آل عمران ١٦٧ .

ومن هذه الآيات نعلم أن الله سبحانه خلق الانسان وجعل له أذن يسمع بها كل ما حوله من اصوات ، والسمع يؤدى الى العقل والمعرفة والحفظ . وان الانسان له عينان فيرى بهما ويرسل الصورة التى يراها الى قلبه فيصحح وضعها ويفقه معانيها ويؤدى ذلك الى العقل والمعرفة والحفظ . وان الانسان فى قوله تعالى « **الم نشرح لك صدرك** » او قوله جل شأنه « **رب اشرح لى صدرى** » انما ينطوى على ما يحصل الصدر من علم نتيجة القذف فيه من لدن الله او بالتحصيل ، وان للانسان قلبا يقرر الخالق العظيم انه وسيلة عقل الأمور « **قلوب يعقلون بها** » أى يحدد به مقدمات الأشياء ويربطها اى يعقلها ؛ وان له فؤادا يرى ويفهم ، ولبا يحفظ ، وناصية تصدق وتكذب وفما يتكلم .

واذا انتقلنا من هذا الاجمال الى تفصيل يوضح الأمور ، لكان البيان اظهر وانفع .

اولا — الأذن :

هى اول اعضاء جهاز المعرفة فى الانسان ويرشد الخالق العظيم عنها كأول وسيلة للمعرفة فى قوله تعالى : « **افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم آذان يسمعون بها** » وان الأذن عندما تسمع يجب ان تسمع بحق السمع فيقول جل شأنه : « **لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** » الحاقة ١٢ .

فالأذن فى الانسان هى العضو الأول فى جهاز المعرفة ، لأنها تسمع دون أن ترى او تتحرك او تنتقل ، فهى تلتقط الأصوات من بعيد ، واذا نظرنا الى الأجهزة الحديثة فى عالم الالكترونيات لعرفنا مدى عظمة « الأذن »

فى تلقى كافة أخبار الأرض بما وسعت فى ثوان معدودة وبمنتهى الراحة ، لأنها العضو الذى لا يتحرك من الخارج لالتقاط الصوت وانما تنفعل من الداخل بهذا الصوت . فهو عضو لا يتعب من السمع وانما يتطلب فيه دقة السمع فيما يصفه الخالق العظيم بأنه « أذن واعية » ولذلك خلقهـا فهى تستطيع أن تميز بين آلاف الأصوات بدقة وتتعرف عليها بحذق واتقان .

والأذن كما تسمع فى نفس المكان الذى هى فيه ، فانها تسمع ما يحدث عن بعد منها ، مما يعطيها أهمية أكثر من غيرها ، واذا أضفنا اليها أدوات السماع عن بعد لأدركنا مدى أهمية السمع فى تلقى عناصر المفاهيم والمعرفة .

ولهذا فان الله سبحانه يصف الكفرة بأنهم ((**صم وبكم فى الظلمات**)) الأنعام ٣٩ وقوله تعالى ((**ولهم آذان لا يسمعون بها**)) الأعراف ١٧٩ ، ومعنى هذا أن السمع يجب أن يكون للحق وليس للكذب أو الضلال ، والكذب من صفات القلوب المريضة ((**سماعون للكذب أكالون للسحت**)) ، لهذا فالله سبحانه وصف رسوله الكريم بقوله تعالى ((**يقولون هو أذن قل أذن خير لكم**)) التوبة ٦١ .

فالسماع بوعى ودقة يؤدى الى المعرفة الحقة وهذا هو المقصود بقوله تعالى ((**وتعيها أذن واعية**)) .

والأذن أيضا تسمع « بالفؤاد » أى تسمع من على بعد آلاف الأميال دون أدوات سمع خارجية . أى تسمع بذاتها بواسطة الفؤاد من هذا البعد الهائل . ودليل ذلك ما سمعه سارية بن زيد بن حارثة وهو فى فارس لنداء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد سمعه يقول له : يا سارية الجبل الجبل . فسمع وفهم ونفذ وكان بذلك فتح فارس . ويقول العلى العظيم دليلا قرآنيا على ذلك ((**ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة**)) الأنعام ١١٣ فالأذن تسمع بالفؤاد ما كان أبعد من حدودها فى غطائها بقوة من الله جل شأنه .

ولأن الأذن تسمع ما تريد أن تسمع .

لهذا كان السمع مسئولا ، أى أن النفس مسئولة عما تسمع .

ثانيا — العين :

وهى ثانى أعضاء جهاز المعرفة فى الانسان ، ويبين الخالق العظيم أن العين هى الباصرة التى ترى الأشياء ، ولكنه سبحانه يبين أن الذى يميز معناها هو القلب ((**فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**)) وقد أثبت العلم المادى أن العين ترى الأشياء مقلوبة أى أن صورة أى شىء ترسم فى داخل العين مقلوبة ، أما الذى يعدل الصورة ويبين معناها فان العلم المادى لم يصل الى سببه . ولكن الخالق الأعظم يقرر أنه « القلب » الذى فى « الصدر » هو الذى يفعل ذلك فى قوله تعالى ((**فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**)).

والعين تنفعل فيقول تعالى ((**ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**)) المائدة ٨٣ فنراها تدمع وتفيض منها الدموع وكلنا يلمس ذلك بنفسه فاذا حزن الانسان بكى أى نزلت من عينيه الدموع ، وكذلك اذا فرح .

والعين تلذ ((**وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين**)) الزخرف ٧١ ، وسواء كان الذى يجعل العين تنفعل هو الفرح أوالحزن أو اللذة ، فان ذلك مما يعطى باقى أعضاء جهاز المعرفة الأسباب التى تؤثر فيها بدورها .

والعين تكون سببا للطموح وذلك بالنظر الى الغير ، وسكوتها يكبح هذا الطموح فيقول جل شأنه ((**فكلى واشربى وقرى عينا**)) مريم ٢٦ أى تسكن عينها فلا تطمح الى غيره (الجلالين / ٢٧١) . وقوله تعالى ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**)) أمر من الله بأن تسكن العين عن النظر الى الغير حتى لا تطمح اليه ، وهذا ظاهر فى قوله تعالى ((**ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**)) الكهف ٢٨ وقوله سبحانه ((**يعلم خائنة الأعين**)) غافر ١٩ أى بمسارقتها النظر الى المحارم .

والطموح يؤدى الى شغل الصدر والقلب والفؤاد واللب بحسب ما يطمح الانسان اليه . وبالتالى فان العين تكون السبب الرئيسى لأعضاء أجهزة المعرفة .

ويقول سبحانه « **يخافون يوما تتقلب فيــه القلوب والأبصار** » النور أى تضطرب فيه القلوب والأبصار من الخوف . فالعين سبب من أسباب توصيل « الخوف » للصدر والقلب وبالتالى ينفعلان به ويعطلان الفؤاد عن العمل بل يجعل الفؤاد فارغا كما سيأتى .

والعين ترى فى حدود قدرتها المادية فى غطائها ، أما بعد هذه القوة المادية وكذلك فى حالة الشفافية فانها ترى بالفؤاد ، وذلك ثابت فى قوله تعالى « **ما كذب الفؤاد ما رأى** » ودليله المادى رؤية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى المدينة جيوش المسلمين والفرس فى فارس .

ولأن البصر عمل ايجابى فهو مسئول أى أن النفس مسئولة عنه .

ثالثا — الصدر :

والصدر هو موضــــع الشرح فى القرآن . والشرح لغة هو الفتح والشق ، وبالتالى فان قوله تعــالى « **ألم نشرح لك صــدرك** » هو بمعنى — والعلم عند الله — فتحنا لك صدرك للقرآن والحكمة وما لم تكن تعــلم لقوله تعالى « **... ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » البقرة ١٥١ ولأن الرسول كان أميا ولا يعرف القراءة ولا الكتابة ، فهــو صلى الله عليه وسلم يعلمهم بما وضع فى صدره من علوم القرآن والحكمة وغيرها . ويقول موسى عليه السلام « رب اشرح لى صدرى » أى وسعه لى بالعلم لتحمل الرسالة (الجلالين / ٢٧٨) . فالقول بالشرح كناية عن وضع الكثير من العلوم فى الصدر لقوله تعالى : « **وحصل ما فى الصدور** » العاديات ١٠ . والصدر غير القلب لقوله تعالى « **القلوب التى فى الصدور** » الحج ٤٦ وقوله تعالى « **وينصركم عليهم ويشــــف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم** » التوبة ١٤ و ١٥ . أما تفسير ابن كثير فى تفســــير شرح الصدر للاسلام — الوسيط ١٣٢٤ — فذلك خاص « بالهداية » وهى التى سئل عنها رسول الله ، والهداية هى الايمان وليس الاسلام فقط ، لذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعريفه للهــداية قال : « نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفتح » وهذا هو تعريف الايمــــان لقوله تعالى : « **ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » فالذى يدخــــل القلب أى

ينشرح له القلب هو الايمان . أما الذى ينشرح له الصدر فهو الاســـلام . فالاسلام مرتبة الصدر ، والايمان مرتبة القلب .

والصدر هو الذى يحصل العلم تحصيلا لقوله تعالى « **وهو عليــم بذات الصـــدور** » الحديد ٦ وقوله تعالى « **وما تخفى صـــدوركم اكبر** » آل عمران ١١٨ .

والصدر هو موضع الوسوسة « **الذى يوسوس فى صدور الناس** » الناس ، كما أنه موضع الحقد والعداوة « **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** » الأعراف ٤٣ ، وموضع الكبر أى بتر الحق وغمط الناس « **ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه** » غافر ٥٦ . والصدر يظهر ويخفى « **قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله** » آل عمران ٢٩ . كما أن الصدر موضع الرهبة لقوله تعالى « **لأنتم اشد رهبة فى صدورهم من الله** » .

والصدر كما ينشرح للاسلام يضيق للكفر لقوله تعالى « .. **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء** » الأنعام ١٢٥ ، ويظهر أثر ذلك على المعرفة فيقول ســـبحانه وتعالى « **ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هارون** » الشعراء ١٣ .

والصدر بهذه المثابة هو الذى يتلقى من الأذن ومن العين كل المعرفة بداية ويحصلها ، ولأن الصدر لا يخطط ولا يدبر فهو ليس مسئولا .

رابعـــا ــ القلب :

القلب هو أداة العقل ، فهو يستمد كل المعلومات من الأذن والعين والصدر ويميزها ويبين معانيها ويرتبها ويبوبها ويربط أى يعقل بين بعضها والبعض ، لذلك يقول عنه خالقه العظيم « **قلوب يعقلون بها** » الحج ٤٦ ويبين سبحانه هذا العضو فيقول تعالى « **قلوبهم التى فى الصدور** » واذا فالقلب هو العضو المختص بربط الأشـــــياء أى المفاهيم أو المعلومات أى بعقلهـــا .

لذلك ، فان القلب اذا تلقى معلومات طيبة فانه يطمئن ، واذا نزلت

فيه السـكينة الالهية زادته ايمانا — لأن القلب مقر الايمان أى هو الذى يدخل فيه سر ونور الايمان . فيقول سبحانه ((**هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مـع ايمانهم**)) الفتـح وقوله جـل جـلاله ((**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**)) الرعد ٢٨ ، وما دام أن القلب هو موضـع الطمأنينة والسكينة فانه بالتالى يكون موضع الرعب ((**سـألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب**)) الأنفال ١٢ .

ولأن القلب هو الذى يتلقى المعلومات من الأعضاء التى تأخذها له ، ولأنه هو الذى يعقلها ، فانه يغتاظ اذا كان من هذه المعلومات ما يضايقه ويثير حفيظته فيقول سبحانه ((**ويذهب غيظ قلوبهم**)) التوبة ١٥ .

ولأن القلب يقوم ((بعقل)) الأمور أى ربط المقدمات وترتيبها وترتيب الأدلة وتبويبها ، فانه لذلك كان هو المناسب لأن يكون فيه ((الايمان)) حتى يكون الايمان منورا له فى عمله هاديا له فى عقله فيرسل الحق والنور الى الفؤاد ويمنع عنه غير ذلك ، لهذا يقول الخالق العظيم ((**قالت الأعـراب آمنـا ، قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخـل الايمان فى قلوبكم**)) الأحقاف ١٤ .

ولأن كل المعلومات والمعارف تجمع فى القلب ليعقلهـا ، فانه لذلك ينفعل بها ، فهو يكتم ما يريد كتمانه فيقول سبحانه ((**هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون**)) آل عمران ١٦٧ ، ولذلك فان القلب يرفض ما يريد رفضه ((**يرضـونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسـقون**)) التوبة ٨ ولأن القلب يتصرف تبعا لما فيه من معلومات وعقله لها ، فان حجبـه للحق وامتناعه وغيظه وتزيين الأشياء وخوفه ، يجعل منه مربدا للاثم ، فيقول تعالى ((**. . . وزين ذلك فى قلوبهم وظننتم ظن السـوء وكنتم قوما بورا**)) الفتح ١٢ وقوله تعالى ((**فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم يستكبرون**)) النحـل ٢٢ وقوله سـبحانه ((**واذا ذكر الله وحـده اشـمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخـرة**)) الزمر ٤٥ ، لهـذا فان هذا العضو الهام فى جهاز المعرفة جعله

الله قابلا لأن يطهر فقال سبحانه ((.. **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ...**)) المائدة ٤١ .

ولأن القلب هو الذى يعقل الأمور فانها تخاف من الحق ((**يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**)) النور ٣٧ أى تضطرب فيه القلوب والأبصار من الخوف (الجلالين /٣١٥) .

ويقول الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود رضى الله تعالى عنه (وقد شق قلب النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة فى حال الحياة ، وهو بعد فى حجر حليمة ، والمرة الثانية ليلة المعراج . وفى تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن اشارات : منها أن القلب محل العرفان ، وهى المضغة التى بصلاحها صلاح البدن . وهو محل المشاهدة . ولكى لا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه . ولتنبيه الأمة على طهارة القلب) (١) .
ولأن القلب يقصر دوره على ارسال ما عنده — بعد عقلها — الى الفؤاد ، فهو ليس مسئولا .

خامسا — الفؤاد :

والفؤاد ليس القلب ، لقوله تعالى ((**واصبح فؤاد أم موسى فارغا ، ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين**)) القصص ١٠ ومنها يتبين انه لما ملأ الخوف قلب أم موسى اضطرب فلم يعقل شيئا ولم يرسل بالتالى اى معقولات للفؤاد فأصبح فارغا ، ولأن الله ، عندئذ ، ربط على قلبها فقد اطمأن وعقل الموقف وأرسل ما عقله الى فؤادها فتصرفت كما بين العلى العظيم فى الآية التالية مباشرة ((**وقالت لأخته قصيه ، فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون**)) ، ولهذا يصف الرحمن الكفرة يوم القيامة — من شدة خوفهم وهلعهم — بأن عيونهم لا يرتد اليها طرفها أى متحجرة ولأن الخوف يملأ قلوبهم فانها تعجز عن العمل وعقل الموقف فتصبح أفئدتهم فارغة ؛ فيقول سبحانه ((**مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**)) ابراهيم ٤٣ .

---

(١) ((الاسراء والمعراج)) لشيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد الحليم محمود ٦٢ .

من هذا نفهم ان « الفؤاد » هو الذى يتلقى « المعقولات » من القلب وبالتالى يقوم هو بالاستنباط منها ، لقوله تعالى **« واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ؛ ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم .. »** النساء ٨٣ والأمن أى النصر والخوف أى الهزيمة . فالقلب يرسل « المعقولات » — فى حالة اطمئنانه — الى الفؤاد ، والفؤاد يتولى استنباط نتائج هذه المعقولات ومعرفة ما يستخلص منها ، والفؤاد لذلك هو أداة معرفة الادلة وتحقيق البراهين والوصول الى الحقيقة ، ذلك بأن الاستنباط هو استخراج الحقائق المستورة والخفية والمقاصد البعيدة ، وهو لذلك وبالتالى الذى يقوم بالتدبير والتخطيط .

ولأن الفؤاد هو الذى يؤصل المعلومات أى يقعدها أى يعلم فقه الدليل ، فهو اذا صاحب الشفافية والنظر الثاقب ، فاذا كان القلب منورا بنور الايمان ، كانت شفافية الفؤاد قوية حتى ترى ما لا تراه الباصرة ، فيقول سبحانه **« ما كذب الفؤاد ما رأى »** لأن قلب رسول الله كان كله نورا فانه رأى ربه بفؤاده (١) .

ولهذا أيضا فان الفؤاد هو موضع « الالهام » من الله فيقول سبحانه وتعالى **« .. فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »** ابراهيم ٣٧ . قال ابن عباس : لو قال أفئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم . (الجلالين ٢٢٧) .

وتقوية الفؤاد يكون بمعرفة الحقائق فيقول تعالى : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك »** هود ١٢٠ ، فمعرفة حقائق التاريخ الايمانى تقوى الفؤاد بيقين الحقيقة الايمانية ؛ وكذلك تنزيل القرآن منجما أى بضع آيات يتلوها بضع آيات أخرى كل فى مجال مناسبتها لتنطبق على الواقع فتكون دليلا عليه فتثبت وترسخ فى الفؤاد فيقوى ؛ ويقول العلى العظيم **« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا »** الفرقان ٣٢ .

ولأن الفؤاد هو الذى يستخلص النتائج ويفهم ويدبر ويخطط فهو مسئول ، أى أن النفس مسئولة عن عمله .

---

(١) المرجع السابق .

سادسا — اللب :

اللب ليس هو العقل الخالص كما يقول علماء التفسير ، ذلك بأنه لا يوجد عضو فى الجسم اسمه « العقل » فالعقل اى الربط هو عمل القلب كما بينا من قبل .

وبملاحظة كلمة « اللب » و « الألباب » فى القرآن نجد أنها تأتى فى معنى التذكر ، فيقول سبحانه « **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر اولوا الألباب** » الرعد ١٩ ثم يبين القرآن من هم « أولوا الألباب » فيقول جل شأنه « **الذين يؤمنون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة . أولئك لهم عقبى الدار ..** » الرعد ٢٠ — ٢٢ .

وجميع هذه الصفات او الخصال هى صفات التذكر ، تذكر اوامر الله وتذكر تنفيذها .

ولهذا فان الله سبحانه غالبا ما يذكر كلمة « يذكر » قبل اولى الألباب مباشرة فيقول تعالى : « **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا اولوا الألباب** » آل عمران ٧، فقصر « التذكر » على أولى الألباب ؛ مما يجعل هذه الخاصية لهم وحدهم ويجعل بالتالى « اللب » موضع الذاكرة ومهمته التذكر .

ولأن التذكر ليس عملا ايجابيا مباشرة بالنسبة لغيره ، فهو ليس مسئولا .

واذا ما قلنا ان الأذن تسمع والعين تبصر والصدر يحصل العلم والقلب يعقل والفؤاد يفهم ويدبر واللب يحفظ ، فان ذلك لا يعنى هذه الأعضاء المادية تماما وانما يعنى ما فيها من لطيفة ربانية ، أى هى — كما يقول الامام أبى حامد الغزالى — لطائف ربانية تسكن هذه الأعضاء فى بدن الانسان .

واذا كانت هذه هى أجهزة المعرفة فان الحواس جميعا فى خدمتها مثل الشم والذوق والاستشعار باللمس تؤدى بعض المهام لأجهزة المعرفة وقد تفرق لها بين أمور كثيرة ، ولكنها فى النهاية فى خدمة أجهزة المعرفة وتبعا لها .

الفصل الثالث

جهـــاز الاعـــلام

الانسان مخلوق ناطق اى متكلم ، وقبل أن يتكلم يفكر ، فهو مخلوق مفكر أيضا ، ولكن الذى يميزه عن غيره من المخلوقات ليس هو أنه ناطق — كما يقول بعض العلماء — ولكن أنه يفكر بالقدر الذى يؤدى الى اكتشافه « الأسماء » التى علمها الله جل جلاله له .

فاكتشاف الأسماء هى السمة المميزة للانسان عن اى مخلوق آخر .

والانسان فى سبيل التعبير عن فكره يتكلم سواء كان هذا الكلام بالفم أو بالقلم كتابة . والذى يحرك فم الانسان ليتكلم او يده ليكتب هو المخ .

والمخ جهاز عصبى متصل بجميع أجزاء الجسم ويحرك جميع اجزاء الجســم ، بأن يعطى لها أمرا بواسطة الأعصــاب فتتحرك . اذاً فالمخ هو المسئول عن حركة اللسان والشفتين تماما كمسئوليته عن اعطاء الأمر لأى عضو فى الجسم بالتحرك ، وتكون حركته مربوطة به .

والمخ هو ما يعبر عنه فى القرآن العظيم باسم « الناصية » .

اولا — الناصية :

الناصية لغة هى مقدم الرأس ، وهى بداية مخ الانسان كناية عن المخ كله ، لأن المخ يقع مقابل مقدم الراس مباشرة .

وجاء بالقرآن وصف للناصية فى قوله تعالى : **« ناصية كاذبة خاطئة »** العلق ١٦ ، وهذا يعنى أنها تكون بالمقابل صادقة وعلى حق وصواب .

وجاء فى القرآن ايضا أن الكافر يوم القيامة يمسك من ناصيته وقدميه ، كناية عن المهانة التى سيكون فيها بسبب كذب ناصيته وخطئها ، كما فى قوله تعالى : **« كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية »** العلق ١٥ ، موجها القول

الى ابى جهل اللعين لمـــا قال للرسول صلى الله عليـــه وسلم لا تصلى ، ثم أبان العلى العظيم عن المنظر الذى سيكون فيـــه الكافر يوم القـــيامة فى قوله تعالى : « **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقـــدام** » الرحمن ٤١ .

ومن القرآن العظيم نعرف اذاً أن هذا المخ يكذب ويصدق ويخطىء ويصيب ويرتكب الخطيئة ، فاذا كان المخ — اى الناصية — على علم بكل ما فى أجهزة المعرفة من معلومات ، فانهـــا بالتالى يجب أن يكون دورها هو اظهار هـــذه المعلومات . ولكن لما كان خالقهـــا العظيم قد وصـــفها بأنها كاذبة خاطئة ، اذاً فهى التى ترتكب ذلك ، وبالتالى فهى موضع المهانة التى تصل الى أن تكون مع القدمين يوم الحساب .

ولأن الناصية لا يظهر لها « قول » الا من خلال « الفم » اى اللسان والشفتين ، فانهما بالتالى يعتبران مرآة لها فى منطق الانسان .

واذا كانت حركات اليدين ، والرجلين والعينين وبعض عضـــلات الجسد لا تكون الا بأمر من الناصية ، فان حركة هذه الأعضاء تعبر ايضا ان حقا أو باطلا عن أوامر الناصية لها وبالتالى فهى مأمورة بأمرها .

ولمـــا كان توقف المخ عن العمل ســـواء بالتخـــدير او بالموت يؤدى الى توقف كل هذه الأعضاء ؛ فان اعتبار الناصية المسيطرة على الجسم وجها للنفس يكون اعتبارا معقولا وله أسبابه . لا سيما وقد أبان القرآن العظيم أن لا شىء فى الجسد الا ويشهد على النفس .

فاذا كانت النفس هى صاحبـــة الحرية ، علمنا ان النفس الملتبسة أساسا بالناصية اى المخ هى الآمرة للناصية وبالتالى المسيطرة بها على كل حركات الانسان المسئولة .

واذاً فالناصية (اى المخ) هى وجه النفس والله أعلم .

ثانيـــا — الفـــم :

اى اللســـان والشـــفتان ، وهما البوق الذى تخرج منه النفس كل

ما تريد أن تعبر عنه للغير . فتجعل اللسان يقول الحق كما تجعله يكذب **« ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا عـــلى الله الكذب »** النحل ١١٦ .

ويبين العلى العظيم مدى خضوع كل اجهزة المعرفة والاعلام للناصية فيقول جل شـــأنه **« يرضـــونكم بافواههم وتابى قلوبهم »** التوبة ٨ ويبين النفس الكافرة الشريرة فى تحريكهـــا للفم **« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههـــم ويابى الله الا أن يتم نوره ولو كره الـــكافرون »** التـــوبة ٣٢ و **« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم »** الصف ٨ .

ثم يبين العلى العظيم أن الناصية تفترى على الله تعالى مســـتعملة الفم (اللسان والشفتين) مطية لها فيقول ســـبحانه **« وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا »** الكهف ٥ .

وكذلك تفترى الناصية على الناس بالفم ايضا **« اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم ... »** النور ١٥ .

والناصية التى تلتبس بها النفس مسيطرة عليها تســـتعمل الفم فى الكذب اى على عكس ما تعلمه وموجود علمه بالقلب فيقول جل شـــأنه **« يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم »** آل عمران ١٦٧ وقوله تعـــالى : **« قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صـــدورهم أكبر »** آل عمران ١١٨

ولأن الناصية التى تلتبس بها النفس هى التى تحرك اللسان دون ارادة منه وتحرك اليد وتحرك الرجل والساق وتعطى الشعور للجلد ، فان كل اولئك يشهدون عليها يوم الحساب .

الفصل الرابع

المعـــرفة والهـــداية

انشأ الله الخالق العظيم لكل انسان جهاز معرفة ، وجهاز للاعـلام عما عرفه .. وجعل النفس مسيطرة على المحرك الذى يستمد علمه من جهاز المعرفة ، والذى يحرك جهاز الاعلام فيعلن عما يريد أن يبين ويكتم ما يريد أن يكتم ويخفى ويظهر ويصدق ويكذب ويخطىء ويجهل ..

ولأن النفس التى لها السيطرة الكاملة هى المسئولة وهى بذلك التى ستتحمل العذاب أو تنعم بالثواب ، ولأن الله جل شأنه كتب على نفســه الرحمة ، فانه وقد خلق الانسان من طين ، وبالتالى فهو ليس فى ســـمو الأطياف النورانية بل مشدود الى الأرض التى نبت منها ، واهتزاز عناصره من اهتزاز عناصرها ، فهو مجبول بحكم خلقه على الانفعال بما فيها وبما هو منها حتى وصف الخالق العظيم الانسان الذى ينسلخ من آيات الله بأنه يخلد الى الأرض فقال تعالى « **واتل عليهم نبا الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منهـا فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه ..** » الأعراف ١٧٥ و ١٧٦ فانه سبحانه ، لكل ذلك ، جعل الهداية الربانية نورا للناس يهتدون بها فى معتقدات الحيــاة ويخلصون بها الى نور الحق والصراط المستقيم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخـرة .

وبين العلى العظيم أن ما جعله الله فى الانسان من جهاز المعرفة ، انما جعله الله سبحانه ايضا فى الجن فكما للانسان أذن بها يسمع فللجن آذان بها يسمعون . وكما للانسان عينين بهما يبصر فان للجن عيون بهـا يبصرون ، وكما للانسان قلب يعقل به فكذلك للجن قلوب تعقل بها ، وأن الذى يستخدم هذه الأجهزة فى غير هدى الله وبغيره ، فهو والجن سواء ، حياته فى الدنيا هى حياة الأنعام أى الأكل والشرب والسكن ثم الذبح ، بل

أضل من الأنعام لأن هذه هى حياة الأنعام فاذا كانوا سيكونون مثل الأنعام فى المسلك فانهم أضل لأن الأنعام انما انقادت لما خلقت له وهم ليسوا كذلك ، أما الآخرة فمآلهم النار . ويقول سبحانه وتعالى « **ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها ؛ اولئك كالأنعام بل هم اضل ؛ اولئك هم الغافلون** » الأعراف ١٧٩ .

ومآل الناس التى تستخدم جهاز المعرفة والاعلام بغير هدى الله هو الذبح الأكيد ، لأن الله قال انهم كالأنعام ومآل الأنعام الذبح بل أضل ، اى انهم أضل ايضا فى الذبح ، فالأنعام تذبح ذبحة حسنة لتؤكل ، أما الانسان فيذبح ويصبح جيفة نتنة ، والأنعام تذبح باسم الله وتقدم قربانا ، أما الانسان فيذبح لشركه بالله وفقدانه لآدميته التى خلقه الله تعالى عليها ولها . ذلك بأن الذى يستخدم معرفته بغير هدى الله فانه يصل الى مراقى كثيرة فى كل الماديات كما سنبين ، لأنها جميعا على أساس من اليقينيات ، ولكنه بظلمات نفسه يستخدم هذه المراقى المادية فى ذبح نفسه بنفسه ، فيعمل من الحديد الدبابات والمدافع والبوارج والصواريخ وغيرها من أدوات القتال ، لا للجهاد فى سبيل الله ، ولكن فى احتلال الشعوب وقهرها وسرقتها وتكون النتيجة أن اللصوص يتنازعون الأمر بينهم واذا بهم يضرب بعضهم بعضا فنرى الحرب العالمية الأولى لمدة خمس سنوات متتالية فتأكل الأخضر واليابس ويقتل منهم الملايين ، ثم الحرب العالمية الثانية بينهم كذلك وتتركهم يقتاتون القطط والكلاب ، والنساء تبيع نفسها لقاء لقيمات، ثم تزيد مراقى صناعاتهم المادية حتى يكتشفوا القنابل النيترونية التى تقضى على الأحياء وتترك كل ما صنعوا قائما سليما ، أنها الفناء لكل المشركين باذن الله على وجه هذه الأرض « **ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بآخرين ، وكان الله على ذلك قديرا** » النساء ١٣٣ . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .

ويصف العلى العظيم هذا الموقف كما وصف موقفا مشابها له من قبل « **فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب اليم . تدمر كل شىء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ؛ كذلك نجزى القوم المجرمين . ولقد مكناهم فيما ان**

مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون » الأحقاف ٢٤ — ٢٦ .

والجحود هو نفي ما في القلب اثباته أو اثبات ما في القلب نفيه (١) أي الكذب ، لأن الكذب هو تعمد قول غير الحقيقة التي يعرفها الجاحد ، وهذا بالضبط هو مسلك الكفرة . هم يعرفون يقينا أن الله هو خالق السموات والأرض وأنه هو خالقهم ، ومع ذلك لا يؤمنون به ولا يطيعونه بالتالي . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ولأن الدين فطرة أي أن الاقرار بالألوهية فطرة الله التي فطر الناس عليها فهم يعرفونها بالبديهة ، ولأنه سبحانه جعل كل القيم الفاضلة فطرة كذلك ، وكل السوء معلوم بالفطرة كذلك ، فان انكار الله هو محض جحود مآله أن صاحبه يصير كالأنعام بل اضل في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة مآله النار .

سأل اعرابي رسول الله فقال يا رسول الله اني اسكن جوف الصحراء وقد حضرت ورأيتك وآمنت بك ، ولي أهل لابد وأن أعود اليهم فماذا افعل ان استعصى على امر ؟ اجاب الرسول صلى الله عليه وسلم : « **استفت قلبك** » .

ويلزم التنبيه الى أن المقصود بجهاز المعرفة وجهاز الاعلام ، ليس هذه الأعضاء المادية الموجودة بجسم الانسان كما سبق بيانه ، وانما هي لطائف ربانية تتفق مع طبيعة خلق الانسان ، كما أنها في الجن تتناسب مع طبيعة خلقه من مارج من نار ، فالجن ترى « **يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** » والجن تتكلم وتسمع « **انا سمعنا قرآنا عجبا** » والجن تلمس وتدرك وتفهم « **انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا** » والجن تفكر « **وانا لا ندري أشر اريد بمن في الأرض ام اراد بهم ربهم رشدا** » .

---

(١) التفسير الوسيط ١٢٢٧ ، وتفسير الجلالين يقول الجحود : الكذب ١٢٦ . والمعنى واحد .

ولأنها لطائف ربانية أى اسرار ربانية فهى ملك لله وحـــده « **أمن يملك السمع والأبصار** » لذلك فانه سبحانه رغم وجودها فى الكافرين ، الا أنهم لا يدركون بها الحق « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم** » البقرة ٧ .

واذا فالأعضاء تعمل طالما كانت سليمة بحكم السر الالهى بها ، فان كانت فى هدى الله ، فان الانسان يرى الحق حقا والباطل باطلا ويتبـــع الهدى ، وان انسلخ من آيات الله فانه يهوى الى الأرض ويخلد فيهـــا ، وأصبح لا يرى الا ما يستقيم مع الباطل ورجسه . واختلاف الرؤية هذه هى الدليل على أن التى تعمل هى اللطيفة الربانية الموجودة بالجهاز ، لانه لو كانت الأعضاء المادية هى التى تعمل لما اختلف الحكم على الشىء بين المؤمن والكافر ، ولراى كل من المؤمن والكافر الشىء الواحد بنفس الرؤية الموضوعية الواحدة .

الباب الثاني

البرهان

« يا ايهـا النــاس قد جـاءكم برهــان
من ربكم وانزلنـا اليـكم نورا مبينـا »
النساء ١٧٤

الفصل الأول

علم الكلام والفلسفة

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير »

الحج ولقمان

المبحث الأول
المنهج فى علم الكلام والفلسفة

يقول رب العالمين :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله . له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . » الحج ٨ و ٩ .

ويقول رب العالمين :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » لقمان ٢٠ و ٢١

فالله سبحانه العلى الحكيم يهدى الناس الى أن يجادلوا فى كتابه بالعلم والهدى ونور الحقيقة الساطعة فى القرآن . وطلب الجدال بهذه العدة الكاملة انما ليتمكن الناس من الوصول الى نور الحق ومن ثم يزداد الذين آمنوا ايمانا ويقينا بزيادة علمهم بالله وزيادة علمهم بآلائه جل شأنه عليهم ، ظاهرة وباطنة ؛ حتى يكونوا عبيدا لله سبحانه صالحين .

ذلك بأن كفر الناس لا يضر الله شيئا **« ومن كفر فان الله غنى حميد »** لقمان ١٢ . فالله سبحانه وتعالى الغنى عن العالمين .

ولأن الله كتب على نفسه الرحمة وانزل الرسول رحمة للعالمين ومعه الرسالة الكاملة هدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فانه سبحانه يهدى الناس للتى هى أقوم ، يدعوهم بالمنطق والحجة ويذكرهم بأيام الله لعلهم يذكرون ، ذلك بانه سبحانه وقد خلق الانسان وجعله حرا فقد جعل الهداية بغير اكراه « **لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** » البقرة

لذلك يدعوهم أن يتفكروا « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » النحل ٤٤ ، فهو سبحانه يأمر رسوله بأن يبين القرآن للناس ويدعو الناس للتفكر فيه ويتدبروا معانيه ويجاهدوا لمعرفة بعض أسراره من أنواره ، فالله يدعو الناس لذلك وقلوبهم مفتوحة لا يطمسها كفر أو لدد خصومة فليس بين الله والناس خصومة وليس بين الله والناس قرابة ، فاذا ما تفكروا اهتدوا ويزيدهم القرآن هدى ونورا ويقينا فبيعا للنفس والمال فى سبيل رب العالمين طمعا فى الخلد بجناته وما بها من نعيم مقيم .

واذا فالعلم الشامل الكامل لكل فروع العلم ، والعلم باللغة العربية وعلومها لتفهم القرآن ، والعلم بعلوم القرآن والايمان والهدى ، هى كلها معا وسيلة علم الكلام وهو العلم الذى يبحث ويشرح أصول الدين بالمنطق والحجة العلمية والعقلية متخذا من البديهيات أى الأمور الثابتة يقينا بغير جهد ومن المقدمات الصحيحة الثابتة والواقع المجزوم به سبيلا ومنطلقا للتدليل على اثبات الحقائق القرآنية، ومن ثم زيادة اليقين بالله وخلقه لكل شىء ذلك بأن اليقين هو الحق الثابت المستقر فى القلب لا يزعزعه شىء . والحق هو الأمر الثابت الذى يتناقض ولا يتغير ولا يزول .

وعلماء الكلام ، كما هو مستقرأ من كتبهم ، يتكلمون عن الله سبحانه وصفاته وأسمائه ، وأنه خالق كل شىء ، وعن الايمان ومن يعتبر كافرا والكبيرة ومنازل الناس ، وهل الانسان مصير أو مخير ، والقضاء والقدر ، والقرآن قديم أم محدث ، والعالم قديم أم محدث ، والكرسى والعرش والأفق الأعلى واليوم الآخر والجنة والنار .

وعلم الكلام يتخذ من الايمان بالله الحقيقة الكبرى ، فهو سبحانه

خالق كل شيء وليس كمثله شيء فهو الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وانه سبحانه الأول قبل البداية والآخر بعد النهاية ، الفعال لما يريد ، المبدىء المعيد ، ذو العرش المجيد ، وانه حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده ، ... الى آخر الصفات التى يعددها المتكلمون لا سيما المعتزلة منهم (١) الذين كانوا أول من تكلم فى الاسلام مؤصلا هذا العلم وذلك فى موجة الرد على النصارى والنساطرة واليعاقبة الذين تجمعوا كالأفاعى فى نهاية أيام الدولة الأموية واضمحلال قوتها ليحاولوا الطعن فى الاسلام والتشكيك فيه .

ولما كان هؤلاء الأخيرين قد استخدموا المقولات الفلسفية ، فقد عمل علماء المسلمين فى عهد أبو جعفر المنصور وحتى المأمون على ترجمة علوم الفلسفة الاغريقية وبالذات كتب أفلاطون وارسطو ومن هنا دخلت اصطلاحات الفلسفة وطرق استدلالاتها الأرسططالية فى علم الكلام ، الأمر الذى جعل منهج علم الكلام وهو الجدال على النحو الذى بيناه يختلط بمنهج علم الفلسفة وهو الاستدلال من التعريفات المنطقية والفروض الاحتمالية ليثبت بها الفيلسوف نتيجة ليست ثابتة من قبل ولا هى معروفة سلفا لديه .

ولأن موضوع الفلسفة الرئيسى هو البحث للوصول الى من خلق السماوات والأرض والانسان ومبادىء كل منها وعللها دون ايمان مسبق بالله وبأنه خالق كل شيء وبحقائق الخلق التى أخبرنا عنها سبحانه فى قرآنه العظيم ، أى أنه منهج هو على العكس تماما من منهج علم الكلام ؛ فان الأمر ، مع هذه الأسباب ، قد اختلط على كثير من علماء الكلام فى منهج التفكير والبحث فأدخلوا طرق البحث الفلسفى فى أساليب ووسائل الجدل الكلامى ، بما تمخض عن كثير من التناقض والخلاف فى الآراء حول الحقائق النهائية الثابتة بكتاب الله تعالى . بل ان الأمر زاد حتى اختفى علم الكلام فى الفلسفة وأصبحت كتب كثيرة مثل كتب « التوحيد » تبدأ بمقدمة فى

---

(١) « أبو الحسن الأشعرى » للدكتور حمودة غرابة ٤٥ وما بعدها .

منطق أرسطو على طريقة الفلاسفة فضلا عن بسط آرائه فى الطبيعة والرياضة والزمان والمكان والحركة .

ولأن هذا الخلط أضر كثيرا بعلم الكلام ، لأنه خلط فى طريقة البحث — وهو الأساس الذى يؤدى الى النتيجة — بين البديهيات والتعريفات المقولة والفروض الاحتمالية أى الظنية ، أى مزج اليقين بالاعتقاد والظن والاحتمال رغم أن المعلوم أن الاحتمال يزيل اليقين (٢) حتى أن عالما ومفكرا اسلاميا كبيرا هو ابن سينا قد طوع المعانى القرآنية لتتفق مع مقولات أرسطو فى الألوهية (٣) .

فان العالم الاسلامى عبد الرحمن بن خلدون كتب فى مقدمته بضرورة الفصل بين علم الكلام وعلم الفلسفة مبينا أسباب ذلك فى قوله (واعلم أن المتكلمين وعلماء الكلام ، لما كانوا يستدلون فى أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود البارىء وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا ؛ والجسم الطبيعى ينظر فيه الفيلسوف فى الطبيعيات وهو بعض هذه الكائنات ، الا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم ، فهو (أى الفيلسوف) ينظر فى الجسم من حيث يتحرك ويسكن ، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل . وكذا نظر الفيلسوف فى الالهيات انما هو نظر فى الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ، ونظر المتكلم فى الوجود من حيث أنه يدل على الموجد وبالجملة فان موضوع علم الكلام عند أهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من حيث الشرع يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه من تلك العقائد) .

ولما كان ما فعله علماء الكلام على مدى قرون قد نقل المسلمين من نطاق اليقين الى حلبة العقيدة بميادين الظن والاحتمال فيها ، وبالتالى تزعزع فى النفوس صلابة الايمان والاختلاف فى معناه من نور فى القلب يدل عليه العمل الى تصديق ونطق بالشهادتين دون أن يكون العمل جزءا منه ، فقعد المسلمون عن الجهاد فى سبيل الله واكتفوا بالصلوات والدعوات .

---

(٢) « كشف الأسرار » جـ ١ ص ٣١٣ للشيخ عبد العزيز النجارى .
(٣) « ابن سينا بين الدين والفلسفة » للدكتور حمودة غرابة .

وبذلك خرج الى معانى وافكار خالفت اصول الدين وكما وضـــح فى خلف الامام أحمد بن حنبل الذين دعوا الجسدية لله سبحانه فى تفسيرهم لمعانى « يد الله » ووجه الله وسمعه وبصره .

لما كان ذلك ، فان الله سبحانه وتعالى قيض للمسلمين حجة الاسلام أبى حامد الغزالى الذى انبرى لهؤلاء المتفلســـــفين فى كتابه « تهافت الفلاسفة » وكفر فيه كل من يتكلم فى الاسلام بمقولات الفلاسفة فجعل الله على يديه القضاء المبرم على هؤلاء جميعـــا ، فلم يتكلم احد بعده فى علم الكلام بالفلسفة ومقولاتها الا ابن رشد على ضعف ثم انتهى . واخيرا فى العصر الحديث فقد كتب جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده والشيخ مصطفى عبد الرازق فيما اسموه « بالفلسفة الاسلامية » ولكن بعيدا عن علم الكلام كسابق عهده فى الدولة العباسية (١) .

* * *

ومن هذا يتبين ان « منهج الكلام » وهو الاستدلال العقلى بناء على بديهيات ووقائع ثابتة وعلوم صحيحة يقينية وصولا الى حقائق يؤمن بهـــا المتكلم من قبل ان يتكلم ويعمل على الوصـــول الى اثبات وجودها بالأدلة اليقينية ، فهو فى بحثه يسير بالدليل العقلى والمادى حتى يحقق بالبرهان أن الحقيقة الايمانية التى يؤمن بها فعلا هى حقيقة حقا وصحيحة فعـــلا وثابتة يقينا . فيزيد ذلك فى يقين المؤمن بالله جل شـــأنه الخالق العظيم **« وقل رب زدنى علما »** طه ١١٤ و **« ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا »** المدثر ٣١ .

فالحقيقة الايمانية لدى المتكلمين يقين وعليهم ان يصلوا اليها بمنهج علم الكلام .

وعلى خلاف ذلك تماما ، نرى الفلاسفة لا يؤمنون ابتداء بحقيقة ، فلا يؤمنون بالله ، وانما يفترضون فروضا من اســـتنتاجهم واســـتنباطهم

---

(١) « الفلسفة الاسلامية » للدكتور احمد فؤاد الأهوانى ٢٤ .

العلمى والعقلى ويضعون تعريفات علمية فى ظنهم ، ليصلوا الى شىء هو مسبقا غير معروف لهم على وجه التحـــديد ولا معروف لهم وحدانيته أو ثنائيته أو كثرته ، روحيته أو ماديته ، فكر أو قانون ، له مكان أو لا مكان له ، زمانه أو لا زمان له ، حركته أو سكونه ، له ارادة أو ليس مريدا ، فعالا أو لا الى آخر ما يقولون عن الخالق وهل هو خالق أم لا ، وهـــم بالتالى وبكافة السبل الفكرية بالشـــك وبالشك فى الشـــك وتارة باليقين واخرى بالشـــك المنهجى وغير ذلك من تأرجح العقلانية مع الحســـية والحدسية ، فانهم لذلك ، وعلى مدى اربعة آلاف عام ونيف ، قد وصلوا فى مباحثهم هذه الى « لا شىء » الا العبث الفكرى الذى انتهى الى ضلال الناس فى آخر عبثهم المسمى بالوجودية واللامعقولية (١) ، هذا الانحطاط الانسانى ومافيه من التردىالى مهاوى انكار الله ســبحانه وتعالى وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وقضائه وقدره ، وصولا منهم الى مشـــارف الحيوانية ، وان كانت للحيوانات فى واقع الأمر مزايا تسمو بها عليهم ، لذلك قال الله العظيم فيهم **« ان هم الا كالأنعام بل هم اضل ســـبيلا »** الفرقان ٤٤ ، ويقطع العلى العظيم بأنه لن يكون لهؤلاء الفلاسفة مهمـــا مرت عليهم من قرون فى التفكر ، اى فكر صحيح لأنه سبحانه كما يقـــرر **« ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »** النساء ١٤٣ .

لهذا ، فان تعليم مباحث الفلســـفة خاصة للصغار ، فيه مغالطـــة ومعارضـــة لكل معارف الايمان وبراهينه ويقينه (٢) . الأمر الذى يؤازر تعليم الصغار ايضا للغات الأجنبية ، لأن اللغة فوق أنها أسلوب نطق فهى معارف وآداب وتقاليد وسلوك ، فيتعاون الاثنان بكل آثارهما المدمرة فى الضرب على قلب المؤمن وبعث الفرقة فى فؤاده ولبه ونســـيانه لنور ربه واضعاف عزمه وضياع معنى توكله على الله وفهمه لاستعانته به سبحانه، ويجعل نفسه منقسمة فلا تعرف نفسه طريقا سويا ، ومن هنا يكون رد

---

(١) « المذاهب الفكرية المعاصرة — الوجودية » سنة ١٩٨١ جامعـــة عين شمس — كلية الآداب .

(٢) « مختصر احيـــــاء علوم الدين » للامام الغزالى ٣٢ حيث يقـــول « الفلسفة تؤدي الي أمور علي خلاف الشرع » .

الفعل وينشأ التشدد فى التفسير والتأول بدلا من التأويل والتعلل بدلا من التعليل ، واختلاط الأمور بعضها بالبعض ، فتكون الارهاصات بغير واقع سليم ، ويكون العمل المنبثق منها منحرفا بكل تأكيد ، وهو ما يعانى منـــه المجتمع حاليا ، وسيظل بل وسيزداد فى المعاناة منه طالما فيه هذه الأفاعى تبث سمومها فى قلوب المؤمنين ، أفاعى الفلسفة وأفاعى اللغات الأجنبيـــة وعادات أصحابها ومباذلهم وقيمهم الاجتماعية الفاسدة ، آداب ولغـــــات أقوام أباحوا زواج الرجل بالرجل رسميا واعتبروا الشذوذ الجنسى أمرا يحميه القانون فى طول بلادهم وعرضها ، وزادوا عما كان فى الأرض من فساد وعلى أيام قوم لوط الذين كان شـــــذوذهم محصورا فى ناديهم فقط **« أئنكم لتأتون الرجـــال وتقطعون الســـــبيل وتأتون فى ناديكم المنـــكر »** العنكبوت ٢٩ .

المبحـــث الثانى

علم الـــكلام والأدلة العلميـــة المـــادية

ولما كانت الحقائق القرآنية هى ســـبيل حق اليقين بالله ، ولمـــا كان الطريق اليه قد رسمه رب العالمين فى حقيقة المعرفة وجهازها على النحو الذى بيناه فى الباب الســـــابق ، يؤدى الى الاهتداء للمقـــدمات الثابتة والبديهيات وعقلها وملاحظتها واستخراج النتائج منها أو نتائج التجـــارب عليها ، والنظر فيها بالروية ثم التفكر فى هذه النتائج وصولا الى الحقيقة فى خلق الأشياء وأنها من خلق الخالق سبحانه ، فان ذلك ســـيكون هو الطريق السليم للوصول الى المعرفة الصحيحة والتواصل فى معرفة شتى المعارف لشتى الحقائق فى الأشياء ، وهو ما يثرى الفكر الاسلامى ويضع المسلمين رغم أنف الكفرة فى مقدمة الركب الانســـانى دائما أبدا ، ونورا يهدى الى وجه الله الكريم وبيانا لرحمته دائما للعالمين .

وكمثل من عند الله — ولله المثل الأعلى — نرى رب العالمين يقـــول « **وانزلنا الحديد فيه بأس شديد** » الحديد ٢٥ أى أن الحديد أصـــلا كان موجودا فى الســـــماء وأن الله أنزل منه جزءا الى الأرض . ونرى العلماء بالمناظير المتطورة والأجهزة العلمية يرون الحديد فى آفاق السماء العليا (وفى طريق التبانة يتكاثف مع الغاز المنتشر بين النجـــوم عـــدد وفير من ذرات العناصر الثقيلة — مثل الحديد — ويكون فى صورة سحب من الأتربة تنعقد كما تنعقد نقط الماء داخل الســـحب فى جو الأرض ، وتســـبب ما يشـــبه الضباب الكثيف الذى يحد من مدى الرؤية عند محاولتنا دراســـــة طريق التبانة بالمناظير) (١) .

والقرآن أنزل منذ حوالى ١٤٠٠ سنة قمرية ، وهذا العلم المـــادى عرف منذ عشرات أربع من السنين لا غير .

وكمثل آخر من عند الله العلى العظيم ، يقول سبحانه « **آتونى زبر الحديد حتى اذا ســـاوى بين الصـــدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال**

---

(١) « قصة السماوات والأرض » ٢٤ للدكتور محمد جمال الدين الفندى

آتونى افرغ عليه قطرا)) الكهف ٩٦ وهذه الآية الكريمة تشرح طريقة لحام الحديد بالتفصيل وذلك بالنفخ فيه بالنار حتى يصير مثل لونها فاذا ما اصبح كذلك افرغ على هذا الحديد نحاس مذاب اى ســـــائل فيلحم به . ولحام الحديد بالنحاس لم يعرف الا منذ سنة ١٩٣٠ م تقريبا ، ولو ان المســـلمين ادركوا ما فى كتابهم وعنوا بالعلوم التى به بدلا من السفسطة والفلســـفة العابثة لانتبهوا الى كثير من العلوم ولسبقوا بها العالمين ، والاهم من ذلك، لاخرجوا من القرآن العظيم الأدلة العلمية المادية على صدق الرســــــالة المحمدية ولكانت بالتالى البرهان على الاســــــلام والقرآن العظيم لكل من لا يؤمن الا بالدليل المادى الذى تراه عيناه وتلمسه يداه .

ومثال آخر ، فالله سبحانه وتعالى يقول ((**عالم الغيب لا يعزب عنـــه مثقال ذرة فى الســــماوات ولا فى الأرض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين**)) سبأ ٣ وهذا تقرير الهى بأن هناك ما هو اصغر من الذرة ، وهو اشارة علمية لمباحث الذرة وبالتالى تفجيرها فى طاعة الله .

ومثال آخر : فالله ســــبحانه يقسم بمواقع النجوم ((**فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم**)) الواقعة ٧٥ و ٧٦ . وفى اواخــر الثلاثينات عرف علماء الفلك والطبيعة أن اقرب نجم من الأرض يبعد عنها بمسافة ٢٠ ســـنة ضوئية (سرعة الضـــوء ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر فى الثانية) واخيرا علموا أن من النجوم ما يبعد عن الأرض بمقدار ١٨ بليون ســـنة ضوئية ، وعندئذ نعلم مدى اتساع السماء الدنيا والمسافات اللاخيالية بين الأرض والنجوم .

ومن هذه المعارف العلمية المادية يســـتطيع علماء الكلام فى عصرنا الحديث أن يتخذوا من العلوم المادية التجريبية ذراعا ويدا للعمل واصــــلا واساسا للتصديق ، وان يؤسسوا الأدلة المادية تلو الأدلة المادية للوصول الى الحقائق العلمية القرآنية ، كما سنبين فى الأبواب القادمة وكما بينا من قبل فى الباب الأول .

واذا كان علماء الدين الاسلامى قد اتخذوا الاعجاز اللغوى والصياغة اللفظية للقرآن الكريم برهانا على انه من عند الله تبارك وتعالى ، ولما كان

هذا الاعجاز لا يبدو واضحا لغير العالمين باللغة العربية بل وبدقائقها — وما أقلهم فى عصرنا الحاضر — وبالتالى لا يبدو معروفا لغيرهم ، الأمر الذى يجعل المعجزة فيه غير جلية لعامة الناس وأغلبيتهم فى مشـــــارق الأرض ومغاربها ، ومن ثم غير ثابتة لديهم .

ولما كانت الصياغة الشرعية شأنها معهم نفس الشىء ، الأمر الذى جعل غير العالمين بالشريعة الاســـلامية وأصولها وفقهها ، وما اندرهم ، لا يعترفون بالاعجاز القرآنى التشريعى ومن ثم لا يعترفون بأنه من عند الله فلا يؤمنون بالله ولا برسوله .

لذلك فان الله جل شأنه قد جعل من علم الحساب — وهو علم رياضى ومادى — وهو دليل حسى لكل انسان سواء علم اللغة العربية أو لم يعلمها ويعلم أى لغة أخرى ، ودون تجن بالعاطفة لأصحاب الدين الاسلامى أو اتهامهم لذلك بالتحيز لدينهم ، دليـــلا واضـــحا وثابتا وأكيدا ومذهلا لكل انســـان ، وذلك بحســـاب العقل الالكترونى — الذى صـــنعه المشركون بأنفسهم — لحروف القرآن الكريم ، فقد فتح الله على أحد علماء المسلمين وهو الدكتور رشاد خليفة امام مسجد توسان بماليزيا والخبير الفنى بمنظمة التنمية الصناعية بهيئة الأمم المتحدة — **« وما يعلم جنود ربك الا هو »** — أن يقدم دليلا حسابيا ملموسا لا يقبل المناقشـــــة على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر ، وأنه حقا وصدقا رسالة الخالق سبحانه وتعالى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق ، وأنه سبحانه وتعالى قد حفظه على مدى العصور والأجيال من أى تحريف .

فقد ثبت بحسابات العقل الالكترونى ؛ والذى لا يمكن معرفة ما تم به الا به ؛ أى لا يستطيع العقل البشرى اجراء هذا الحســـــاب والاحصاء بمعرفته وحده اطلاقا ، أن به الحقائق الآتية تفسيرا مذهلا وماديا للعدد ١٩ فى القرآن ردا على المكذبين بالقرآن والقائلين بأنه من عند البشر .

فيقول الله سبحانه فى بيان مفتاح هذا الدليل الكبير **« فقال ان هـــذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر . ساصليه ســـــقر . وما ادراك**

ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرن ماذا اراد الله بهذا مثلا ، كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ، وما يعلم جنود ربك الا هو ، وما هى الا ذكرى للبشر . كلا والقمر . والليل اذ ادبر . والصبح اذا اسفر . انها لاحدى الكبر . نذيرا للبشر . لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتاخر » المدثر ٢٤ — ٣٧ .

ومن اشارة القرآن العظيم الى الرقم ١٩ كانت الهداية الربانية لهذه العملية الحسابية التى يعلمها كل انسان مهما كانت معلوماته ومهما كان لسانه ، لذلك فانها « نذيرا للبشر » .

وفيما يلى هذه الاحصاءات وسنرى منها انها مستحيلة تماما ان تكون من عند البشر :

١ — الآية القرآنية الأولى فى الكتاب العظيم « **بسم الله الرحمن الرحيم** » تتركب من ١٩ حرفا .

٢ — القرآن الكريم عدد سوره ١١٤ أى ١٩ × ٦ .

٣ — أول ما نزل من القرآن سورة العلق وهى رقم ١٩ من آخر القرآن .

٤ — أول ما نزل من القرآن وهى سورة العلق عدد آياتها ١٩ آية .

٥ — عدد حروف سورة العلق ٢٨٠ حرفا أى ١٩ × ١٥ .

٦ — أول ما نزل جبريل قرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » وعددها ١٩ كلمة .

٧ — وكلمات سورة العلق الـ ١٩ تتركب من ٧٦ حرفا وهذا العدد يساوى عدد حروف البسملة مضروبا فى ٤ أى (١٩ × ٤) .

٨ — **ثاني مرة نزل فيهـا جبريل أنزل الآيات الأولى من سورة القلم**

حتى قوله تعـــالى : ((**ودوا لو تدهن فيدهنـــون**)) أى ٣٨ كلمـــة (١٩ × ٢) .

٩ — عندما نزل جبريل للمرة الثالثة احضر الآيات الأولى من سورة المزمل حتى قوله تعالى : ((**واهجرهم هجرا جميلا**)) أى ٥٧ كلمة (١٩ × ٣) .

١٠— عنـــدما نزل جبريل بالوحى للمرة الرابعـــة احضر الآيات الأولى من ســـورة المـــدثر حتى الرقم ١٩ حيث يقـــول تبـــارك وتعـــالى : ((**عليها تسعة إعشر**)) .

١١— عندما نزل جبريل بالوحى للمرة الخامسة احضر ســـورة الفاتحـــة وهى أول ســـورة من القرآن تنزل كاملة بكل آياتها ، وعدد حروف البسملة ١٩ ، ويعلمنا الرحمن من نزول ســـورة الفاتحة واولهـــا البسملة ١٩ حرفا بعد المدثر مباشرة حيث كان ما نزل منهـــا آخره : ((**عليها تسعة عشر**)) انه يثبت العلاقة الوثيقة والمقصودة فى الرقم ١٩ وفى اثبات أن القرآن لا يمكن أن يكون من قول البشر .

١٢— يقول الرحمن فى سورة المدثر ان اى شخص يقرر ان القرآن الكريم من قول البشر (آية ٢٥) فان الله سبحانه وتعالى يبرهن له أن القرآن الـــكريم لا يمـــكن أن يكون من قول البشر بواســـطة العـــدد ١٩ (الآية ٣٠) .

١٣— يعلمنا الخالق العظيم أن سبب اختيار العدد ١٩ خمسة اسباب :

(أ) فتنة للذين كفروا (أى تضليلا وازعاجا لهم) .

(ب) ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن القـــرآن من عنـــد الله العزيز الحميـــد .

(جـ) ويزداد الذين آمنوا ايمانا لأنهم يؤمنون من قبـــل معرفة أسرار هـــذا العـــدد .

(د) ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أى تزول من نفوســـهم كل الريب والشكوك .

(هـ) وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا أى يتســـاءلون فلما يعرفوا الاجابة يعرفوا الاعجاز المـــادى

للقرآن ، وانه بذلك كلام الله وان الرسول رسول الله حقا وصدقا .

١٤— يقول العلى العظيم ان هذه المعجزة الاحصائية المادية « **ذكرى للبشر** » المدثر ٣١ وانها « **احدى الكبر** » المدثر ٣٥ أى احدى البلايا العظام أى الامتحان العظيم للكفرة . لأنها برهان مادى وهم ماديون لا يؤمنون الا بما يروه ويحسوه ، وها هى المعجزة المادية للقرآن واضحة جلية ثابتة متحدية الى آخر الدنيا .

١٥— كل كلمة فى البسملة تتكرر فى القرآن الكريم كله مضاعفات الرقم ١٩ فكلمة « **اسم** » تتكرر فى القرآن كله ١٩ مرة و « **الله** » تتكرر ٢٦٩ مرة أى ١٩ × ١٤٢ وكلمة « **الرحمن** » تتكرر ٥٧ مرة أى ١٩ × ٣ وكلمة « **الرحيم** » تتكرر ١١٤ أى ١٩ ×٦ وهو نفس عدد سور القرآن الكريم .

١٦— عدد سور القرآن الكريم ١١٤ وعدد البسملة ١١٣ لأن سورة التوبة بغير بسملة ، لذلك وحتى يكون العدد سليم فقد وردت البسملة فى الآية ٣٠ من سورة النمل ، فالاعجاز كامل .

١٧— ولكى تعثر على البسملة الناقصة فى سورة التوبة عليك بترقيم سورة التوبة برقم ١ وسورة يونس ٢ وهكذا وعندما تصل الى رقم ١٩ تجد سورة النمل التى بها البسملة التى تكمل العدد الى ١١٤ .

١٨— عدد الكلمات بين البسملتين فى سورة النمل ٣٤٢ كلمة أى ١٩ ×١٨ .

١٩— عدد الأرقام المذكورة فى القرآن الكريم (أربعين ليلة ، سبع سماوات ، اربعة أشهر وعشر ... الخ) = ٢٨٥ رقما وهو ١٩ × ١٥ .

٢٠— مجموع الـ ٢٨٥ رقم الموجودة فى القرآن = ١٧٤٥٩١ أى ١٩ × ٩١٨٩ .

٢١— بعد ازالة الأرقام المكررة فى القرآن اى يؤخذ ٤٠ واحدة وسبعة واحدة وهكذا نجد ان المجموع بدون المكررات هو ١٦٢١٤٦ أى ١٩ × ٨٥٣٤ .

٢٢ــ يتميز القرآن بوجود الحروف القرآنية فواتح لبعض الســـور مثل ا لـــ م ، ا لـــ ر م و طسم و حـــم و نون و ق و ص و كهيعص الخ وهذه ظاهرة يختص بها القرآن الكريم وحده فلا نجدها فى اى كتاب آخر فى أى مكان فى الدنيا . واذا علمنـــا أن الســـور التى تفتتح بهذه الحروف ٢٩ سورة وأن عدد الحروف التى تدخل فى تركيب الفواتح ١٤ حرفا وأن عـــدد الفواتح أيضـــا ١٤ فاتحـــة لوجـــدنا مجموع ٢٩ + ١٤ + ١٤ = ٥٧ أى ١٩ x ٣ .

٢٣ــ مما يدل على أن الحروف القرآنية فواتح السور تشتمل على الجزء الأعظم من هـــذا النظام الحسابى القرآنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا فى ثمانية سور أن هـــذه الحروف تشتمل على معجزات القرآن الكريم وهذه السور الثمانية (الآيات الأولى) هى : يونس ، الرعد ، الحجر ، الشـعراء ، النمل ، القصص ، لقمان .. علما بأن القرآن الكريم يستعمل كلمة آية أو آيات لتعنى معجزة أو معجزات لقوله تعالى : **« ولقد آتينا موسى تســـع آيات بينات »** . وان كلمة معجزة او تصريفها لم تستعمل فى القرآن اطلاقا .

٢٤ــ بدراسة سورة « ق » اتضـــح أنها تحتوى على ٥٧ حرف « ق » وهذا يساوى ١٩ x ٣ .

٢٥ــ هناك سورة اخرى واحدة تفتح بالحرف « ق » وهى سورة الشورى (حم عسق) وبدراسة هذه السورة اتضح أنها تحتوى على نفس العدد من حرف « ق » أى ٥٧ وهو ١٩ x ٣ رغم أن سورة الشورى أطول بكثير من سورة « ق » .

٢٦ــ سورة « ق » تحتوى على ٥٧ « ق » وسورة الشورى تحتوى على ٥٧ « ق » ، فاذا جمعنا ٥٧ + ٥٧ نجد المجموع ١١٤ يساوى عدد ســـور القرآن الكريم علما بأن ســـورة « ق » تبدأ بقوله تعالى : **« ق والقرآن المجيد »** فاذا كان الحرف « ق » يرمز للقرآن فان هذه الظاهرة الاعجازية تعلمنا أن الــ ١١٤ سورة هى القرآن .

٢٧ــ السورتان الوحيدتان فى القرآن الكريم اللتان تفتتحان بالحرف « ق » تحتويان على نفس العدد من الحرف « ق » ٥٧ + ٥٧ فى كل سورة

منهما ، وثبت من دراسة الكمبيوتر ان هاتين السورتين هما الوحيدتان اللتان تحتويان على هذا العدد من الحرف « ق » ٥٧ فكأن الله سبحانه وتعالى يعطينا اشارة بوضع الحرف « ق » فى بداية هاتين السورتين لاثبات أنه سبحانه وحده الذى يعرف عدد حروف كل سورة من سور القرآن الكريم .

٢٨— من الأمثلة التى توضح للعالمين أن كل كلمة .. بل كل حرف فى القرآن الكريم قد وضـــع بتصميم الهى واحكام يفوق طاقات الانس والجن ان الآية ١٣ من سورة « ق » تقول : **« وعاد وفرعون واخوان لوط »** فى حين أنهم يسمون دائما « قوم لوط » اذ أنهم مذكورون فى القرآن الكريم ١٢ مرة ورغم ذلك فانهم يســمون فى كل مرة « قوم لوط » ماعدا فى سورة « ق » فانهم يسمون « اخوان لوط » . هــذا هو الاستثناء الوحيد للناس الذين كفروا بلوط عليه الســلام ويسمون فى القرآن الكريم دائما « قوم لوط » ماعدا فى سورة « ق » فانهم يسمون « اخوان » ويتضح لنا فى الحال الاحكام الالهى فى اختيــار كلمة « اخوان » فى ســـورة « ق » بدلا من كلمة « قوم » ، اذ أن استعمال كلمة « قوم » يؤدى الى زيادة عدد الحرف « ق » فى سورة « ق » فيصبح المجمــوع ٥٨ ق وتصبح مختلفـــة عن الـــ ٥٧ ق فى سورة الشــــورى ، والعدد ٥٨ ليس من مضاعفات العـــدد ١٩ وكذلك مجموع ٥٨ + ٥٧ يصبح ١١٥ وهذا لا يساوى عدد ســـور القرآن ؛ بمعنى آخر ينهار كل النظام الحسابى الدقيق بتغيير كلمـــة واحدة قوم بدلا من اخوان ... وهكذا يصلنا البرهان الدامغ على أن القرآن الكريم :

أولا : لا يمكن أن يكون من قول البشر وانه حقــا وصدقا من رسالة الخالق العظيم الى كل مخلوقاته .

ثانيا : انه قد وصلنا دون أدنى تحريف أو زيادة أو نقصان .

٢٩— اذا عددنا الحرف « ن » فى السورة الوحيدة التى تفتتح بهذا الحرف وهى سورة « القلم » نجد أن هذه السورة تحتوى على ١٣٣ حرف « ن » وهذا العدد = ١٩ × ٧ آخذين فى الاعتبار أن الحرف « ن »

يكتب فى الرسم العثمانى للمصاحف الأصيلة ثلاثة حروف هكذا « نون » .

٣٠ــ اذا عددنا الحرف « ص » فى السور الثلاثة التى تفتح بهذا الحرف وهى سورة الأعراف وسورة ص وسورة مريم ؛ نجد العدد فى السور الثلاثة ١٥٢ أى ١٩ × ٨ . ويلاحظ أن بصطة فى سورة الأعراف تكتب بحرف « س » فوق « ص » فيكون عددها ٩٧ وليس ٩٨ . أى يكون العدد فى السور الثلاث على هذا الأساس ١٥٢ أى ١٩×٨ .

٣١ــ اذا عددنا الحرف « ط » والحرف « هـ » فى سورة طه نجد المجموع ٣٤٢ أى ١٩ × ١٨ .

٣٢ــ اذا عددنا الحرف « ى » والحرف « س » فى سورة « يس » نجد المجموع للحرفين معا ٢٨٥ أى ١٩ × ١٥ .

٣٣ــ اذا عددنا الحرف « ح » والحرف « م » فى السور السبعة التى تفتح بالحرفين « حم » نجد المجموع فى السور السبعة ٨٩٨٧ أى ١٩ × ٤٧٣ والسور السبعة هى غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

٣٤ــ اذا عددنا الحرف « أ » والحرف « ل » والحرف « م » فى السور الثمانية التى تفتح بالحروف « الـم » وهى سورة البقرة وآل عمران والأعراف والرعد والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة ؛ نجد المجموع ٢٦٦٧٦ أى ١٩ × ١٤٠٤ .

٣٥ــ اذا عددنا الحرف « أ » و « ل » و « ر » فى السور الخمسة التى تفتح بالحروف « الـر » وهى سور يونس وهود ويوسف وابراهيم والحجر ثم يضاف عدد الحرف « ر » فى سورة الرعد « الـر » نجد المجموع ٩٧٠٩ = ١٩ × ٥١١ .

٣٦ــ اذا عددنا الحرف « ط » فى السور الأربعة التى تفتح بهذا الحرف وهى : طه والشعراء والنمل والقصص وكذلك الحرف « س » فى السور الخمسة التى تفتح بهذا الحرف وهى : الشعراء والنمل والقصص ويس والشورى نجد أن مجموع الحرفين « ط » و « س » = ٤٩٤ أى ١٩ × ٢٦ .

٣٧— مجموع الحروف « ط » فى السور الأربعة و « س » فى السور الخمسة و « م » فى السور الـ ١٧ هو ٩١٧٧ أى ١٩ × ٤٨٣ .

٣٨— مجموع الحروف « أ » و « ل » و « ر » فى سورة الرعد التى تفتح بالحرف « المر » = ١٥٠١ أى ١٩ × ٧٩ .

٣٩— مجموع الحروف « أ » و « ل » و « م » و « ص » فى سورة الأعراف التى تفتتح بالحروف « المص » = ٥٣٥٨ أى ١٩ ×٢٨٢ .

٤٠— مجموع الحروف « ك » و « هـ » و « ى » و « ع » و « ص » فى سورة مريم التى تفتح بالحروف « كهيعص » يساوى ٧٩٨ أى ١٩ × ٤٣ .

٤١— مجموع الحروف « ح » و « م » و « س » و « ق » فى سورة الشورى التى تفتح بالحرف « حـم عسق » = ٢٧٠ أى ١٩ × ٣٠ .

٤٢— مجموع الحرف « أ » فى السور الـ ١٣ التى تفتح بهذا الحرف يساوى ٧٤٩٩ أى ١٩ × ٩٢١ (السور الـ ١٣ هى : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، ابراهيم ، الحجر ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة) .

٤٣— مجموع مكررات الحرف « ل » فى السور الـ ١٣ التى تفتح بهذا الحرف وهى نفس السور المبينة عاليه تحت رقم ٤٢ يساوى ١٧٨٠ أى ١٩ × ٦٢٠ .

٤٤— مجموع الحرف « م » فى السور الـ (١٧) التى تفتح بهذا بالحرف يساوى ٨٦٨٣ أى ١٩ × ٥٧ . علما بأن السور الـ ١٧ هى : البقرة وآل عمران والرعد والشعراء والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

ومن هذا يتبين أن هذا النظام الحسابى المعجز يتراوح فى عظمته بين البساطة المتناهية التى تتناسب مع أبسط العقول تفهما وبين التشابك والتوافق والتكامل الذى يحتاج الى العقول الألكترونية ويناسب أكثر الناس علما وفهما .. وفى ذلك فان هذه المعجزة القرآنية الرائعة تشابه القرآن

الكريم وعظمته التى تناسب ابسط الناس وايضا أعلم الناس .. ويتبين لنا بعد دراسة هذا النظام الحسابى القرآنى المذهل لماذا يؤكد الله عز وجل المعجزة القرآنية الحسابية « احدى الكبر » ... كما يتبين لنا أن هـذا النظام الحسابى يقدم للبشرية جميعا ولأول مرة فى تاريخ القـرآن ؛ على الأرض ؛ الدليل المادى الملموس الخالى من العواطف والتفسيرات والتأويلات والتخمينات على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر وان كل كلمة وكل حرف من حروف القرآن انما وضع طبقا لتصميم حسابى محكم يفوق طاقات الانس والجن .

وقد شاء المولى سبحانه وتعالى أن يبقى هـذا النظـام الحسابى القرآنى الدقيق سرا خافيا لمـدة ١٤٠٠ سنة حتى يكتشف البشر بأنفسهم العقول الألكترونية التى تستطيع بيان هذه المعجزة الحسابية فيثبت للبشر كافة ، وبطريقة ملموسة لا تقبل الشـك أو الجدال ، وأن القرآن الكريم قد وصل الينا دون نقص ولا زيادة ولا تحريف وأنه حفظ على مدى العصور والأجيال مصداقا لقوله تعالى : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** .

ونعلق على هذا بأن هذا الاحصاء العددى دل على أن طريقة كتابة المصحف على النحو الذى كتب به فى عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وهو أول مصحف مكتوب بيد الصحابة الأجلاء وعلى رأسهم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه الذى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليـه وسلم ، انما هى الطريقة الصحيحة الوحيدة لكتابة المصحف . وأن كتابته بأى طريقة أخرى تكون خاطئة ومخالفة لأحـكام الله وأسراره فى كتابه ، الأمر الذى يفرد القرآن الكريم برسمه الخاص ونغمه الخاص ولفظه الخاص وحرفه الخاص ومعناه الخاص وصياغته الخاصة به وترتيب سوره ربطا باحصاء حروفه ، المعجزة المادية التى ستكشف باذن الله تعالى عن أسرار أخرى مذهلة بعونه جل شأنه .

ويجب على كل مسلم أن يعلم أنه طالما قد فهم هذه المعجزة المادية ، فانه وعلى قدر طاقته مكلف ببيانها لكل مسلم وغير مسلم تحقيقا لقوله تعالى **« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهـدى من بعـد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »** البقرة ١٥٩ وكذلك ينهى الله

عن أن يتاجروا به فى قوله تعالى : ((**ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) البقرة ١٧٤ .

لذلك ، كما يجب على كل مسلم ، فانه تجب على جميع أجهزة الدولة ومن خلال قنواتها الاعلامية المختلفة بيان هذه المعجزة المادية للناس مرات ومرات وعلى فترات كثيرة حتى ترسخ فى وجدان الناس وتستقر فى قلوبهم فيستيقن أهل الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا .

قال تعالى : ((**ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد**)) سبأ ٦ .

وهؤلاء العلماء بالتالى يجب أن يكونوا على علم بالذى انزل الى رسولنا صلى الله عليه وسلم حتى يعلموا أنه الحق .

ومن هذا وجدت مسئولية علماء المسلمين ، العلماء العلميين بالدرجة الأولى ، ليستخرجوا من القرآن الكريم الحقائق العلمية التى يكون عليهم بالتالى تفصيل البراهين عليها ثم ينشروها على العالمين ، كالمثال الذى بيناه آنفا .

ذلك بأن العلم المادى قرين مادية الانسان وأقرب الى نفسه وحواسه وعقله من الفكر النظرى أو الايمان بالغيبيات بغير وعى . ولهذا نجد أن العلماء الماديين اذا ما انتهوا فى علمهم الى حقائق غير مدركة بالحواس وفى الوقت نفسه تلزم النتائج التى وصلوا اليها ، سرعان ما يدركون أن هذا هو الخالق المسيطر على كل شىء وخالق كل شىء .

وكمثل لذلك نقدم بعض أفكار لعلماء ماديين غير مسلمين ، وصلوا من نتيجة أبحاثهم الى ضرورة وجود الله سبحانه (١) .

فيقول العالم الأمريكى د. ادوارد لوثر كيل صحيفة ٢٩ و ٣٠

---

(١) كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » ألفه نخبة من العلماء الأمريكيين وترجمه دكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان .

من كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » من يؤمن بنتائج العلوم يؤمن بفكرة الخلق ، وقوانين الطبيعة تؤكد أنهـا ثمرة الخلق ؛ واذا فلابد من الخالق الذى سخرها جميعا وسخر استمرارها عن طريق « التطور » .

وتعليقنا على ذلك قول الله تبارك وتعالى : ((**ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض واسـبغ عليكم نعمـه ظاهرة وباطنة ؛ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**)) لقمان ٢٠ وهذه الآية حقيقة علمية قرآنية ، وصل اليها العالم لوثر كيل بالأدلة العلمية ونتائجها وبهذه الوسيلة يمكن بيان اعجاز القرآن للذين لا يعلمون اللغـة العربية ، ويزداد الذين آمنوا ايمانا .

ولهـذا فان الله سـبحانه يعقب على هـذه الآية بحقيقتها وطريق الوصول اليها فى قوله تعـالى : ((**واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليـه آباءنا ؛ أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عـذاب السـعير**)) لقمان ٢١ وهذا بيان من الله عن الذين يقومون بالدعوة اليه بالعلم والأدلة العلمية فيقولون من منطلق الحقائق العلمية « اتبعوا ما أنزل الله » وانه لن يعصى هذه الدعوة الا الجهلة فقط بقولهم « بل نتبع ما وجدنا عليـه آباءنا » .

ولهذا يقول د. ولتر لندبرج :

١ ـــ تربية العقول فى المنظمات المسيحية على أن الله ظهـر فى صـورة الانسان ، يجعل هذه العقول بعد أن تكبر وتمارس الحيـاة العلمية الفعلية ينبذون هذه الفكرة لتناقضها مع المنطق والتفـكير العلمى ، ثم يتخلصون من هـذا الصراع بين ما كانوا يعتقـدون وما أصبحوا يقتنعون ، بأن ينبذوا فكرة الله كلية بل ويتاومون أى فكرة بعـد ذلك تتصل بهـذا الموضوع .

٢ ـــ ولا تنبع فكرة الايمان بوجود الله أصلا من قدرة الانسان على تقدير هذه الفكرة . ولكنها ترجع الى أن الانسان نفسه قد خلق « خليفة الله » فاذا نبذ الانسان فكرة الايمان بالله على صورته وآمن بما تكشف عنه وتدل عليه الظواهر الطبيعية من أن الانسان هو الذي خلق على

صورة الله — صورة معنوية من ناحية القيم واصـــول السلوك —
أو خليفة له ؛ فانه يسير فى الطريق السليم نحو الايمان بجلال الله
وقدسيته .

ونعقب على ذلك بأن الأدلة العلمية هنـــا مقدمات حقيقية ومسلمات
ثابتة وبالتالى تؤدى الى الوصول الى الحقيقة الكبرى وهى « **ليس كمثله
شىء** » ، فمن هذه الأدلة نعلم أنه سبحانه حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ،
والا انهار نظام الكون ، وأن سبحانه يطعم ولا يطعم والا احتاج الى غيره
فيكون ناقصا ، وانه سبحانه الأرض جميعـــا قبضته والسماوات مطويات
بيمينه دليلا على عظم قوته والا ما استطعنا أن نفسر سر القـــوة الهائلة
التى تمسك بالكون وترفع السماوات بغير عمد كما ترونها ، وأن استمرار
خلق المجرات دليل على أنه سبحانه « **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون** »
الذاريات ٤٧ ، وانه جل شأنه يقل للشىء كن فيكون ، وأن الوتيرة الوحيدة
التى يسير عليهـــا الكون واستمرار ذلك ابدا مصـــداقا لقوله تعـــالى :
« **وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له
ولى من الذل ، وكبره تكبيرا** » الاسراء ١١١ .

ويقول د. ايزفنج وليام : لا أستطيع أن اتصور أن المصادفة وحدها
تستطيع أن تفسر لنا ظهور الألكترونيـــات والبروتونات الأولى أو الذرات
الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الاول أو البذرة الاولى
أو العقل الأول ، اننى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير
المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر الكون التى نشاهدها .

ونعلق على ذلك بأنه اذا كان هـــذا العـــالم المادى قد أثارته ابحاثه
التجريبية المادية فيما ذكر وانتهى منها الى « اعتقـــاده » فى وجود الله ،
فان التحدى الالهى القائم ابدا فيمن خلق « المنى » اكبر مما رآه هذا العالم
يقول سبحانه جـــل جـــلاله : « **أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن
الخالقون** » الواقعة ٥٨ و ٥٩ ، ذلك بأن هذا الحيوان موجود أمام العلماء
ولكنهم لا يعرفون كيف يخلق ولا يستطيعون أن يخلقوا شيئا منه ، بل هم
منه ويقتدون به رغم أنوفهم « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » الذاريات ٢١ .

وهـــذه حقائق قرآنية يتوصل اليها العلم بالتجربة والتجربة دليـــل مادى ملموس اى مقدمة ثابتة ومسلمة تؤدى الى ثبوت صحة الحقيقـــة العلمية القرآنية وبالتالى التسليم لله والايمان به وبرسوله .

ونعلق ايضـــا على الظواهر الطبيعية ، فكما ذكر الرحمن فى القرآن من ظواهر يمكن للانسان أن يلمسها بنفسه وهى فى متناول يده كقوله تعالى « **مرج البحـــرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيـــان** » الرحمن ١٩ و ٢٠ ، فان الذى تشاهده العين أن الأرض كرة وهـــذا تم تصويره ومشاهدته ، واذا فلهـــا « فوق » و « تحت » ومع ذلك فان البحـــار التى فى « فوق » لا تغمر البحار ولا الأرض الى فى « تحت » ويقول رب العالمين ان هـــذا سببه « **بينهما برزخ فلا يبغيان** » اى حاجز من القدرة الالهية . ولأن هـــذا الحاجز غير موجود فى الطبيعة وما دامت التجارب تثبت نظرية استطراق المـــاء أى ما دامت متصلة القنوات فلابد من اســـتوائها ، لذلك كان لابد من الايمان بقـــوة الله اى الايمان بأن الله سبحانه هو الذى يمنـــع الأعلى من أن يغمر الذى تحت .

والأدلة العلمية كثيرة جـــدا وكل منها يبرهن على صحة الحقـــائق العلمية القرآنية مثل حقيقة « **والأرض وضعها للأنام** » والليل والنهـــار وخلق الســـماوات والأرض وخلق الانســـان من تراب وقوله تعـــالى : « **الم تر انا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا** » وقوله عن الماء : « **وما أنتم له بخازنين** » وغيرها كثير .

ولأن الانسان اكثر شىء جدلا ، فان الله يقول : « **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل ؛ وكان الانسان اكثر شىء جدلا** » الكهف ٥٤ .

والمثل الذى يعنيه رب العالمين — والله أعلم — هو على وجه الحقيقة الموجودة فى القرآن . فالله جل شأنه يبين أن أساس البيان للناس هو بيان الحقائق مع البديهيات التى فطر الناس عليهـــا فيتخذوها سبيلا للوصول الى اثبات أنها من عند الله جل جلاله .

ورب العالمين يبين لنا ذلك بمنتهى الوضـــوح ، فيقول ان المؤمنين وعلى رأسهم المرسلين يتخذون حقائق الله الموجودة فى السماوات والأرض

أدلة على الحقائق الالهية ، وبالتالى يؤمنون ويؤمن النـــاس بالله سبحانه ويشرح لنا العلى العظيم على لسان ابراهيم عليه السلام متفكرا باحثـــا عن ربه جل شأنه فيقول تعالى : ((**فلما جن عليـــه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا ، قال هذا ربى . فلما أفـــل قال لئن لم يهـــدنى ربى لأكونن من القـــوم الضـــالين**)) الأنعام ٧٦ و ٧٧ أى أن الله جل شأنه يبين أن ابراهيم عليه السلام فكر فى الحقيقة الموجودة فعلا أمامه فى الواقع وهى أولا الكوكب وثانيا القمر ، فلما وجد أن هذه الحقيقة التى فكر فيها تغيب عنه أى أنهـــا ليست دائمة كما أنها متغيرة ، فقد علم أنها ليست هى ربه ، لأن الخالق لابد أن يكون قيوما ودائما لأن جميع مظاهر الحياة تحتاج القائم عليها دائما أبدا ، وبالتالى فان الله سبحانه لا يجوز عليـــه التأقيت ولا التغيير ولا أن يكون عارضـــا ولو لبعض الوقت . فذهب ابراهيم عليه السلام — بيانا من الله للنـــاس عن طريق التفكر — يبحث عن شىء أعظم واثبت فقال سبحانه على لسان ابراهيم : ((**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هـــذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون**)) فبين العـــلى العظيم أن ابراهيم عليـــه السلام لما وصل بفكره الى اكبر ما يراه الانسان فى الوجود وهو الشمس وتبين له أنها تغيب عنه شأنها شأن الكوكب والقمر ، فان ابراهيم أدرك الحقيقة الكبرى وهى أن ربه لابد أن يكون هو الذى خلق هذه الأشياء كلها ، لا لشىء الا لأن كل شىء يراه يجده يتغير دائما ومؤقتا دائما وبالتالى فان تغير هذا كله وظهوره وأفوله لابد أن يكون من صنع خالق ومحرك عظيم القوة عظيم الشأن قاهر فوقها غالب على أمرها لطيف يعرفها خبير بها ، فاستدل من تلك الأدلة ما أكد له علما فقال : ((**انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**)) الأنعام ٧٩ .

وبهـــذا المثل البرهانى — وهو مثل تعليمى واضـــح — يبين العلى العظيم طريق الذين يجادلون فى كتاب الله ، فابراهيم عليه الســـلام يؤمن مبدئيا بالله ويبحث عنه فيقول ((**هـــذا ربى**)) فلما أفل يبحث عنه فى غيره ويقول ثانية ((**هـــذا ربى**)) أى الايمان بالله متمكنا من قلبه ، فلما تبين له أنه ضل فانه يبحث عنه فى غيره ويقول أيضا ((**هذا ربى**)) ، فهو فى كل مرة انما يبحث من منطلق الايمان بالحقيقة الالهية وهذا هو أول أصل من أصول

جدل المتكلمين أن يكون لديهم الايمان الكامل بالله جل شأنه وانما يبحثون ليصلوا بالدليل الذى يدل على الموجد دليلا تلو الدليل حتى يصلوا الى حقيقة الحق تبارك وتعالى فيكون ما فعلوه برهانا ساطعا .

لذلك فان ابراهيم عليــه الســلام يتخذ من الحقائق التى تثبت له فى طريق بحثه أدلة أخرى للوصول الى الفاعل أو الحقيقــة النهائيــة ، فلما وجد أن الكوكب أفــل عرف منه حقيقة هى أن الكوكب مخلوق وليس هو ربه . لأن الأفول يدل على أنه متغــير نتيجــة أنه يتحرك وبالتــالى فهو مفعول وليس فاعلا ، وربه لابد أن يكون هو الفاعل ، وهكذا فى كل مرة ، فاستخلص من هذا « علم » هو أن كل شىء يراه فى السماوات والأرض وما بينهما انما هى مخلوقة لأنها مفعولة ، وكان هذا العلم الذى استخلص الوتيرة الواحدة والنظام القاهر الواحــد دليلا على أن الخالق واحــد ، نعرف من هــذا الطريق البرهانى الذى بدأه بالبديهيات والحقائق الثابتــة المعلومة والمرئية ومن نتيجة النظر فيها ومراقبة حركتها ان الأدلة والحقائق انتهت الى بيان محصــلة كاملة هى « العلم » بالخالق الواحد لكل شىء ، فآمن ، فكان ايمانه بأن الخالق لكل شىء هو ربه لا شريك له .

ولأنه هو الخالق لكل شىء فانه ليس منها وبالتالى فهو « غيب » .

واذا كان هــــذا مثـــالا ؛ فى طـــريق البحث الذى يفــــرض على المسلم اتباعه فى بحثه عن حقيقة أى شىء ، فان الله جل شأنه ، يبين لنا الطريق الخطأ الذى يتبعه الفلاسفة تحقيقا لقوله تعالى : **((ما فرطنا فى الكتاب من شىء))** فيقول ان الكافرين يتخذون من الباطل دليلا فيصلوا الى باطل ، ولما كان هذا طريقهم فانهم يريدون أن يدحضوا الحق استهزاء بآيات الله ونذيره لهم فيقول جل شأنه : **((... ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ، واتخذوا آياتى وما انذروا هزوا))** الكهف ٥٦ . فالباطل هو طريق البحث الفلسفى لأنه يبدأ بمقدمات أى تعريفات من لدن العلماء المفكرين وفروض وهى احتماليــة بطبيعتهــا ومبنية على معلومات ظنيــة أو مسلمات — هى كذلك فى نظرهم فقط — ويطلبون الى النــاس التسليم بصحتها مبدئيا ، ويكون هــذا هو أساس بحثهم . فهو أساس ليس مبنيا

على الحقائق الثابتة ، فاذا ما ساروا فى تفكيرهم فانما ليعرفوا أسباب حركة الشىء الذى فرضوه أو تصوروه ، فهم من وهم الى وهم ومن فرض الى نتيجة أى من احتمال الى احتمال مرجح ، فيضل بهم الطريق عن الوصـــول الى الحقيقة . وبالعكس وجدنا أنهم عندما يؤسسون بحثهم على البديهيـــات — وهى يقين — أى حقـــائق ثابتة لا تحتـــاج الى برهان ، فانهم سرعان ما يصلون الى الحقائق العلمية الصحيحة ، وبالتالى رأينا التقـــدم المذهل للعلوم المادية وبالتالى اكتشاف «الأسماء» لأن كل علومها بنيت على بديهيات الرياضة والحساب (١) . وكذلك وضع قوانين سقوط الأجسام فى الطبيعة والكهرباء والمغناطيسية وهى كلها واقع مجزوم به أى ثابتة يقينا . وبالتالى كان التقدم العلمى على أساسها تقدما فى الطريق العلمى الصحيح وبالتالى كانت النتائج صحيحة ويقينية كذلك . وهذا هو تفسير التقدم الهائل فى صنع المكتشفات الحديثة على اختلاف أشكالها وأنواعها وأعرافها ، الأمر الذى جعل الناس يركبها الغرور ويظنوا أنهم هم الخالقون .

تقدموا فى صنع الأشياء ، وضلوا عن سبيل الله فقالوا آخر ما قالوا بالوجودية للانسان منكرين الخالق عز وجل (٢) .

---

(١) كتاب الشفاء — البرهان ص ١٩٦ — ٢١٠ لابن سينا حيث يقول ان السبب فى عدم حدوث خطأ فى العلوم الرياضية أنها مبنية على بديهيات .

(٢) كمثال لما يتعلمه الطلبة الصغار السن والعلم والادراك فى الجامعة نذكر كتاب « المذاهب الفكرية المعاصرة » كلية آداب عين شمس سنة ١٩٨١ وفكرة الوجودية باختصار أنها تهتم بدراسة الوجود العينى الواقعى الذى نراه بالعين وليس الوجـــود المجرد اللاملموس واللامحســـوس (أى انكار للغيبيات كلها) وترى الوجودية أننا لا نستطيع فصـــل الماهية عن الوجود وأن الماهية تسبق وجوده (وهذا انكار لقدرة الله فى خلقه **« ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم »** الحج) الى آخر ما فى هذه الأفكار من تحوير وتحريف باسم التقدم الفكرى ؛ الذى يهز ايمان أبنائنا وهم ما زالوا فى بداية طريق العلم بالله .

الفصل الثاني

الدليـــل والبرهـــان

الدليل فى اللغة هو ما يستدل به ، والدليل الدال أيضا . وكلمــة الدليل وردت مرة واحدة فى كتاب الله المحكم فى قوله تعالى « **ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شـاء لجعله سـاكنا وجعلنا الشـمس عليه دليلا** » الفرقان ٤٥ .

وقال الامام بن كثير فى تفسيره : من ههنا شرع سبحانه وتعالى فى بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفــة والمتضادة فقال تعالى : « **ألم تر الى ربك كيف مد الظل** » قال ابن عباس وغيره : هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس « **ولو شـاء لجعله ساكنا** » أى دائما لا يزول كما قال تعالى « **قل أرأيتم ان جعل الله عليــكم الليل سرمدا** » وقوله تعالى : « **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** » أى لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده) (١) .

ولما كان الدليل يدل على شىء ، فان الدليل هو المسند اليه والشىء الذى دل عليه هو المسند . أى ان الدليل هو الفاعل والعلم هو المفعول المسند الى الفاعل . ويكون الدليل صادقا بأن يكون المسند مجزوما مطابقا للواقع . وبالتالى يصير علما .

ولذلك فان أداة الاثبات الحق أى الدليل الصـادق هو المنضبط أى الذى لا يتغير ، والظاهر الذى يدل فعلا على ما يدل عليه بصراحة قطعية أو ظنية ومناسبا لما يدل عليه بأن يكون فاعلا له أو محققا له .

ولأن « الدليـــل » هو أداة الحجــة ومضمون البرهان ، فانه يعتبر بحق أهم شىء فى نطاق العلم ، لأنه لا علم بغير دليل عليه .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣/ ٣٢٠ بتصرف وتفسير الجلالين / ٣٢٣ نفس المعنى .

ومن هنا كان الكلام عن « الدليل » هو جوهر علم المنطق اى علم الفكر ، فوسيلة التفكير هى « الدليل » أولا وأخيرا ، فبغير الدليل لا تقوم حجة ولا ينبنى برهان على شىء .

و « المنطق » كعلم عرفه الاغريق وبرع فيه ارسطو الذى وضـع أسس الاستدلال الغير مباشرة اى القياس . واساس القياس هو الأدلة ومعرفة العلة كدليل على الحكم .

ولما كان استخراج « العلة » من الأدلة الشرعية وقيـاس الحالات التى ليس لها حـكم على الحالات المماثلة وفيها حـكم يقتضى معرفة العلة التى تجمع بينهما . فان فهم معنى « الدليل » وانضباط هذا الفهم ودقتـه معا هما اللذان يؤديان فعلا الى استنباط الكثير من الأحكام التى لم يرد بها نص لمقابلة حاجات الناس المتعددة والمتلاحقة والمتغيرة من زمن لآخر ومن بيئة لأخرى ، الأمر الذى يجعل الفكر وبالتالى التشريع مرنا مقـابلا لحاجات الناس ، وبالتالى رفع الحرج عنهم والتيسير عليهم .

لذلك كان الفقه الحنفى مرنا لأنه الفقه الذى اشتهر صاحبه الامام ابى حنيفة بأنه القياس اى الكثير القياس ، ولأنه كذلك فانه مازال هو المذهب الذى يقابل حاجات الناس ويمهد الطريق بما برع فيه رائده لمزيد من القيـاس على مدى الزمن .

واذا كان ابو حنيفة قد آمن بضرورة التوسـع فى القياس حتى انه افترض حالات لم تقع بعد ووضع لها احكاما بطريق القياس على ما هـو مماثل لها فى الواقع وله أحكام لجامع العلة بينهما ، فأثرى بذلك الفقـه الاسلامى حتى قال عنه الشافعى رضى الله تعالى عنه : كلنا عيال علـى ابى حنيفة .

ولاهمية القياس أسماه الشيخ الرئيس ابن سينا بأنه البرهان فقال (فى فصل من منفعة المنطق : فالمنطق هو الصـناعة النظرية التى تعرف انه من اى الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذى يسمى بالحقيقة حدا ، **والقياس الصحيح الذى يسـمى بالحقيقة برهانا ، وتعرف انه عن اى**

الصور والمواد يكون الحد الاقناعى الذى يسمى رسما ، وعن أى الصور والمواد يكون القياس الاقناعى الذى يســـمى ما قوى منه وأوقع تصــديقا شـــبيها باليقين جدليا ، وما ضعف منه وأوقع ظنا غالبا خطابيا . وتعرف أنه عن اى صورة ومادة يكون الحد الفاسد ، وعن اى صورة ومادة يكون القياس الفاسد الذى يسمى مغالطيا وسوفسطائيا ، وهو الذى يتراءى أنه برهانى أو جــدلى ولا يكون كذلك ، وأنه عن أى صــورة ومادة يكون القياس الذى لا يوقع تصديقا البتة ، ولكن تخييلات يرغب النفس فى شىء أو ينفرها ويقززها ، ونسبتها الى الروية [اى الفكر والنظر وهما الطريق النظرى المؤدى الى العلم بالمجهول] نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر . لكن الفطرة السليمة والذوق السليم ربما أغنيا عن تعلم النحــو والعروض ، وليس شىء من الفطر الانسانية بمستغن فى استعمال الروية عن التقـــدم باعداد هذه الآلة الا أن يكون انســـــانا مؤيدا من عند الله تعـــالى) (١) .

ولأن المنطق معناه لغـــــة الكلام ، فان العرب اهتموا بهذا العلم . لا سيما وأن الله سبحانه ذكر فى كتابه الكريم « **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء** » فصلت ٢١ وقوله تعـــــالى : « **وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء** » النحل ١٦ .

فعرف العرب القياس — كأهم وســــيلة فكرية كلامية — بأنه قول مؤلف من قضايا ، اذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر (٢) . ويلاحظ أن هذا التعريف لا يختلف عن تعريف أرسطو حيث يقول انه استنتاج نتيجــة من مقدمتين . ولكى نسلم بصدق النتيجة لابد أن تكون المقدمتين صادقتين.

ومن هذا ، تشعر بأن الأصل — حســـب هذه التعريفات — هو أن

---

(١) « النجاة » لابن سينا / ٥ و ٦ . ويرى أرسطو فى كتابه « ما بعــد الطبيعـــة » أن البرهان يكون من علل ومبـــادىء ، لذلك فان المعـــرفة الحقيقية لابد أن تفسر بعللها (تراث الانســـانية — المجلد الثانى / ٥٢٤ وما بعـــدها) .

(٢) « المنطق الصورى والرياضى » للدكتور عبد الرحمن بدوى / ١٥٨ — ١٦١ —

تعطى المقدمات أولا ، ثم يقوم المفكر باستخلاص النتائج ، والواقع قد يكون غير هذا ، فقد يكون لدى المطلوب الذى أريد البرهنة عليه فأبحث له عن مقدمات تثبته فيكون هو المعطى أولا ، لا المقدمات ، وهذا يماثل تماما طريق الجدل فى علم الكلام كما بينا ، ولذلك فان الأصوب أن نقول ان القياس هو عملية بحث عن الدليل أولى من أن يكون عملية استخلاص نتائج ؛ وهو ما يعرف به البرهان لدى البعض بقولهم ان البرهان يبدأ من النتيجة لكى يبرهن على صحتها بردها الى المقدمة أو المقدمات التى تلزم عنها .

ومع ذلك ، فنرى المتأثرين بالفكر الأرسطى وعلى راسهم ابن سينا يعرف البرهان بأنه قياس يقينى مؤلف من يقينيات لانتاج يقينى فهو قياس ذو مقدمات خاصة يوصل الى العلوم اليقينية ؛ فهو يعطى التصديق بالمطلوب ويعطى علة وجود المطلوب فى نفسه معا . واليقين عند ابن سينا هو الاعتقاد بالشىء أنه كذا مع الجزم التام بأنه لا يكون الا كذا ومع عدم قبوله التغيير لكونه بديهيا أوليا ، أو لكون مقدمات قياسه منتهية الى البديهية (١) .

واذا عدنا من هذا الى التفسير القرآنى لمعنى البرهان فى قوله تعالى « **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا** » النساء ١٧٤ ، وجدنا الامام ابن كثير يقول (انه الدليل القاطع للعذر والحجة المزيلة للشبهة ، ولهذا قال تعالى « **وأنزلنا اليكم نورا مبينا** » أى ضياء واضحا على الحق ، قال ابن جريج وغيره هو القرآن) (٢) . وفى قوله تعالى : « **اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم يدك الى جناحك من الرهب ، فذانك برهانا من ربك الى فرعون وملئه ..** » القصص ٣٢ يفسرها الامام ابن كثير بقوله (برهانان أى دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوءة من جرى هذا الخارق على يديه) (٣) . وفى قوله تعالى « **ولقد همت به وهم بها لولا أن رءا برهان**

---

(١) كتاب « الشفاء — المنطق ٥ — البرهان » لابن سينا / ٧٨ — ٨٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ١/ ٥٩٢ وتفسير الجلالين /١٠٤ نفس المعنى .
(٣) المرجع السابق ج ٣٨٨/٣ .

ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، انه من عبادنا المخلصين » يوسف ٢٤ يقول الامام ابن كثير (أما البرهان فعن ابن عباس وغيره رأى صورة أبيه يعقوب عاضا على اصبعه بفمه ، وقال العونى عن ابن عباس انما هو خيال قطفير سيده حين دنا من الباب . وقال الامام ابن جرير الطبرى : والصواب أن يقال انه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان هم به ، وجائز أن يكون صورة يعقوب او صورة الملك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك فالصواب أن نطلق كما قال الله تعالى **« كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء »** أى كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء فى جميع أموره **« انه من عبادنا المخلصين »** أى من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار عليه السلام) (١) .

وهنا نرى أن التفسير ينحو الى أن البرهان كان شيئا ماديا رآه يوسف عليه السلام فصرف عنه السوء ، وان اختلف المفسرون فى بيانه ، ويزيد تفسير الامامين الجلالين على هذا بأن الشيء الذى رآه يوسف عليه السلام هو (يعقوب) فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله (٢) . ويرى الأستاذ عبد الكريم الخطيب ان البرهان فى الآية هو سماع يوسف عليه السلام لنفير الاعلان بوصول العزيز (٣) . ويرى الأستاذ أحمد بهجت انه رأى أبيه يعقوب (٤) .

فاذا حللنا هذه الآراء جميعا وجدنا أنها تجمع على أن البرهان فى الآية الكريمة الأخيرة هو شيء مادى رآه أو سمعه يوسف عليه السلام ، كما أن معنى « برهانان » فى الآية التى من قبلها تعنى شيئا ماديا رآه فرعون ، أما معنى « برهان » فى الآية الكريمة الأولى **« قد جاءكم برهان من ربكم »** فهى التى يفسرها بعض المفسرين بأنه الحجة الدامغة . واذا ما رجعنا الى سياق الآية هذه وجدنا أنها مكتوبة هكذا **« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا »** أى يا أيها الناس قد جاءكم

---

(١) المرجع السابق ج ٢ / ٤٧٤ — ٤٧٥ .
(٢) تفسير الجلالين / ٢٠٩ .
(٣) « القصص القرآنى » للأستاذ عبد الكريم الخطيب .
(٤) « أنبياء الله » للأستاذ أحمد بهجت .

رسولنا وأنزلنا معه اليكم القرآن مثل قوله تعالى ((**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**)) المائدة ١٥ . فالذى جاء هو رسول الله والذى معه هو القرآن وكذلك الآية فى سورة النساء ، فان البرهان الذى جاء هو رسول الله والذى أنزل اليكم معه هو القرآن ، فالواو قبل ((أنزلنا)) تفيد المغايرة بين ما قبلها وبين ما بعدها فالذى قبلها الرسول صلى الله عليه وسلم والذى بعدها القرآن نور مبين (١) .

وبهذا يستقيم التفسير لمعنى كلمة ((البرهان)) قرآنيا . ويكون البرهان الذى عنته الآية ٢٤ فى سورة يوسف هو أن يوسف عليه السلام رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فتذكر ميثاق النبيين الذى أخذ عليه للرسول وأن عليه أن يؤمن به وينصره فانصرف السوء الذى حاك بصدره فى الحال وانفلت جاريا الى الباب .

* * *

من هذا نرى معنى البرهان فى القرآن هو الرسول صلى الله عليه وسلم أو شىء مادى كما هو فى بيان معنى ((برهانان من ربك)) . أما المعنى لدى المناطقة فانه عملية استخلاص الدليل من المقدمات اليقينية ، أى انه عملية تبدأ بالبديهيات للوصول الى تحقيق اليقين ، أو من اليقين المطلوب اثباته بالبديهيات والمقدمات اليقينية ، أى أنه عملة البحث الفكرى بدليل أو أدلة قائمة لاثبات حقيقة أى أمر يقين .

ومن ثم ، فانه قد يبدو — لأول وهلة — ان الامر جد مختلف بين المعنى القرآنى والمعنى الفكرى لكلمة ((البرهان)) . ولكن حقيقة الأمر على خلاف ذلك ، فان جدية البحث عن المعنى الصحيح لكلمة الدليل تبين ان معنى البرهان واحد فى الاثنين .

فالدليل هو الدال على الشىء ، والله جل شانه عندما يبين الدليل يبينه فى أوضح حقيقة يراها الانسان بعينيه ، فالشمس هى أكبر شىء يراه

(١) ((علم أصول الفقه)) للشيخ عبد الوهاب خلاف / ١٥٦ .

الانســـان بالعين فى الســـماء ، وهى أقوى شىء مؤثر على الأرض وعلى الانسان وكل ما فى الأرض فهى مصدر الحرارة والضوء والليل والنهار ونمو النبات والثمر وسبب نمو الانسان وهى ســـبب تكوين الســـحب وبالتالى المطر ، وهى أداة عد الأيام والسنين وهى بذلك سبب « الاضافة » وهى احدى بديهيتى علم الحساب .

لهذا جعل الله ســـبحانه وتعالى « الشـــمس » دليلا على « الظل » و « حركة الشمس » دليلا على « مد الظل » . والشمس دليل مادى كائن للعيان ، فهو لذلك وبالتالى دليل حقيقى واقع وأكيد وظاهر وثابت فهـــو منضبط لا يتغير بتغير الأيام ولا الشـــهور ولا الســـنين والدهور ، كما انه لا يتغير بتغير المكان ولا يتغير بتغير الناس (١) .

واذا كانت « حركة الشمس » دليلا ؛ فانه يســـــتدل بها فى الآية الكريمة على مد الظل ، واذا فيعلمنا العلى العليم أن الدليل لابد وأن يكون هو المسبب للسبب أو الفاعل للمفعول أو المسند اليه للمسند ؛ ومن هذا يستقيم لنا معنى الدليل فى أى مقولة فكرية .

فاذا قلنا ان حركة الشمس دليل على مد الظل ، فان حركة الشمس هى دليل على تعاقب الليل والنهار (ســــيأتى تفصـــيل ذلك فى الباب الخامس) ، والشمس دليل على الضوء ، والشمس وهى قريبة دليـــل على الحرارة ، والشمس وهى بعيدة ، دليل على البرودة ، والشـــمس دليل على الفصول الأربع ، والفصول الأربع دليل على السنة ، والســـنة دليل على الحســـاب ، والحســـاب دليل على العدد ، والعدد دليل على الواحد اى أول العد واحدى بديهتى علم الحســـاب ، والواحد دليل على البداية .

وحركة القمر دليل على أوجه القمر ، وأوجه القمر دليل على الأيام

---

(١) يرى الكسندر فون همبولت فى كتاب « الكون » أن العالم الحقيقى هو الذى يوجـــد فى الواقع (تراث الانســـــانية المجلد الثانى ، / ٢٥٥ وما بعدها) .

والأيام دليل على الشهور ، والشهور دليل على السنة ، والسنة دليل على العمر . والعمر دليل على البداية ، والبداية دليل على الحدث .

والظل دليل على الزمن ، والزمن دليل على الوقت ، والوقت دليل على البداية والنهاية .

وتعاقب النهار والليل ديل على الحركة المستمرة ، والحركة المستمرة دليل على الاستدارة والأزلية .

والسحاب الثقال دليل على المطر ، والمطر دليل على الماء ، والماء دليل على الحياة ، والحياة دليل على البداية والنهاية .

والحياة دليل على الوجود ، والوجود دليل على الموت ، والموت دليل على النهاية ، والنهاية دليل على البداية ، والبداية دليل على البعث .

السماوات والأرض دليل على الوجود ، والوجود دليل علته الخلق ، والخلق علته الخالق ، والخالق دليل على السماوات والأرض .

والبذرة دليل على الشجرة ، والشجرة علتها الخلق ، والخلق علته الخالق ، فالخالق دليل على البذرة .

والنطفة دليل على الانسان ، والانسان علته الخلق ، والخلق علته الخالق ، فالخالق دليل على النطفة .

وعيسى خلق بكلمة ، وخلقه بكلمة علته القوة الغيبية ، والقوة الغيبية علتها الله جل جلاله ، فالله سبحانه دليل على خلق عيسى بكلمة منه .

وآدم خلق من طين ، والطين علته التراب والماء ، والتراب والماء دليل على خلق الجسد ، والجسد بحركته علته الروح ، والروح علتها من خلقها ، والروح لا يعلمها الا الله ، فالله جل شأنه هو الدليل عليها .

والتراب والماء من خلق الله — وهذا واقع مجزوم به — فالله هو الدليل عليهما .

اذا فالله سبحانه هو الدليل على الانسان .

والله سبحانه هو الدليل على الأرض (ماء + تراب) .

والله سبحانه هو الدليل على السماوات .

من هذا نجد أن أى دليل انما يكون له وجـود فى السـمع والبصر والفؤاد فهو مادى بشكل ما ومحسوس وبالتالى يدل على مدلوله .

واذا كان هذا هو شأن الدليل فى فقه الآية الكريمة ((**ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، وجعلنا الشمس عليه دليلا**)) .

فان فقه الدليل القرآنى لا يخرج عن أوصاف الدليل المستمد من هذه الآية الكريمة اطلاقا ، فالدليل لابد أن يكون ظاهرا ومنضبطا ومناسـبا ومعتبرا حتى يكون دليلا بمعنى الدليل الذى يستدل به .

من هذا نجد أن العلى العظيم يستخدم الدليل بهذه المثابة فى التدليل على بعض الغيبيات واثباتها .

فالانسان وان لم ير خلق آدم ، فان الله سبحانه أخبره أنه خلقه من تراب وماء وروح وبالتالى فهذا هو أصل كل الناس .

ولما كان ذلك ، فان الله اسـتعمل القياس كوسـيلة لاثبات البعث قياسا على خلق الناس .

فقال سبحانه وتعالى ((**يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب**)) الحج ٤ فالله سـبحانه وتعالى أورد الحكم الصادق المادى اليقينى وقاس عليه حكم من نفس جنسه وهو الخلق بالبعث لجامع العلة بينهما وهى ((التراب)) . فالنص القرآنى دليل على العلة والعـلة دليل على الحكم .

واذا رجعنا الى جميع الأحكام الشرعية نجد أن فقه الدليل هذا هو المسيطر تماما على كل قياس . فالنصوص الشرعية (القرآن . السنة . الاجماع) أدلة بعللها على الأحكام . فكل نص شرعى دليـل يحوى علة . وهذه العلة هى مناط الحكم أى الدليل عليه . فاذا وجـدت العلة وجـد الحكم ، وان زالت العلة زال الحكم ، كالشمس والظل تماما .

اذا فالدليل الشرعى أى النص دليل على العلة لأنها لا توجد الا فيه، والعلة دليل على الحكم لأنها ان وجدت وجد الحكم والعكس صحيح . لهذا قال علماء الأصول : ان الحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

ولما كانت الأدلة الشرعية (القرآن والسنة) الدليل عليها هو قائلها.

ولما كان القرآن قد قرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس ، وكذلك قال السنة .

فان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الدليل على القرآن والسنة .

ولما كان القرآن معجزة للناس كلهم ومعهم الجن .

ولما كان الرسول بشرا أى من الناس .

اذا فالقرآن ليس من عند الرسول ، انما هو من عند الله كما اخبر الرسول الكريم .

فمعجزة القرآن للناس والجن دليل على أنه من عند الله خالق الناس والجن . وهذا تحقيق لقوله تعالى : ((**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا**)) النساء ١٧٤ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو برهان ربه ، والقرآن هو علة هذا البرهان والحكم أن القرآن من عند الله جل جلاله .

ومن ثم فان الذى قال ان البرهان هو الدليل القاطع والحجة البالغة، قال صوابا ، والذى قال ان البرهان هو تضافر أدلة يقينية لاثبات حقيقة ، قال صوابا .. لأن الحق أى القول الثابت يؤدى الى الحق ، وهذا هو منهج القرآن وبالتالى منهج علم الكلام .

أما الادعاء بمسلمات ومقدمات ظنية فهى لذلك لا تصلح أن تكون مقدمة لدليل فضلا عن أن تؤدى الى علم ؛ وبما أن الدعوى ظن فانها ستؤدى الى ظن ، وهذا باطل .

لهذا يقرر العلى العظيم ((**وان الظن لا يغنى من الحق شيئا**)) و ((**وماذا بعد الحق الا الضلال**)) .

الفصل الثالث

برهـــان ربـــه

حتى يمكن القول بيقين الحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو برهان ربه ، فان عرض الأدلة التى ضـــمها كتاب رب العالمين عن هـــذا البرهان هو الطريق الصحيح ، بمقولة أن البرهان هو تضافر وتسلســـل الأدلة من المقدمات البديهية والثابتة يقينا لاثبات حقيقة المطلوب وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو برهان ربه .

وبذلك يكون ما ورد بكتاب الله المحكم عن رسوله صلى الله عليـــه وسلم هو الدليل عليه ، وتكون الوقائع التى حدثت لرســـول الله أو حدثت منه علة برهانه ، وبذلك يثبت الحكم بأنه الرسول صلى الله عليه وســـلم هو برهان الله للناس والعالمين .

ومن الأدلة ما هو غيبى ومنها ما هو مادى ملموس محسوس . شأن كل الحقائق القرآنية .

الدليل الأول ــ دليل الميثاق :

هو ما ورد بالقرآن العظيم فى قوله تعالى « **واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحـــكمة ثم جاءكم رســـــول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم وأخـــذتم على ذلـــكم اصرى ، قالوا ءأقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين** » آل عمران ٨١ .

وأخرج الامام الطبرى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن المراد من « جاءكم رسول مصدق لما معكم » هو الرســـول صلى الله عليه وسلم وعليه كثير من العلماء ، قال : لم يبعث الله نبيا ، آدم فمن بعده ، الا أخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث ــ وهو حى ــ ليؤمن به ولينصرنه . ويأمره فيأخذ العهد على قومه .

ويقول التفسير الوسيط ٦٠٨ : الغرض من الآية أن محمداً صلى الله عليه وسلم وقد ايده الله بالمعجزات المحققة للرســـالة ، وجاء مصدقا لما مع الأنبياء قبله ، فهو مؤيد من المرسلين قبله وأن على اهل الكتاب المعاصرين له أن يؤمنوا به امتثالا لما جاء عنه فى كتبهم ، والقرآن الكريم على هــذا النهج ((**قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واســماعيل واسحق ويعقوب والأســباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**)) .

ويقول تفسير الجلالين ٦٣ : واذكر حين اخذ الله ميثاق النبيين أى عهدهم الذى آتيناكم اياه من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليــه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه ان أدركتموه وأممهم تبع لهم ...

وبالتالى فهذا الدليل القرآنى يدل على أن الله جل شأنه أخذ الموثق على النبيين سواء فرادى أو مجتمعين — على خلاف فى الراى — بأنه عندما يجيؤهم الرسول صلى الله عليه وسلم فعليهم أن يؤمنوا به وينصروه .

ولما كان هذا الموثق قد أخذ من الأنبياء جميعا للرسول صلى الله عليه وسلم وحده ، فان معنى ذلك أن الرســول الكريم هو الرســول الخاتم بالرسالة الخاتم الكاملة ، وانه ما دام ذلك فهو لكل الأقوام التى أرســل اليها كل الأنبياء ، فهو لكل الناس ، وأن رسالته أيضا لكل الناس ، ويؤكد ذلك قوله تعالى ((**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) التوبة ٣٣ وقوله تعالى ((**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)) الفرقان ١ .

وتحقيقا لهذا الدليل فان الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنذر الناس كافة وبلغ دعوته لكل الناس سواء فى ذلك الذين فى شبه الجزيرة العربية أو الدول التى تجاورها فأرســل الســفراء الى كسرى وقيصر والنجاشى وحاكم مصر ، تنفيذا لقوله تعالى ((**ان عليك الا البلاغ**)) الشورى ٤٨ .

وتحقيقا لهذا الدليل ايضا دعوتا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ((**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**)) ونبوءة موسى بمقدمه وتبشير عيسى به صلى الله عليه وسلم .

الدليل الثانى — دليل التصـــديق :

أرسل الله سبحانه ، الرسل ، كل لقومه يدعونهم الى الايمان بالله وحده لا شريك له فيقول رب العالمين « **وما ارسلنا من قبلك من رســـول الا نوحى اليه أنه لا اله الا انا فاعبـــدون** » الأنبيـــــاء ٢٥ فما كان من كل الرســـل الا الدعوة بعبادة الله وحـــده لا شريك له والدعوة الى كل القيم الفاضلة التى ظهرت جلية فى شريعة التوراة ومواعظ الانجيل ؛ وجاء القرآن مصدق لكل الكتب السماوية فيقول سبحانه « **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم** » النساء ٤٧ .

واذا فالنص القرآنى دليل وتحقيقه هو التصديق الحق الموجود فى القرآن العظيم لما هو فى التوراة والانجيل ، ذلك بأن الأحكام واحدة وان اتسمت بمزيد من الرحمة فى رسالة الرحمة الاسلامية ، وان اتســـــمت بالشمول حتى تعم الأرض كلها وان اتسمت بنور الهداية الربانية للعالمين.

الدليل الثالث — دليل الذات :

هو دليل فى ذات شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

فصدر رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ، شرحه ربه من قبل ان يبعثه حتى يخليه من أى شىء الا علم الله وضـــــياء رب العالمين ، فقال سبحانه « **ألم نشرح لك صـــدرك . ووضـــعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك** » الشرح .

وقلب الرسول عامر بنور رب العالمين ، لا يشغله الا أنوار اســـماء ربه وأنوار ذاته ســـــبحانه وأنوار قرآنه العظيم ، فيقول رب العالمين : « **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** » الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤ فهو القلب المطهر المنور القوى بقوة الله سبحانه « **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصـــدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** » البقرة ٩٧ .

وقلب الرسول عامر بعلم رب العالمين واسراره « **.. فاعلموا انمـــا انزل بعلم الله ..** » هود ١٤ وبذلك جعله معلما للعالمين « **ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » البقرة ١٥١ .

وفؤاد رسول الله زاخر بصفوة الحقائق فهو مع ادراكه أسرار كتاب الله وحكمته وعلمه ، فقد رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ووصفه ربه ((**ما كذب الفؤاد ما رأى**)) النجم .

ولب رسول الله الكريم ، سليم محيط ، لم ينس حرفا مما نزل عليه من الوحى على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فكان ما ينزل على الرســـول يقرأه على الناس كما أنزل عليه من ربه ويظل هكذا رغم الحروب والحوادث الجسام التى لازمت الرسول طوال مدة نزول القرآن . ولو كان لبا كلب اى بشر لنسى كثيرا مما نزل عليه . ولكن الله ســـبحانه حفظه فى قلب الرسول وحفظه فى لب الرســـول وحفظه فى قلوب المؤمنين من بعد حتى كتب فى المصحف .

وسمع رسول الله لا يستقبل السوء ولا الوساوس ، فهو ســـمع مطهر ((أذن خير لكم)) .

وبصر رسول الله ، مستقيم الفطرة مرهف للخير ، لا يتبع رؤية سوء ولا نزغ شيطان ويصفه خالقه العظيم ((**ما زاغ البصر وما طغى**)) النجم .

وهو لذلك ، لأنه لا يسمع الا الخير ولا يرى الا الحق ولا ينسى نور ربه وعلمـــه ، فيفهم رحمة الله ويصـــدق الناس ، فناصـــيته لا تكذب ولا تخطىء ، بل ناصية صدق وحق فيقول فيه ربه ((**مطاع ثم أمين**)) .

ولأن سلوكه القرآن وخلقه القرآن فهو على خلق عظيم ((**وانك لعلى خلق عظيم**)) القلم .

ولأن جهاز معرفة الرسول كما علمنا من طهر وقدس وسمو ، فان جهاز اعلامه طهور صادق فلا يقول الا الحق وبغير هوى اطلاقا ((**وما ينطق عن الهوى**)) النجم .

فذات رسول الله دليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدليل الرابع — دليـــل العـــلم :

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على بعثته .

فالرسول — كواقع مادى معروف ومجزوم به — لم يجلس الى معلم

فلا هو يعرف الكتابة ولا يعرف القراءة ويقرر الرحمن هذه الحقيقة الواقعية فى قوله تعالى **« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك »** .

والرسول أمى من الأميين الذى لا يعلمون الكتاب أى التوراة والانجيل **« وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءاسلمتم .. »** آل عمران ٢٠ و **« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى »** البقرة ٧٨ .

ومع هذا كله

فانه صلى الله عليه وسلم أخبر أهل الكتاب بما فى كتبهم وبما أخفوه منهـا **«يا أهل الكتاب قد جاءكم رسـولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** المائدة ١٥

وعلم رسـول الله ، موجود وثابت وسـيظل باذن الله وفضله فى العالمين للعالمين ما دامت السماوات والأرض ، فسنة رسول الله فى بيـان أحكام القرآن التى وردت فى زهاء ٣٤٠ آية وردت فى حوالى ٤٥٠٠ حديث كما أخرجه ابن القيم الجوزية (١) هى أفصح كلام العرب على مدى الزمن فقد أعطاه ربه جوامع الكلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوتيت جوامع الكلم » ، فكان أعظم الناس تعبيرا وأدقهم وأوضحهم بيانا وأقلهم كلاما وأعمقهم معنى .

ولأن علم رسـول الله كان عظيما بالمقياس الالهى لقوله تعـالى **« وكان فضـل الله عليك عظيما »** النساء ١١٣ ، فان الذين تخرجوا فى مدرسته سادوا العالمين من أقصى الشرق لأقصى الغرب ، كما سادت علوم الاسلام ظهر الأرض بلا منازع .

لهذا يشهد الراسخون فى العلم بعلم الله فى رسـول الله **« ولـكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك .. »** النساء ١٦٢

ورب العالمين يشهد بعلم رسول الله فيما أنزله اليه الله :

« لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا » النساء ١٦٦ .

---

(١) « علم أصول الفقه » للشيخ عبد الوهاب خلاف .

الدليل الخامس — دليـــل العصـــمة :

والسيرة النبوية المطهرة مليئة باعتداءات الكفار على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فها هو أبو جهل اللعين يرى الرســـول الكريم يصلى فى الكعبة فيأخذ حجرا كبيرا ويحاول أن يلقيه فوق رأس الرسول وهو ســـاجد يصلى ، فاذا به يرى وحشـــا كاسرا يهجم عليه ، فيرتاع ويجرى ، ولم يكن الا جبريل عليه السلام قد بدى له فى هذه الصورة .

ويذهب الرسول الى بنى النضير ويجلس مع أصحابه فى حيهم بجوار حائط منزل من منازلهم ، واذا باليهود يأتمرون عليه ويتفقوا على أن يصعد احدهم الى أعلى الدار التى يجلس بجوارها الرسول ويلقى حجرا كبيرا فوقه ليقتله ، ويصعد اليهودى فعلا ويتهيأ لالقاء الحجر ، ولكن جبريل كان قد أوحى للرسول بما تناجوا به اليهود ، فينصرف الرسول من قبل القاء الحجر ويتعجب اليهود من تصرفه .

وينعقد شمل كفار قريش وأحابيشها على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هاجر أصحابه الى المدينة ، ولم يبق بمكة الا الرســـول وصاحبيه أبى بكر وعلى ، ويتفق الكفار على أن يقـــوم من كل قبيلة فتى جليدا ومعهم سيوفهم ويحاصروا الرسول فى بيته بليل حتى اذا خرج منـــه ضربوه ضربة رجل واحـــد فيتفرق دمه على القبائل ويرضى أهله بالدية . كانوا قتلة مجرمين ليس معهم الا الشيطان ، وكان الله مع رســـول الله ، كانوا سفاكين ليس لهم بياض قلب ولا ســـمو خلق ولا رقة شعور بل كان معهم الغدر بخسته والحقد بسواده والضغينة والبغضاء ورجس الشيطان كلها ؛ وخرج عليهم الرسول وحـــده ليس معه أحـــد من الناس ولكن رب العالمين معه « **واصبر لحكم ربك فانك باعيننا** » الطور ٤٨ ، وقرأ الرسول صدر « يس » حتى قوله تعالى « **وجعلنا من بين أيديهم ســـدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** » وتقدم منهم ووضع فوق رأس كل منهم حفنة من تراب ، وتركهم وانصرف هادئا الى دار أبى بكر ومنه الى غار ثور فى طريق هجرته الى المدينة .

وأفاق المجرمون فوجدوا أنفسهم نياما وعلي رءوسهم التراب .

« والله يعصمك من الناس » .

الدليل السادس — دليـل النصر :

« الا تنصروه فقد نصره الله » التوبة ٤٠ .

نعم ولد يتيما من الأب وفتح عينيه فوجد نفســـه يتيما من الأم ، وترعرع فى حضن جده ثم عمه ونشأ على الهداية الربانية والتفكر فى الله ، وبعث فى خلوته بعيدا عن الناس ، يقول له جبريل عليه السلام « اقرأ » وتبدأ من هذا الغـــار فى جبل حراء أعظم رســـــالة تلقاها البشر من رب العـــالمين .

بعث اذا وهو وحيد من الأب والأم والجد والعم والاخوة والناس .

ويأمره ربه بأن ينذر عشــــيرته الأقربين ويتدرج رب العالمين الى أم القرى ومن حولها ثم الى أهل الكتاب فالناس جميعا ثم الى العالمين .

رؤية لا تصدق مع أحد ، ولم تصدق من قبل مع أحد أبدا ، فلم يقــم انسـان أى انسـان بدعوة فى أى مكان من العالمين ، وهو جاهل بالقـــراءة والكتابة ولا يعلم شيئا من الكتاب ، ثم يقوم وهذا هو واقعه ويدعوا الناس الى أعظم علم عرفه الناس ومازالوا يســـتخرجون منه المزيد فى كل وقت والى أن يقوم الاشهاد .

هاجر رسول الله ومعه أبو بكر خائف يترقب أقدام الكفرة على فوهة غار ثور ، متوشحين ســـيوفهم وخناجرهم وشياطينهم ، ويشـــمل أبا بكر حزن طاغ فيطمئنه الرسول « لا تحزن ان الله معنا » .

وينزل الوحى من العلى المتعال **« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصـــاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـــة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم »** التوبة .

دليل واقعى مجزوم به .

دليل نصر الله لرسوله وحيدا فى مواجهة الكافرين .

الدليل السابع — دليـل الفتـح :

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر من قبله ٨٣ رجلا ، كل من هاجر من مكة الى المدينة غير النساء والأطفال .

وكان عدد الأنصار من الرجال المقاتلين نيفا ومائتين ، فكان المجموع ثلاثمائة ونيف .

وخرج رسول الله ومعه ٣١٧ مؤمنا من المهاجرين والانصار ليأخذوا قافلة ابى سفيان ، فانفلت منهم غربا الى ناحية البحر وحضر على جنـاح السرعة الفا من كفار مكة بفرسانهم وعدتهم وعتادهم ليعطوا المسـلمين درسا لا ينسوه .

وتقابل الفريقان ، المؤمنـون ولم يكونوا اصـلا خارجين للحرب ، والكفرة قد حشـدوا انفسـهم لها . ويتقابل الفريقان على غير موعد **« ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بينـة ويحيى من حى عن بينـة »** الانفـال ٤٤ وعندمذ يرتاع المؤمنون فقد كانوا يريدون أن غير ذات الشوكة (قافلة التجـارة) تكون لهم والله يريد أن يحق الحق بكلماته ولو كره الكافرون ، ويلجأ المؤمنـون الى الله **« اذ تستغيثون ربكم فاسـتجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين . وما جعـله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم »** الأنفال ٩ ، ١٠ .

وتقوم المعركة ويهلك من الكفار سبعين رجلا منهم الرءوس الطاغية امثال ابى جهل وامية ابن خلف ويأسر المؤمنون منهم سبعين رجلا كذلك .

نصر مؤزر من عند الله العزيز الحكيم .

وتترى الغزوات احد والخندق وبنى قينقاع وبنى النضـير وبنى المصطلق ودومة الجندل وبنى قريظة وبنى لحيان ثم غزوة خيبر ، ثم يتوجه الرسول ومعه جيش من المؤمنين لم ير العرب له مثيلا الى مكة ، ويفتح الله مكة .

واذا بهذا الذى ولد يتيما وربى يتيما وهاجر وحيـــدا ، يعود الى مكة بعد ثمان سنوات فى عشرة آلاف مقاتل ويعفوا عن كفار قريش بقوله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويدخل الناس فى دين الله افواجا .

ويتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر الف مقـــاتلا الى الطائف ، وتقوم معركة حنين ، وينصرهم صاحب النصر ويعود رسول الله الى المدينة وتنزل سورة **« اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره . انه كان توابا »** .

وصدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

الدليل الثامن — دليـــل الرحمـــة :

سيكتب تفصيلا باذن الله سبحانه فى كتابنا القادم بعون الله تعـــالى « الله والرســـول » وان لخصناه فانما هو تلخيص لكل عظمة الرســـــالة والرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذه بعض الأدلة وغيرها كثير وقائمة فى ذات شخص رســـول الله صلى الله عليه وسلم أو له خاصة من دون خلق الله أجمعين ، برهان على أنه رسول الله وكلها معا أنه صلى الله عليه وســـلم برهان ربه جل جلاله وتقدست أسماؤه .

لهذا ، يقرر العلى العظيم أنه « البرهان » بكل الوضوح والصراحة فى قوله سبحانه :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهـــم البينة . رســـــول من الله يتلوا صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا الا ليعبـــدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؛ وذلك دين القيمة » البينة ١ — ٥ .

وجاء بتفسير الامام الحافظ بن كثير (ثم فسر البينة بقوله **« رسول من**

الله يتلو صــحفا مطهرة » يعنى محمدا صلى الله عليه وســلم وما يتلوه من القرآن العظيم الذى هو مكتتب فى الملأ الأعلى فى صحف مطهرة) (١) .

ويقول فى تفسير الجلالين (البينة أى الحجة الواضحة وهى محمــد صلى الله عليه وسلم « رسول من الله » بدل من البينة ، وهو النبى صــلى الله عليه وسلم) (٢) . وهذا تفسير واضح يتفق مع قواعد اللغة ويدل على المعنى المطلوب ببيان سليم ويتوافق مع تفسير الآيات السابق ذكرها .

---

(١) تفسير الامام ابن كثير ج ٤ /٥٣٧ .
(٢) تفسير الجلالين / ٥٤٥ .

البَابُ الثَالِثُ

العِلْمُ

الفصل الأول

الرســــــالة والرســــــول

المبحــــث الأول

((الرســــالة))

الرسالة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ رسالة لفظية وفى الوقت نفسه رسالة شفهية أخرى معها .

أما الرسالة اللفظية فهى القرآن العظيم

وأما الرسالة الشفهية فهى الحكمة

(والقــرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله بألفاظه العربية ليكون حجة للرسول على انه رسول الله . دستورا للناس يهتدون بهداه . وقربة يتعبدون بتلاوته . وهو المدون بين دفتى المصحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بســورة الناس ، المنقول الينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل محفوظا من أى تغيير أو تبديل مصداق قول الله ســـبحانه فيه **((انا نحن نزلنـــا الذكر وانا لــه لحافظون))**) (١) .

والقرآن الكريم كلام الله بعلم الله **((أنزله بعلمه))** النساء ١٦٦ .

والقرآن أول ما نزل نزل بآيات علمية وبمقومات تحصيل العلوم فقال تعالى : **((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم))** العلق ١ ــ ٥ .

والقراءة والكتابة بالقلم هما وسية تحصيل العلم

---

(١) « علم أصول الفقه » للشيخ عبد الوهاب خلاف ٢٠ .

و « **خلق الانسان من علق** » هى أهم حقيقة علمية بالنسبة للانسان لأنها حقيقة خلقه وبداية وجوده وسبب وجوده .

وثانى ما نزل من القرآن هى قوله تعالى « **نون والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لأجرا غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم** » القلم ١ — ٤ .

وهو قسم من الله سبحانه بالقلم ، واثبات من الله بأن اساس العلم واساس الحياة كلها هو الخلق العظيم . فعالم بلا خلق ، مجرم مفسد فى الأرض ؛ وانسان على خلق عظيم نور يمشى على الأرض ، فان كان هذا الانسان عالما فهو على نور من ربه .

والقرآن حوى كل علوم السماوات والأرض وما فيهن ، فيقول جل شأنه : « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » الأنعام ٣٨ و « **... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » النحل ٨٩ .

والقرآن لهذا رسالة للعالمين « **ان هو الا ذكر للعالمين** » التكوير ٢٧ و « **وما هو الا ذكر للعالمين** » القلم ٥٢ .

وأنزلت هذه الرسالة العظيمة باللغة العربية حتى لا يكون فيها عوج « **قرآنا عربيا غير ذى عوج** » الزمر ٢٨ ، وليكون حكما للعالمين « **وكذلك أنزلناه حكما عربيا** » الرعد .

وهو رسالة غير كل الرسالات ، فالقرآن روح من أمر الله « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم** » الشورى ٥٢ فالقرآن العظيم نور « **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا** » التغابن ٨ .

لهذا فان الله سبحانه وصفه بقوله تعالى « **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم** » وجعله مفصلا « **كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** » فصلت ٣ « **وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** » الزخرف ٤ .

ولعظمة القرآن فقد أقسم الله بمواقع النجوم « **وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يمســـه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين** » الواقعة .

لهذا كله وللأسرار العظيمة التى فيه ولنوره فى العالمين والى ما شاء الله ، ولأنه قول الرحمن جل جلاله ، فقد حفظه سبحانه من أى تبديل أو تحريف .

« **واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحـــدا** » الكهف .

هذه هى الرسالة اللفظية التى تحدى الله جل شأنه بها الانس والجن على أن يأتوا بمثلها « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » الاسراء ٨٨ .

رسالة ضمت أعظم الهدى وكل الحقائق العلمية والقيم الخلقيـــــة والشريعة العادلة والسلوك المستقيم ؛ رسالة حار فى جوانب نورها جهابذة الفقهاء وفحول العلماء وصـــفوة خلق الله ، لا يســـتطيعون لها احتواء ولا لعمقها وصولا ، ولا لأنوارها تحديدا .

***

ومع الرسالة الأولى التى نزلت منجمة ، تتابعت الرسالة الشـــفهية الثانية بيانا لمعنى الأولى فيما أبهمت وتفصيلا لما أجملت ، تفسيرا وشرحا وتوضيحا بالمعنى من عند الله واللفظ من عند الرسول .

« **وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضـــل الله عليك عظيما** » النساء ١١٣ .

وجاء قول الرســـول صلى الله عليه وســـلم وفعله وتقريره هداية للناس ورحمة ، وحتى لا يضلوا من بعده أبدا .

ولم يفسر الرسول القرآن ، ولكنه صلى الله عليه وسلم بين الأحكام التشريعية على وجه الخصوص لأنها كانت هى الحكم بالقرآن ، وكانت هى

أيضا أساس الدعوة ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)) النساء ٦٥ .

والسنة أو الحكمة ، مصدرها الالهام الالهى أولا واجتهاد الرسـول ثانيا ، فان حدث فى اجتهاد الرسول مجانبة للتوفيق ، صوبت العناية الالهية حكم الرسول (١) .

ولهذا كانت السنة أى الحكمة اى فقه الكتاب مطابقا للقرآن العظيم ليس بينهما خلاف .

❊ ❊ ❊

القرآن العظيم وسـنة رسـول الله ، هما الرسـالة من وحى الله سبحانه الى رسـوله صلى الله عليه وسـلم ، أرفع من مسـتوى الفكر الانسانى مهما ذهب هذا الفكر او صال وجال ، لا يستطيع الا أن يحـاول النظر الى فقه الكتاب العظيم والسنة المطهرة ، ويحاول أن يكشـف عن حقائق العلوم ، ولن يستطيع الا بالعلم الراسخ والهدى الخالص والدراسة الكاملة للكتاب العظيم .

فان تفرق عن هذا السبيل ، فقد اتبع السـبل ، وذهب الى طرق مسدودة أو طرق منكوبة وأهلك نفسه لا محالة واخلد الى الأرض .

هذه هى الرسـالة التى تحدى الله بها سـبحانه البشر فى أن يأتوا بسورة واحدة من مثلها وأنبأ سبحانه سلفا أنهم لن يفعلوا فقال جل جلاله :

((**وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين**)) البقرة ٢٣ ، ٢٤ .

---

(١) كتاب ((أبوحنيفة)) للشيخ محمد أبو زهرة ، وكتاب ((علم أصـول الفقه)) للشيخ عبد الوهاب خلاف /٣٩ وما بعدها .

المبحـــث الثانى
الرســــــــول

وها هو الرسول ، لا نشير اليه ، ولكن نرنوا اليه بالقلوب والأفئدة لنمتع النفس وتلذ العين ويحيا الفؤاد .

طفل يتيم من قبل ان يولد ويرى نور الحياة ، فاذا ما قرب ان يدرك الأشياء ثكل أمه ، ونشأ فى حجر جده ثم عمه .

أميا من الأميين ؛ عربيـــا وليس من اهل الكتاب ؛ فلم يعرف التوراة ولم يعرف الانجيل .

نشأ فقيرا ، أجيرا عند الناس ، يرعى لهم أغنامهم ، فلم يجلس الى معلم ، نشأ لا يعرف القراءة ولا يعرف الكتابة .

(وكان فتى من فتيان قريش ، ولكنه يمتاز عن بقية فتيان قريش : فيه ذكاؤهم وفطنتهم ، وفيه اباؤهم وعزتهم ، ولكن فيه دعة لم تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة من الدين قلما كانوا يرضونها أو يسمون لها .

على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التمييز ، فلم يكن يصـــدر فى حياته — كما كانوا يصدرون — عن الروية والتفكير ، وطول التدبير ، وانما كانت تدفعه الى العمل ، والاضطراب فى الحياة قوة خفية ، يحسها ويأبى عليها ، ويغلو فى الاباء ولكنه يضطر الى أن يذعن لها ويصدع بأمرها .

وكانت هذه القوة تصدر اليه أمرها فى أشـــكال مختلفة ، تدفعه الى العمل حينا وكأنها ارادته الخاصة ، قد ملكت عليه حسه وشعوره ، فهو لا يستطيع عنها انصرافا ولا يملك لها خلافا .

وتتمثل له حينا آخر شخصا ، واضح المخايل ، بين الصوت ، يلم به اذا اشتمله النوم ، فيأمره أن يأتى كذا وكذا من الأمر .

وكان فى هذا الصوت غموض ، وكان فى هذا الصوت ابهام ، وكان

فى هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والابهام ، وكان الفتى ينكره ، ويرتاع له ، وكان الصـــوت يغمره ويلح عليـــه ، وكان الفتى يخاف هذا الصوت ويهواه ، وكان هذا الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ويلم به فيكثر الالمام . ولم يكن هذا الصوت يقع فى أذن الفتى بألفاظ كالتى تقع فى آذان الناس ، انما كان يصطنع الفاظا خاصة ، غريبة انجرس غريبة المعنى) (١) .

قبيلته قريش ؛ وأسرته بنو هاشـــم وجده عبد المطلب ســـيد قريش ووالده عبد الله فكان هو محمدا .

هو الصادق الأمين ، امضى فترة شـــبابه ورجولته هادىء النفس ، وديعا مجاهدا فى الفكر متحنثا بغار حراء — على بعد فرســـخين من مكة (وجد محمد فيه خير ما يمكنه من الامعان فيما شغلت به نفسه ، من تفـــكير وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه ، وشـــفاء شـــغفه بالوحدة ، يلتمس اثناءها الوسيلة الى ما لم يبرح شوقه يشتد اليه ، من نشدان المعرفة ، واستلهام ما فى الكون من أسبابها) (٢) .

كانت هذه الفترة على حد تعبير الجنيد فى تعريفه للتصوف « عنـــوة لا صلح فيها » وكما قال الامام ابى حامد الغزالى : انه اول حال رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، حين اقبل على جبل حراء حيث تبتل ، حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب « ان محمدا عشق ربه » .

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين نزل اليـــه جبريل عليه الســـــلام بالرســـــالة الالهية التى غيرت مجرى التاريخ فأصلحته واستقامت بطريقه فقوضت اكبر امبراطوريتين فى العالم حينذاك وادخلت نور الايمان الى القلوب فاطمأنت به وزادت حتى كان المؤمن الذى يدخـــل المعركة انما ليحرص على الشهادة حبا فى الله سبحانه وطمعا فى رضوانه .

---

(١) « الاسراء والمعراج » لشيخ الأزهر الأســـبق الشـــيخ عبد الحليم محمود / ١١ و ١٢ و « على هامش السيرة » للدكتور طه حسين .
(٢) « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل .

هذا هو الرسول الذى ينزل عليه ربه خمس آيات قصيرات عظيمات تبدأ بكلمة « اقرأ » والله يعلم ان رسوله ليس بقارىء ، ولكن جبريل يقول له اقرأ فى أنوار أسماء ربك **« اقرأ باسـم ربك الذى خلق »** ولما تغمره أنوار الأسـماء باشراقاتها الربانية وتضىء قلبه بفيض نورها ، يقول له جبريل ثانيـا اقرأ فى أنوار ذات ربك **« اقرأ وربك الأكرم »** حتى اذا امتلأ قلب الرسول بالنور اللدنى صار قلبه صلى الله عليه وسـلم مهيأ لنزول القرآن العظيم عليه ، متحملا ما لا يتحمله جبل .

هذا هو الرسول الذى يهاجر من دياره وقريته وموطن آبائه وأجداده وأم القرى ويترك أهله فى سبيل الله ، فكان أول ما فعل بعـد هجرته أن بنى مسجدا يعبد فيه ربه ، ومن حوله حجرات تحيا فيها زوجاته ، ضاربا المثل ببساطة ما كان يبنى به وعظمة ما يفعل ، أن الحياة من أولها لنهايتها لا تكون الا لوجـه الله الكريم ، وما غير ذلك زخـرف وكل ما عدا الله باطل .

هذا هو الرسول الذى يكلف وحده بالقتال ، فلم يتخلف عنـه مؤمن حبا فى الله ورسوله وطمعا فى عفو الله وجنته .

هذا هو الرسول الذى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم فى ثانى آيات تنزل عليه ، فأعطى للعالمين القاعدة الصلبة بأن أسـاس العلم والمعرفة وأساس الحكم والعمل وأساس الدعوة الى الخير وأساس التصدى لهداية الناس ، ليس المال وكثرته ، وليس النسب والحسب ، وليس تحصيل العلوم ، وليس الوجاهة وقوة الأهل . ولكن الأساس الأول واللازم هـو الخلق العظيم .

كان الرسول فقيرا ، وكان الرسول ضعيفا الا بقوة من الله .

ولكن كان هو الخلق العظيم ، وبالمقياس الالهى .

لذلك قال الخالق العظيم **« الله أعلم حيث يجعل رسالته »** .

هذا هو الرسول ، لا يعلم التوراة ولا الانجيـل ، ولا يعرف القراءة

ولا الكتابة ، يتيما فقيرا ، ولكنه الصادق الأمين ، الصافى الفؤاد ، النقى الوجدان ، ذو الرؤية الكشافة ، والبصر الذى لا يزيغ ، والفــؤاد الذى لا يكذب ، وأذن الخير للناس ، سليم الناصية ، مشروح الصدر ، عظيــم الخلق ، يتنزل عليهـ‍الوحى بأعظم الرسالات وأكملها ، بالنور من خالــق النور ، رحمة وهدى للعالمين .

علمه ربه القرآن **((الرحمن . علم القــرآن))** ، وعلمه ربه الحــكمة **((علمه شديد القوى))** و **((فأوحى الى عبده ما أوحى))** .

لم يعلمه بشر شيئا ، ولم يعلمه ملك شيئا ، ولكن الله العليم الحكيم مالك الملك هو الذى علم رسوله الكتاب والحكمة وما لم يكن يعلم ، فيأمره، لهذا ، بأن يعلم المؤمنين . **((كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليــكم آياتنــا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحــكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون))** البقرة ١٥١ .

الفصل الثانى

لغـــــة الرســـــــالة

المبحـــث الأول

القـــرآن الـــكريم بلفظـــه

« واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك ، لا مبدل لكلماته ولن تجـد من دونه ملتحدا » الكهف ٢٧ .

رأى الامام أبو حنيفة ان القرآن العظيم لفظ ومعنى ورتب على ذلك جواز الصـــلاة بالترجمة الفارســـية للقرآن . الا أن صـــاحبيه قالا : لا ؛ القرآن معجزة والاعجاز فى النظم والمعنى ولم يوافقا أبا حنيفة على ما ذهب اليـــــه .

وذكر فخر الاسلام البزدوى فى شرح المبسوط وكذلك ما رواه ابن أبى مريم أن أبا حنيفة رجع الى قول العامة اى أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير العربيـــة .

وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه ان الفارسية غير القرآن ، قال الله تعالى **« انا جعلناه قرآنا عربيا »** .

والقرآن العظيم كلام الله تعالى وهو غير مخلوق ولا محدث ، واللغات كلها محدثة ، وبالتالى فلا يجوز أن يقال انه قرآن بلسان مخصوص .

ويقول السرخسى : ان القـــرآن معنى فقط ، وليس اللفظ جـــزء من مدلوله . لأن الألفاظ محدثة ، والمعانى قديمة ، وما دام أن القرآن قـــديم فالقرآن هو المعانى ، ولأن الاعجاز فى المعنى ، ولأن بعض القرآن كان فى زبر الأولين لقوله تعالى : **« وانه لفى زبر الأولين »** الشـــــــعراء ١٩٩ فلا شـــك أن الذى كان هو المعنى فقط لا اللفظ ، لأن زبر الأولين لم تكن بالعربية . وعلى ذلك فان السرخسى من الذين يوافقون على أن القـــرآن معنى فقط .

(ويرد على هذا بأن القرآن بما اشـــــتمل عليه — فى الفاظه — من استعارات ومجاز وكناية واشارة وايجاز ومناح بيانية اختص بها ، وكانت سر اعجـــازه ، لا يمكن أن يكون ترجمته هى المعنى المتيقن له ، لأنه من العسير ، بل من المتعذر أن يترجم كل هذه النواحى البيانية فى كلام الناس، فكيف تترجم فى كلام الله) . ولما كانت الترجمة المنتجة حقا تشترط استواء اللسان المترجم اليه مع اللسان العربى عينا ، ولما كان هذا مستحيل .. فقد نفى ابن قتيبة كذلك امكان ترجمة القرآن (١) .

والراى لدى ، أن القرآن العظيم لفظ ، ولا يقال لفظ ومعنى ، ذلك بأن اللفظ يحمل معناه فلا وجود للفظ بغير معنى ، وبالتالى فكل ما قيل عن أن القرآن لفظ ومعنى انما قول فيه تزيد على معنى كلمة لفظ وبالتالى على غير اساس صحيح مما ادى الى آراء فاسدة .

أما القول بأن بعض القرآن كان فى زبر الأولين ، فان الرد عليه أن بعض معانى القرآن هى التى كانت فى زبر الأولين ، وليس الفاظ القرآن ، وهذا لا يعنى أن معانى القرآن هى القديمة وأن لفظه هو المحدث ، بل ان القرآن قديم لقوله تعالى **((انا جعلناه قرآنا عربيا))** الزخرف ٣ . وما دام أن القـــــرآن فى اللوح المحفوظ مكتوب من قبل انزال زبر الأولين فهو اذن مكتوب باللغة العربية بلفظه منذ كتب فى اللوح المحفوظ ، ولهذا يقول رب العالمين عندما اخبر عن تنزيله **((ان علينا جمعه وقرآنه))** القيــــامة ١٧ ومعنى جمعه واضح ومعنى قرآنه دليل على أن الله جل شـــأنه — عندما أوحى به — قرأه كما هو مكتوب .

لذلك ، فان القول بأن القرآن لفظ انما يؤدى الى تحقيق الحقيقـــة اللغوية للقرآن حسبما قرر العلى العظيم **((انا جعلناه قرآنا عربيا))** ومعنى هذا كتابته فى أم الكتاب باللغة العربية ومنه نفهم معنى قوله تعـــالى **((انا انزلناه قرآنا عربيا))** يوسف ٢ أى انزاله على رسول الله صلى الله عليـــه

---

(١) كتاب « أبو حنيفة » للشيخ محمد ابو زهرة / ٢٣٧ — ٢٤٤ .

وسلم ، وقد تم بالقراءة وبالتالى فهى من الأصل أى من الكتابة باللغـــة العربية فقرىء بها .

ولذلك ، ولأنه كتاب احكمت آياته بهذه اللغة وما فيها من أسرار وما فيه كذلك من أسرار يكشفها العلم برحمة من الله من حين لآخر على عباده فى الأرض ، فان القول بجواز الترجمـــة يكون افتآت على الله ، وتغيير للقـــرآن .

وذلك واضح اشـــد ما يكون الوضوح فيما اذا قلنا بجواز تغيير كلمة من القرآن بكلمة أخرى عربية ، وهذا ثابت أنه مستحيل أولا — لأن الكلمة الجديدة لن تؤدى ذات المعنى بحدود المعانى القرآنية ، وثانيـا — سيترتب على ذلك تغيير الموسيقى القرآنية فيخل بالسمع ويعتبر نشازا ، وثالثا — تغيير النظم الحرفى لكلمات القرآن العظيم وما فيهما من أسرار على نحو ما سبق أن بيناه فى الباب السابق .

لهذا فان الله جل شأنه نفى تبديل كلمة من كلماته بغيرها فقال جـل جلاله :

« واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ، لا مبدل لكلماته ولن تجـد من دونه ملتحدا » الكهف ٢٧ .

واذا كان تبديل كلمة قرآنية بأخرى عربية ، أى نفس لغة القرآن ، محظور شرعا لأنه سـيخل بالقرآن معنى ونظما وصياغة وسرا ، فانه من باب أولى لا يمكن ترجمة القرآن الى لغة أخرى .

لهذا فانه سبحانه يبين لنا سببا من أسباب كتابة وانزال القـــرآن باللغة العربية فى قوله تعالى **« قرآنا عربيا غير ذى عوج »** الزمر ٢٨ .

اذا فترجمة القرآن ، سواء فى أوامره أو نواهيه أو اخباره أو هديه ، ستؤدى الى وجود « عوج » فى القرآن ، عوج فى كل ما احتواه القرآن من أسباب عرفت أو لم تعرف جعلت كتابته باللغة العربيـة أمرا لازما لأن يكون صراطا مســتقيما . وبالتالى فان كتابته وقراءته وانزاله باللغـة العربية ، **كانت أمرا حتما لأن يكون صراطا مستقيما .**

فقال عنه سبحانه « **وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض** » الشورى ٥٢ ، ٥٣

ولهذه الأسباب جميعا ، ولأن اللغات الأخرى لا تستقيم معانيها مع معانى الكلمات القرآنية ولا تأتى بأقطارها بله حذافيرها ، فان المفكر الاسلامى الباكستانى « مولانا محمد على » فى كتابه بالانجليزية « العقيدة الاسلامية » يعدد عشرات الأسباب العملية واللغوية التى تبين استحالة ترجمة القرآن العظيم الى اللغة الانجليزية ، بل ان « معانى » القرآن العظيم لا يمكن أن تكون كاملة ولا واضحة بغير اللغة العربية لعدم وجود الفاظ تقابل الألفاظ القرآنية واولها كلمة « الله » و « الرحمن » « الرحيم » ويضرب لذلك أمثلة كثيرة ليس هنا موضع سردها (١) .

---

(1)The Religion of Islam 1 — 14.

المبحـــث الثانى

اللغـــة العربيـــة

واذا كان القرآن العظيم قد أنزله رب العالمين قراءة من لغته العربية المكتوب بها بلفظه وحرفه ، فانه أنزله باللغة العربية بلسان مبين أى فصيح اعظم ما تكون الفصاحة وواضحا اشد ما يكون الوضوح .

ليس فقط « **لعلكم تعقلون** » ولكن ايضا حتى يكون « **غير ذى عوج لعلكم تتقون** » .

وعندما يصف الخالق العظيم اللغة العربية بأنها وسـيلة العقل أى وسيلة التفكير السليم الصحيح ، وبأنها وسية النهج السلوكى المستقيم ، والخلق العظيم ، والهدى المنور ، فانما هو الوصف الحق الذى لا يعلـم مدى عمقه الا قائله سبحانه جل جلاله .

واذا علمنا أن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة التى لها قواعد صرف، وبالتالى فهى لغة موزونة ، لعلمنا شيئا من معانى الاستقامة فيهـا نطقـا وبالتالى أدبا وقصدا وخلقا ، طالما كان نطقها بغير ضعف ولا تثن ولا تكثر .

واللغة العربية لها قواعدها التى تضبط حركتها وحركة كل كلمـة وحرف فيها ، فكل كلمة فى اللغـة العربية هى كلمة مضبوطة الحركة أى لآخرها حركة معينة تستقيم مع وضعها والأكثر من ذلك تستقيم مع معناها، وفضلا عن ذلك فهى موزونة ، الأمر الذى يجعـل النطق سليما والقصد جادا ، لهذا وصف العلى العظيم القرآن باسـمه سـبحانه فقال تعالى : « **ولقد آتيناك سـبعا من المثانى والقرآن العظيم** » الحجر ٨٧ كما وصـفه سبحانه باسمه الكريم فقال تعالى « **انه لقرآن كريم** » الواقعة ٧٧ ووصفه باسمه المجيد « **بل هو قرآن مجيـد** » البروج ٢١ كما وصف صحفه بقوله تعالى « **فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة** » عبس ١٣ ، ١٤ وأنه روح من أمر الله العظيم « **وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا** » الشورى ٥٢ .

ومن ذلك يتبين بعض السر الالهى العظيم الذى وضعه الله جل شأنه

فى القرآن وكلمات القــرآن وحروف القرآن ونظم القــررن وجرس القرآن وموسيقى القرآن ، وان لم نعلم كنه هذا السر ، لأنه سر روحه ، والروح من أمر الله جل جلاله.

ولما كان المؤمنون يشــعرون تماما بعظمــة القــرآن الكريم وبسره المهيمن الفعال ، واشراقات أنواره ، كل بحســب اجتهاده وايمانه وصدقه مع الله ومع نفسه وانفعاله بأنواره .

لذلك ، فان ما قاله الامام الشــافعى رضى الله تعالى عنه جاء حقــا وصدقا عميقا فى قوله تعالى : ((**انا جعلناه قرآنا عربيا**)) أى أن سر القرآن وعظمته وهيمنته فى لغته العربية ، لفظه وحرفه ونظمه . والله ســبحانه وتعالى حفظه على هذا الأساس ، ولأنه قوله جل شأنه ، من أى تحريف .

ولأن اللغة العربية كلامها موزون ((**والله الذى أنزل الكتاب بالحــق والميزان**)) الشورى ١٧ فلا يأتيها نقص ولا بطلان ولا زيغ عن الحق ولا زيغ عن المعنى ، فكان بذلك « الصراط المستقيم » .

ولأن اللغة العربية ، ثرية بمفرداتها ، فلم تترك معنى الا وقد حددته تحديدا دقيقا ولم تغادر منه شيئا الا وقد أوردته ، عريضة المفهوم ، عميقة الغور ، قيمــة ، صائبة التعبير فى كل المواقف ، تلم بالمعنى الماما وتتتبع المعنى وتغوص به الى قاموس البحر ؛

فان الله المتعال جعــل « الكتاب كله « باللغــة العربية عنده فى « أم الكتاب » . ((**وانه فى أم الكتاب لدينــا لعلى حكيم**)) الزخرف ٤ ، وأنزله بالبيان المعجــز تحقيقا لمفهومها ، واعمالا لمعانيها ، واذا أضفنا الى ذلك وجوه صياغة القرآن الى محكم لا يدع للانسان مجال للتفكير وانما مجــاله التنفيذ كما أنزله الرحمن ، والى متشابه يجول فيــه التفــكير فالتفســير لأدركنا بعض السر فى كون الكتاب مهيمنا على كل مكان وباق فى كل زمان ، فهو الكتاب الحق الثابت الراســخ الثقيل بعلمه وأسراره وقوته ، والنور الذى يضىء قلوب العالمين ، هو الكتاب الســابق والحاضر واللاحق فى كل فروع العلم وجوانبه .



ولغة القرآن العظيم ، هى أيضا لغة الحرف ، والله جل شـأنه يؤكد على ذلك ، فيثبت الحرف والحروف فى أوائل السور ، فى الصدر منها ، تمكينا لمعانى اللغة فى حروفها ، ووضعا لأسرار قرآنية فى المعنى والعدد ، وجعل الحروف أعلاما لبعض سور الكتاب ، وكلما يمضى بنا الزمن ، يكشـف لنا الحق بقدر ما يكون فيه من أسرار ، وكما يبدأ فاتحة الكتاب بحرف فانه يبدأ بعض السور بحرف ، اشارة للمؤمن للتفكر فى الحروف وأسرارها ليتبينوا أسرار أو بعض أسرار صياغة الحروف فى الكلمات مع صـياغة الكلمات فى الجمل مع صياغة الجمل فى الآيات مع صياغة الآيات مع بعضها فى السورة الواحدة ومع السور الأخرى ، فاذا بالتركيب الرائع المذهل المعجز ، واذا هو لا يمكن ويستحيل ان يكون من قول البشر .

ولا يخفى أن تفسير كلمات القرآن العظيم ، يتوقف كثيرا على تفسـير وبيان حروف كلماته ، وتشير فيما تشير للعارفين الى الفناء فى معانى الحروف وصولا الى الأنوار الربانية والاشراقات القرآنية . وهذا كله أساسه العلم بعلوم اللغة العربية وأسرارها .

ولأن القرآن العظيم هو كلام الله جل جلاله ولأنه سبحانه أثبته عنده فى أم الكتاب باللغة العربية وقراه باللغة العربية ، فهى بلا شك لغـة يوم الدين ، يتكلم بها الحق والملائكة والناس أجمعين بقوة الله فيهم .

ولأنها كذلك فلا يحبها الا الذين طهرت قلوبهم من رجس الشـيطان ورجس التحريف .

لأن القرآن العظيم هو كتاب علوم السماوات والأرض ، وكتاب الهدى والنور والخلق الرفيع ، وكتاب الشريعة الغراء وبها الحكم للعالمين .

ولأن القرآن العظيم لا يمكن فهمه ومعـرفة ما به من علوم وحقائق وأسرار الا من خلال لغته ، فان الرسول الكريم صلى الله عليه وسـلم ، أرشدنا الى مفتاح هذا الكنز الربانى العظيم فى قوله صلى الله عليه وسـلم « أنا مدينة العلم وعلى بابهـا » ، ذلك بأن الثابت أن الرسـول هو المعلم فهو المأمور بتعليم المؤمنين الكتاب والحكمة وما لم يكونوا يعلمون ، وبالتالى

فان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه هو الباب الى هذا كله ، وعلى معلوم انه صاحب نهج البلاغة وعلم الحرف وعلم الجفر . وهى علوم اللغة العربية وبلاغتها وأسرار حروفها وعلم بروج السماوات ومنازل القمر وأحوال الناس معها تحقيقا لقوله تعالى **« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا »** الفرقان ٦١ .

وواضح أن الله الخالق العظيم سبق خيرات بروج الشمس على خيرات الشمس ذاتها وخيرات القمر ومنازله . وما يعلم السر الا العارفون . ولعل الله يفتح على أحد من جنده فيرشد الناس بمفاتيح ذلك العلم الذى وضعه امام المسلمين الراشد شهيد المسجد والذى منه ومن فاطمة نسل اهل البيت الأطهار .

فتعلم اللغة العربية تعليما صحيحا جادا وشاملا من نحو وصرف وبلاغة على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة ، وليس على الشعر الماجن الخليع شعر الغزل والتشبيب ،

ثم تعلم علم الفلك لمعرفة آيات الله فى السماوات ؛ وما يمكن أن يبين من أسرار الحروف القرآنية على النحو الذى سبق أن بينا فى باب البرهان مع العلوم المادية والتجريبية ؛

فان هذا لكفيل باعطاء الوسيلة الفعالة والأداة السليمة التى تمكن الانسان من الدخول الى ساحة العظمة العلمية فى كتاب الله العظيم .

فيكون العالم قادرا على تحقيق البراهين العلمية القرآنية والانطلاق بهذه المفاهيم الى الآفاق العالمية بقدم ثابتة وعلم جليل ، على نحو ما سنبين فى خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم وبطامها تحقيقا لقوله جل جلاله .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فصلت ٥٣ .

واذا كان هذا لازما على مستوى العالم أجمع ، لأن القرآن للعالمين،

فانه واجب على المسلم العالم الذى الم بعلوم اللغة العربية والعلوم المادية والتجريبية والطبيعية ودرس الكتاب المنير ، واجب عليه من منطلق قوله سبحانه **« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »** فانه بعد بيان الرسول ، يلزم المسلم ان يتفكر ليلم بآيات الله ، فان قعد فانه يكون قد نكص عن التفكير ، وبالتالى أصبح عالة على غيره من الذين يفكرون، ويكون قد أهدر قيمة ما تعلم وما حصلته أجهزة المعرفة فيه من معرفة ، ويكون كالذى يأكل على مائدة غيره .

***

ولما كان التعليم فى مصر وفى كافة بلاد المسلمين ، قد أصيب بنكسة خطيرة ، وضربة قد تكون قاضية ؛ وهى اشاعة تعليم اللغات الأجنبية والاهتمام بها وبثها فى نفوس النشء منذ نعومة أظفارهم ، وادخال الفكر الخاطىء فى نفوس الناس باطلاق عنوان براق على مناهج تعليم اللغات الأجنبية بأنه تعليم « المستوى الرفيع » ، الأمر الذى يعنى — بمفهوم المخالفة — أن التعليم باللغة العربية هو تعليم « المستوى العادى » أى تعليم الدهماء وأبناء الشعب البسطاء ، تعليم المجان ، مما ألهب مشاعر الناس القادر منهم وغير القادر ، يفعلون كل ما يمكن لهم من وسيلة حتى يحققوا لأبنائهم فرصة تعلم هذا المستوى الرفيع حتى يرفعوا قدر أبناءهم ، وهو دائما أبدا أمل الآباء ، فاذا ما رأينا ماديات الحياة والشركات الأجنبية وغيرها تغرى من يعرف لغتها الأجنبية بالمرتبات التى تتضاعف عدة مرات عن المرتبات الحكومية ، وجدنا أن خطة تعليم « المستوى الرفيع » !! من جهة ، وماديات الحياة ومستوى المرتبات الحكومية الضعيف من جهة أخرى ، تتضافر جميعا على تثبيت أهمية وفائدة تعليم اللغات الأجنبية ، وبالتالى عدم الاهتمام باللغة العربية أو تركها وهو الحادث حاليا على الأغلب .

والثابت فى كافة المصنفات العلمية التى تبحث فى علوم اللغة أن هذا هو هدف الدول غير الاسلامية (١) ؛ ذلك بأنه عندما ينعدم اللسان العربى

---

(١) كتاب « علم اللغة » للدكتور عبد الصبور شاهين ، وكتاب « بحوث ومقالات » للدكتور رمضان عبد التواب .

عند المسلمين ، يصعب عليهم قراءة القرآن فضلا عن فهمه ، ومن هنا تنشأ صعوبة هذا الكتاب العظيم لدى هؤلاء ، فاذا ما اصبح صعبا وغير مفهوم ، فان تركه بالتالى يكون هو النتيجة الطبيعية .

وعندئذ يتحقق للدول الغير الاسلامية أول مخططاتها .

أما المخطط الثانى ، فان تعليم اللغات الأجنبية ينزع المسلمين من بيئتهم الفكرية ، بقيمها واخلاقها الرفيعة ومثلها العالية وصراطها المستقيم، الى تلك البيئة الفكرية الأجنبية بكل ما فيها من انهيار خلقى ومباذل وانقسامات نفسية مدمرة وانحطاط للانسانية .

ومن ثم يضمن الأجانب ضياع قوة المسلمين التى جعلتهم يجتاحون المشرق والمغرب فى فجر الاسلام ، ويضيع المسلمين كقوة فى الأرض ويصيروا أذلاء مستعبدين لغير المسلمين .

واستقراء التاريخ يدلنا على صبر المشركين على تنفيذ هذين المخططين وبكل أساليب الخبث وبكل وسائل التدمير التى أدت الى احتلال أرض المسلمين ثم احتلال قلوب المسلمين من بعد أرضهم . ورأينا بيوت المسلمين تعيش وكأنها بيوت للأجانب ، بل رأينا الكثير من الأجانب يتصرفون بأحسن مما يتصرف به كثير من المسلمين الذين انهاروا فما عادت لديهم قيم من أى جنس ، فمن فرط تقليدهم للأجانب أساءوا التقليد حتى أصبحوا أضحوكة يبكى لها كل مشفق عليهم أو يضحك عليها كل مستهزىء بهم .

لهذا وجدنا العالمين ببواطن الأمور ، وعلى هدى نور رب العالمين ، يبعثون بنداءاتهم الى الصحف ضد هذا الخطل الذى ألم بخطة التعليم ، مبينين الأسباب الحقيقية وراء تعليم اللغات الأجنبية للمسلمين ، ومن أمثال ذلك ما كتبه الأستاذ عبد الستار كمال المستشار الفنى للمجلس الأعلى للثقافة فى مصر تحت عنوان « الماسونية وصراع الأجيال » بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٨١/٦/٣ بالصحيفة الحادية عشرة ما نصه :
« ... وفى الأيام الأخيرة صدر حديث أعجب !! قيل ان بعض كليات التجارة تنوى أن تقسم الدراسة فيها الى قسمين : قسم يلتحق به

العاديون من أبناء الشـــعب المصرى ، ويتلقون تعليمهم باللغة العربية . وقسم يلتحق به المتخرجون فى مدارس اللغات ، ويتلقون تعليمهم باللغـة الانجليزية ويعين الممتازون منهم معيدين بالكلية !! وذلك للوصـــل بين التجاريين والثقافة العالمية ؛ ونسوا أن اللغة العربية لغة عالمية ... وأن الشعب المصرى قام بثورة — وكانت بيضاء لحسن الحظ — ليتخلص من حكم الطبقة أو الفئة الممتازة .. !! وليعلم الأستاذ العميد الدكتور حسـين نصار أن هذه الدعوة ، لم تظهر فى مصر وحدها ، بل وجدت دعاة لهـا فى الدول العربية والاسلامية [هكذا المخطط الذى تحدثنا عنه سـلفا] من ابناء المدارس الأجنبية فى دول الشرق الأوسط . وتحقير اللغة العربية نزعة ماسونية قديمة ... قضينا عليها وطردناها من مصر . ولكنها تريد العودة الى مصر .. وتحاول أن تلم فلول الملكية ، وابنـــاء المدارس الأجنبية ، وعيال أثرياء الحرب ورجال العزب وأولاد الباشوات . وبدأنا نرى تجمع هذه الفئة لســد الفراغ ولترث مقاعد الشـــيوعية بعد أن هزمت مصر الشيوعية والشيوعيين !! الماسونية العالمية هى أم الشرور وأم المذاهب الهدامة ، تسرع لســـد الفراغ فى اى جهة تخلو من المذهب الهدام .. الشيوعية العالمية والماسونية العالمية ، تحاربان اللغات والأديان والقوميات والعادات والتقاليد لأى أمة ، باعتبارها من مقومات الاســـتقلال !! ومن عظمة الدكتور طه حسـين ، وهو المتخرج فى الســـوربون والمتزوج من فرنسية ، واستهوته الماسونية فى شبابه ، فقلد المســتشرقين مرجليوت ونيكلسون وغيرهما فى التشكيك فى التراث العربى والشـــعر الجاهلى ، والثقافة الاســلامية .. لم يكد يمر به الزمن ســوى عشر ســنوات بعد صدور كتابه (فى الشعر الجاهلى) حتى هزته الوطنية هزا جميـلا قويا صادقا ، بمعاهدة الغـاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٦ وألقت عليـه الوطنية مسئولية الدفاع عن الاستقلال الفكرى ، ووضع كتابه الرائع عن (مستقبل الثقافة فى مصر) عام ١٩٣٨ وعاد فيه الى الدفاع عن اللغـة العربية ومهاجمة مدارس اللغات ، وصد الذين يفرضون علينا تعلم اللغـة الانجليزية أو الفرنسية . فهل ستطل علينا الماسونية مرة أخرى . ونرى دعاتها يلمون فلو ل الملكية وابناء المدارس الأجنبية وعيـال أثرياء الحرب وأولاد الباشوات وأصحاب العزب ممن تعلموا فى المدارس الأجنبية وعلمناهم

فيها ونحن نعرف من اى طبقـــة او فئة كانوا — ويكونون حكم الطبقـــة أو الفئة الممتازة ويعملون لحساب الدوائر الأجنبية ، ويحقرون اللغة العربية والثقافة القومية وفئـــات الشعب ويضيعون الاستقلال الوطنى ومستقبل الثقافة فى مصر .) انتهى .

وهذا أيضا الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى يكتب فى جريدة الأهرام — صـــارخا — يوم ١٩٨٢/٣/١٧ — الصحيفة ١٣ ما نصـــه (ان ضعف المعرفة ونقص الثقافة فى بلادنا العربية والعجز عن حسن استعمال أسمى أدوات التعبير عن الثقافة وأنا أعنى اللغة العربية ... وكل أولئك مجلبة للحتوف !! ... وعندما يصل بنا القصور الثقافى الى اهدار اللغة العربية بحيث يغير الخطأ معانى العبارات فالأمر يحتاج الى استنفار لننقذ اللغـــة من العابثين بها والعادين عليها أيا ما تكن مواقعهم ... وكل بناء سياسى أو اقتصادى على غير أســـــاس وطيد من الثقافة انما هو بناء هش على الرمال . والا فلنتأمل ما يدمره فقدان الثقافة الدينية من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . أكان من الممكن أن تظهر دعوة للعنف باســـــم الاسلام لو أن الثقافة الاسلامية كانت هى ما يعمر نفوس الشباب ويضىء عقولهم .؟ أكان من السهل ان تتبدل الدعوة بالحكمة والموعظه الحســـنة الى حوار بالرصاص والخناجر واتهام بالكفر واســـتباحة للأموال والدماء لو أن الثقافة الاسلامية هى ما يصوغ المشاعر والوجدان ويشكل الأفهام ؟ وهذا هو ما تعانى منه كثير من بلادنا العربية والاســـلامية . واذن فكفى حديثا عن الفصل بين الثقافة والسياسة والاقتصاد !! ... فلنحشـــــد جميعا مستنفرين كل طاقاتنا لانقاذ الثقافة واللغة العربية من المحنة ... فبغير هذا تصبح محاولة الاصـــلاح كالغرس فى أرض مينة . وقد أمر الله الناس أن يعملوا ولهم قلوب يفقهون بها ، أم على قلوب أقفالها .) انتهى .

وقد بدت بشائر طيبة لدى بعض المؤمنين ، فنرى فى اليوم التـــالى مباشرة لهذا المقال اى ١٩٨٢/٣/١٨ بجريدة الأهرام — صـــحيفة ٨ — ما نصه (طالب الدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء أمس فى الاحتفال باليوم العلمى ليوم الطبيب الذى تقيمه نقابة الأطباء وجامعة الأزهر حول تاريخ الطب الاسلامى بضرورة التدريس فى كليات الطبباللغة العربية وترجمة

جميع كتب الطب الى العربية . وأن تكون الامتحانات لطلبة الطب باللغــة العربية . .وأكد الدكتور أحمد فتحى الزيات نائب رئيس جامعة الأزهر أن كلية الطب بجامعـــة الأزهر ســوف تتولى ترجمـــة التراث العلمى للطب الاســـلامى) .

هذا ، ولما كان التعليم فى مصر وكافة البلاد الاسلامية ، قد استبد به تعليم اللغات الأجنبية — من منطلق مركب النقص بين بعض الناس وتآمر الآخرين وغياب الكثيرين — وآداب هذه اللغات وأخلاقها وعادات أهلها ، فان هذه اللغات بمفاهيمها ورجســـها وهى نفس مفاهيم الطاعنين منهم فى الدين الاسلامى ورسول رب العالمين ، فانها قد ألقت فى صـــدور المؤمنين معانى وأفكار تتعارض مع أحكام وهدى الاسلام وتنكر القرآن والرســـول وتطعن فى أخلاقياته وسلوكه ، بل وبعضها يســـخف الفكر الالهى ككل ، الأمر الذى جعل القلوب تضطرب والأفئدة تنقسم والايمان يضعف ويخفت نوره ، والحلق يجف بكلمات الله واللسان ناشف عن ذكره سبحانه ، فرأينا ما نرى فى المجتمع وقد أصبح الكثيرون مسلمين بالاسم فقط .

ومع ذلك ، ورغم عبادتنـــا الدائمـــة وركوعنا وسجودنا ، فاننـــا لما سبق ، نجـــد أنفسنا ننأى عن طاعة الله فى أوامره ونواهيـــه ، ننسى ذكر الله ولا نجد فى أنفسنا عزما ؛ وكأن التاريخ يعيد نفسه الى بداية خلافة البشرية للأرض حين نسى آدم ولم يعمـــل شيئا ((**ولقـــد عهـــدنا الى آدم ولم نجـــد له عزما**)) .

ومن هنا ، كان لابد وأن يكون التعليم بجميع أنواعه وفى جميع مراحله حتى المرحلة الجامعية ، وكذلك التعليم الخاص ، تعليما باللغة العربيـــة الفصحى ، حتى تستقيم الألسن للغة رب العالمين وتستقيم القلوب لكتابه العظيم وهديه ونور رسوله صلى الله عليه وسلم ، فتشرق بأنواره وتحصل الصـــدور علومه وتضىء القلوب بمزيد الايمان وينفعل الوجدان برحمتـــه فتسود القيم الفاضلة الجميـــع ويعيش المجتمع فى ســـلام . ويعود ظهور أعـــلام من المسلمين من الذين يعلم الله فيهم خيرا ، كما ظهر اخـــوة لهم من قبل ، فنرى مرة ثانية ومائة باذن الله أمثال ابن ســـيناء وابن الهيثم

والخوارزمى والغزالى وابن كثير والقرطبى وابن خلدون وغـيرهم كثير ، ويعود مجد الاسلام ومجد المسلمين ، لا حبا فى عنصرية ، فالاسلام دين الله والمسلمين أمة واحدة ، وانما رغبة فى تقدم الانسانية روحيا وماديا الاثنين معا ، وأن يجىء تقدم المسلمين بمضمون الرحمة الالهية ، ولا يجىء بمضمون استعباد الشـعوب وابتزاز ثرواتهم وانتهـاك انسانيتهم وتضييع ايمانهم كما يفعل غير المسلمين بمخططاتهم الملتوية التى يرسمونها على مدى سنوات ويشيعون بها القتل والدمار والفساد والاضطراب فى كافة ارجاء الأرض .

والغاء تعليم اللغات الأجنبية من التعليم ، فوق أنه سيلغى الرجس والنجس من صـدور وقلوب الناس ، فانه سيعطى الوقت الكافى واللازم للتركيز على تعلم اللغة العربية وعلومها وآدابها ، فتكون القاعدة الاسلامية سليمة اللسان ، عظيمة القصد ، قوية القلب ، على صراط مستقيم ..

ولن يدعى أحد أن عدم تعليم اللغات الأجنبية سيحجبنا عن الثقافة العالمية ، ذلك بأن أوربا ، عندما كانت متخلفة فى العصور الغابرة لم تتعلم اللغة العربية لتتصل بالحضارة الاسلامية ، ولكنها ترجمت أمهات الكتب العربية ككتب ابن سـينا والخوارزمى وابن الهيثم وابن رشـد وغيرهم فأخذت الثقافة والعلوم الاسلامية كاملة بل انها ترجمت القرآن فى منتصف القرن الثامن عشر .. لتعلم ما فى هذا الكتاب من أسرار خلقت من الأعراب والبدو الرحل اكبر دولة فى الوجود .

ونحن بالمثل ، نستطيع ان نجعل من كلية الألسن والترجمة معهـدا عظيما للترجمة ويكون من عمل خريجيه ترجمة أمهات الكتب العالمية فى شتى مناحى العلوم المادية والتجريبية والرياضية والفلكية حتى نظل على صـلة مستمرة بالفكر العالمى ، وتثرى اللغة العربية بهذه العلوم من ناحية أخرى ، دون التورط أو الوقوع فى رجس اللغات الأجنبية من ناحيـة ثانية ، ودون البعد عن لغتنا وديننا من ناحية ثالثة .

ونعلم جميعا أن ابن سـينا كتب أعظم كتاب فى الطب « القـانون » من هـدى القرآن العظيم وهو ما زال ابن الحادية والعشرين ، ولم يكن يعرف حرفا واحدا من اللغـات الأجنبيـة ، بل لم يكن للأجانب علم يذكر

فى ذلك الحين ، وظل كتاب ابن سينا فى الطب عمدة هذا العلم حتى نهاية القرن السابع عشر تقريبا ويزيد . وكذلك الخوارزمى الذى كشف علم الجبر هديا منرب العالمين ، كتبه باللغة العربية وكذلك جداوله الرياضية التى حرفنا اسمها من جداول الخوارزمى الى جداول اللوغاريتمات اخذا عبيطا بنطق اسمه بالفرنسية ؛ وما زالت هذه الجداول وستظل دائما وأبدا اساسا للعلوم الرياضية فى العالمين .

ولم نسأل انفسنا لماذا وكيف كان « امنحتب » العلامة المصرى القديم ، الذى شيد معجزة الهندسة والعلم والفلك « الأهرام » الها للطب والهندسة ، ولم يكن يعرف حرفا من الانجليزية أو غيرها . انما كان يكتب اعجازه العلمى بالهيروغليفية . لأن الفكر غنى عن لغة معينة الا اذا كان هديا من رب العالمين .

ولم نسأل انفسنا ايضا ، لماذا يتعلم ابناء كل دولة بلغتها القومية ولا يقولون نتعلم بالانجليزية حتى يظلوا على صلة بالفكر العالمى !! فالصين تتعلم بالصينية واليابان باليابانية والألمان بالألمانية والأسبان بالأسبانية والفرنسيين بالفرنسية والايطاليين بالايطالية ، ولا نتعلم نحن بالعربية التى هى أعظم لغة على وجه الأرض ، انهم يتعلمون فى جميع مراحل التعليم حتى نهاية التعليم الجامعى بلغاتهم القومية احتراما لذاتهم .

ولكنه مركب النقص والمؤامرات الخبيثة التى يستعين أصحابها بضعاف الايمان وضعاف النفوس لينفذوا بها مؤامراتهم على الأمة الاسلامية .

لماذا ننحدر الى هذا الدرك المهين بغير فكر وبغير قومية وبغير دين ؟ ذلك بأن تعليم اللغات الأجنبية للصغار موضوع لا يسنده فكر سليم ولا يرضاه الاباء والعزة القومية التى تحترم نفسها ولا تتفق مع منهج الدين الذى هو كل شىء فى الحياة . انما هى وسيلة الضعيف للعلم ، تماما كالمتسول الذى يعتمد فى حياته على مال وتعب الآخرين . وكنتيجة لذلك ، أصبحنا نستورد كل شىء من أول اللغة الأجنبية الى أصحاب هذه اللغة ، فأصبحنا — وبغير حياء — نستورد الأطباء الأجانب من فرط اعتمادنا

على لغتهم وبالتالى علمهم ، ونستورد الخبراء فى الهندسة والادارة وغيرها لنفس السبب ، وكأننا اناس همل لا علم لنا ولا أصل ولا حضارة .

وكنا — فى تلك الأيام الخوالى ، التى لم يعرف فيها احد الا لغة كتاب الله العظيم ، يظهر منا أمثال ابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون ، وأولهم أول من عرف أن للصوت سرعة وثانيهم أول من عرف أن للضوء سرعة وثالثهم اول من اجمع على نظرية تطور الخلق وقعد العلوم الاجتماعية للعالمين . وغيرهم كالشريف الادريسى فى القرن السادس الهجرى وهو أول من قسم الكرة الأرضية وجعل لها خطوط طول وخطوط عرض وما زالت كذلك حتى الآن ؛ والخوارزمى كسابق البيان وغيرهم كثير .

لم يكن هؤلاء سوى الحافظين لكتاب الله العظيم الدارسين لأنواره وهدى رسوله ((**وقال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءأشكر أم اكفر ...**)) النمل ٤٠ .

لم يكن هؤلاء سوى مسلمين مخلصين لله ، يؤمنون بحق أن الاسلام ولغة الاسلام هى أرقى ما فى الوجود من علم وحضارة لأنه هدى الله وكلامه سبحانه جل جلاله .

ولم يكن هؤلاء قد تعلموا الا اللغة العربية وآدابها وعلومها والقرآن الكريم وانواره وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حفظا وفهما وتأصيلا .

فاذا تم لهم ذلك ، فانهم لا يكونون قد بلغوا من العمر سوى سن الذين يدخلون الآن مرحلة التعليم الاعدادى ، وعندئذ يبدأ تعليم من يريد منهم ، علوم الرياضة وغيرها من العلوم المتاحة فى تلك الأزمان .

وخرج منهم ، من بعد دراستهم للمنهج الصحيح — القرآن العظيم ولغته وعلومها والرياضة والفلك وغيرها — الفطاحل الذين اثروا العلم وكان لعلمهم فضل السبق وتأصيل قواعد الحضارة على العالمين .

أفلا نعود الى ايماننا بربنا ؟.

أفلا نعود الى نهج السلف الصالح ؟.

أفلا نعود الى نهج الكتاب العظيم وسنة رسوله الكريم ؟.

الفصل الثالث

المنهـــج

المنهج التعليمى فى القرآن واضح تماما .

اساسه قوله جل جلاله :

« كما ارسلنا فيكم رســولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » البقرة ١٥١ .

واذا قرأنا كتاب الله وجدنا سورة لقمان ، تضع منهجا للتعليم ببداية واضحة جلية منورة تهدى الى الرشد ، وتهدى الى التى هى أقوم .

و « لقمان » كما هو رأى الجمهور ليس نبيا ، وانما هو حكيم وعبـد صالح . ويقول محمد بن جرير الطبرى بسنده عن ابن عباس : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا . وقال الزبير بن العوام : كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر — اى شفتين غليظتين — اعطاه الله الحكمة . وقال حكام بن أسلم بســنده عن مجاهد : كان لقمان قاضـيا على بنى اسرائيل . وذكر غيره ان ذلك كان فى زمن داود عليه السلام(١) .

ويذكر الله سبحانه أنه آتى لقمان الحكمة ، ويفسرها الامام ابن كثير انها الفهم والعلم والتعبير . والله تعالى يقول : **« يؤتى الحكمة من يشــاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »** البقرة ٢٦٩ والخير الكثير هو الايمان القوى المكين الذى يؤدى الى حقيقــة المعرفة بالله جـل جلاله ، وبالتالى الى تقواه مخافة عقابه جل شأنه ، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليــه وسلم : (رأس الحكمة مخافة الله) اى أن التقوى الكاملة هى أعظم مراتب الحكمــة .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٤١ وما بعدها .

وخوف الله أساسه والدافع اليه الايمان . لهذا كانت الحكمة ايمانا كاملا وتقوى كاملة . فهى نور من الله وعلم ، والعلم يأتى بالفهم والبيان ، وهذا هو أساس الكلام فى منهج التعليم والتربية .

ويبدأ لقمان بن عنقاء بن سدون قوله لابنه « ثاران » هاديا له ومعلما بمنهج رب العالمين :

فيقول جل جلاله على لسان لقمان :

« يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم » لقمان ١٣ .

فيضع أول ما يضع حقيقة احدية الله جل شأنه فى قلب ابنه ، ويبين له زيف الشرك . ومعرفة حقيقة أحدية الله هى نور الايمان الوهاج ، فاذا أضاء قلب « الابن » فقد أضاء الله له الطريق الى الخير كله .

ويتبع العلى العظيم ذلك بحقيقة أخرى تليها مباشرة فى الأهمية ، تلك حقيقة توقير الوالدين وحبهما **« ووصينا الانسان بوالديه »** ١٤ تعبيرا عن الارتباط الكامل بالرحمة كلها فى الأسرة موضحا أسباب ذلك الترابط أنه تعب الأم فى حمله وارضاعه وسعى الأب عليه وعلى أمه ، لهذا يأمره العلى العظيم أن يشكره ويقرن بشكره سبحانه شكر الوالدين : **« ان اشكر لى ولوالديك الى المصير »** لقمان ١٤ .

وشكر الله سبحانه بحمده جل جلاله .

وشكر الوالدين بالدعاء لهما **« رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »** .

وان كفر الوالدين فيعاملهما بالمعروف ولا يقطعهما رغم ذلك : **« وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الى »** لقمان ١٥ .

وبعد أن أكمل درس الايمان بالله وحده لا شريك له ثم درس توقير الوالدين والتراحم الأسرى ؛ انتقل جل شأنه الى بيان قدرته العظيمة الجزئية والكلية فقال سبحانه : **« يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل**

فتكن فى صخرة او فى السماوات او فى الأرض يات بها الله ، ان الله لطيف خبيـــر » لقمان ١٦ ، اى لطيف العلم فلا تخفى عليـــه الأشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت ، خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم .

منهج يدرس بسيطا بالبديهيات التى تليق بعقول الأطفال والصغار ، كما تدرس بالمعقولية التى تستوعب تطلعات الانسان المميز ، وبالمعقولية والمقابلة والتكامل والمقارنة لتعطى اليقين العلمى للانسان المفكر المتدبر .

منهج كامل يدرس على مراحـــل التعليم كلها ، فيعطى كل مرحـــلة من مراحله ، الحاجات الفعلية العلمية اللائقة بالمرحلة ، فيخلق الطفـــل المؤمن المحب لوالديه وأسرته ومجتمعه ، المرتبط بتقوى الله .

ويخلق الشاب القوى الايمان ، الذى شب على تقواه ، فكان رحمة لنفسه ورحمة لأسرته وعضدا ، وعضوا نافعا للمجتمع .

منهج يخلق الأساس ويضعه بقوة ورسوخ وثبات فى صـــدر وقلب وفؤاد كل انسان منذ طفولته وحتى بواكير رجولته والى شيخوخته .

ولهذا يتدرج رب العالمين الى الخطوة التالية :

« **يا نبى أقم الصلاة** » اى يا بنى انا ربك الذى خلقك ولتكون خليفة لى فى الأرض ، وانت آمنت بى ، وكنت رحيما بأبويك ، مطيعا لى ومحبـــا ، فاتصل بى دائما ، أهديك سواء السبيل .

يا بنى اتصـــل بى ، كما يجب أن يكون الاتصـــال ، بحق الصـــلاة وبحق اقامتها تحقيقـــا لقوله تعـــالى : « **اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصـــلاة لذكرى** » طه ١٤ .

يا بنى ان كنت فى حاجة ، فاسألنى فى صلاتك ، وناجنى بما تريد .

فكانت الصلاة لذلك ، هى الخطوة الثانية فى منهج التعليم . فتتوطد دعائم الايمان فى قلب الانسان . ويرسخ فى قلبه ان الهداية بالاستعانة بالله ، ونور حكمه ونور سنة رسوله . وان العون بيد الذى بيده القوة جميعا ، بيد الذى بيده ملكوت كل شىء ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

منهج الصلاة اذاً ، هو منهج الطاعة الكاملة لله ولأحكام الله ، منهج العبودية لله ، بيـــان الفرائض والمندوبات والمحرمات والمكروهات ، بيـــان الحـــلال والحرام ، منهج التقوى .

منهج الصلاة ، هو منهج معرفة معنى « العزم » ثم معنى « التوكل على الله » لقوله تعالى : **« فاذا عزمت فتوكل على الله »** .

وهو بالتالى ، منهج موضوعى كامل ، كما يدرس بسيطا ، ومتدرجا ومركبا ، فانه يدرس بفقه كامل وفهم وأصـــول . وهو ما يتناسب وجميع مراحل العمر وجميع مراحل الدراسة بالتالى .

فاذا ما اصبحت مؤمنـــا تقيـــا وعلى علم ، فان الله سبحانه يأمر بأن تكون داعيـــة خير : **« وأمر بالمعروف وانه عن المنـــكر »** لقمان ١٧ ، فكن الداعيـــة فى أسرتك ، وفى عشـــيرتك ، وان أوذيت فى ذلك فاصبر **« واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور »** لقمان ١٧ ، فلابد من أن تقابل من السفهاء وأصحاب الأطماع الدنيوية والحاقدين والكفرة بما يؤذيك ، فاصـــبر ، ان ذلك من عـــزم الأمور . وليكن صـــبرك على رذاذ الأذى من الجهالة ، زيادة لك فى حبك لله سبحانه وزيادة لك فى طاعة الله سبحانه وزيادة لك فى الوصل بنور الله ورسوله ، اعمالا لأمره وطمعا فى رحمته .

ويأت الدرس الثالث فى منهج « الخلق القويم » .

« ولا تصعر خـــدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » لقمان ١٨/١٩ .

اى لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارا منك لهم واستكبارا ، ولكن الن جانبك وابسط وجهك ، ولا تتخذ الخيلاء سبيلا فتكون عنيدا ، حتى لا يبغضك الله العظيم ، وكن فى ســـيرك وسطا ليس بالبطىء المتثبط ولا بالسريع المفرط ، ولا تبالغ فى الكلام ولا ترفع صـــوتك فيما لا فائدة فيه ، ولهذا فان أنكر الأصوات هى أصوات الحمير ، لأنهـــا عالية فى غير فائدة.

والتربية السلوكية والقيم الخلقية لها آفاق واسعة ولهـــا مجالات عـــديدة ، فلن يصلح انسان بدون خلق كريم ، لذلك رأينـــا بعض العلماء شركاء فى عصابات الاجرام فى البلاد التى لا يسود فيها هدى الله ، فأساس النجاح فى الحياة والفوز فى الآخرة هو الأخـــلاق العظيمة . فعلم بلا خلق ينتج علماء قد يكونون مجرمين فان لم يكونوا كذلك فهم فى ضلال .

لهـــذا ، بعـــد أن انزل الله ســـبحانه الحقيقـــة العلميـــة الأولى **« خلق الانســـان من علق »** على رســـوله صلى الله عليـــه وسلم ، أبان أن اساس العلم هو الأخلاق ، فوصف الرسول فى ثانى ما أنزل عليه من وحى **« وانك لعـــلى خلق عظيم »** .

وقال على بن أبى طالب ، باب مدينة العـــلم : « طلب الأدب أولى من طلب الذهب » .

وقال الشاعر : « انما الأمم الأخـــلاق » .

ولأن أسباب اليقين ، أسباب علمية ، فان الله سبحانه يقول :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

و «الآفاق » هى الســـماوات والأرض أى علوم السماوات والأرض وهى علوم الطبيعة والفلك والرياضة والجغرافيا والجيولوجيا وغيرها .

و « أنفسهم » أى علوم الانسان ، خلقه وجسده ونفسه وما يحيط به وما يعتريه وما يؤثر فيـــــه ، مادية كانت أو نظـــرية ، وهى كل ما بقى من العـــلوم .

ويؤكد العـــلى العظيم بأنه سيمكن الانســـان من معرفة ذلك كله فى قوله تعـــالى :

« وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون » النمـــل ٩٣ .

وهنا تبرز للقارىء خيالات لمشكلة وهميـــة ، هى القول أو الادعاء بأن القرآن العظيم ليس كتاب علم ؛ فليس فيه علوم الكيمياء أو الطبيعة أو الرياضة أو الهندسة ... الخ .

وهـــذا القول غـــير صحيح على الاطلاق ، وانما الصحيح أن نقول ان القرآن ليس به تفاصيل العلوم . أما الحقائق العلمية لكل علوم السماوات والأرض والانسان فموجودة فى القرآن العظيم .

أما الخيال أو الوهم الذى يثور لدى البعض فسببه الوحيد هو عدم فهم معانى القرآن العظيم .

ولما كانت حقيقتا خلق السماوات والأرض وخلق الانسان هما من أهم الحقائق القرآنيـــة واخطرهما على فهم الانسان ، لأنهما يتضمنان الكثرة الهائلة من بين العلوم حتى يمكن فهم كل منهما واستنباط الحقيقة من بين ثنايا الآيات القرآنية الكريمة .

لذلك ، وبالتـــالى :

فان تدريس العلوم جميعا — مادية ونظرية — من هـــدى الحقائق القرآنية هو المنهج الحقيقى للعلوم كلها .

ويكفى بعد ما بسطناه فى هذا الكتاب من أمثلة علمية فى باب « البرهان » وبيان حقيقة « خلق السماوات والأرض » ثم حقيقة « نظام الكون — الأرض والشمس والقمر والنجوم » ، أن نذكر أنه يجب على المصنفات التعليمية أن تستقيم لهدى رب العالمين فتذكر فوق عنوان كل درس ، الآية القرآنية التى هى الحقيقة العلمية القرآنية لموضوع الدرس والتى يجب على الدارس أن يسعى الى اثباتها للوصول اليها تحقيقا لهـــا .

ونضرب لذلك مثلا ، ولله المثل الأعلى :

فموضوع كروية الأرض ، جاءت حقيقته القرآنية فى قوله تعـــالى : « **والأرض بعـــد ذلك دحاها** » ، فاذا ما كان الدرس عن كروية الأرض ، وجب أن يكون قوله تعـــالى :

« **والأرض بعد ذلك دحاها** » هى صدر الموضوع .

ثم يكتب :

كروية الأرض كموضـــوع للدرس أى عنوانه .

ويلى ذلك شرح الموضوع بالأدلة القرآنية الكثيرة الواردة فى القرآن

مثل تعاقب الليل والنهار ثم شرح الأدلة المادية العديدة ، وينتهى الشرح الى اثبات كروية الأرض ، ومن ثم الوصول الى الحقيقة العلمية القرآنية التى هى فى صدر الموضوع .

فاذا ما كان ذلك ، فان الذى يتلقى العلم ، انما يتلقى معه الهدى الالهى من أعظم وأمكن أبوابه وهى أبواب اثبات الحقائق المادية العلمية الموجودة فى كتاب رب العالمين ، بما هو منظور له من المشاهدات ، وتطبيقا لها يكون اليقين بالقرآن رسالة الرحمن على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا ملأ نور العلم الالهى وجدان الناس وعقولهم شرح صدورهم للاسلام وملأ قلوبهم بالايمان ولانت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ودخل اليقين بثباته القلب والفؤاد واللب مضيئا الطريق لصراطه المستقيم .

ولعل ذلك يبين للمهتمين بالتعليم ، أن مقولة تخصيص « حصة » لتدريس « الدين » انما مقولة لا تتفق اطلاقا مع المفهوم الصحيح للدين ، الا اذا كان المقصود بذلك هو تدريس نماذج للسلوك والأخلاق الطيبة ، أما دراسة الدين فلا يجوز اطلاقا أن تكون الا عن طريق الحقائق العلمية القرآنية والأدلة المادية والنظرية التى تحققها ، وبذلك نكون قد درسنا الدين بحقيقته ومن خلال كل الحقائق العلمية ، سواء كانت حقائق علمية مادية كعلوم خلق الانسان والسماوات والأرض ونظام الكون ، أم حقائق نظرية كحقائق العلوم الانسانية كالشريعة والعبادات والهدى والأخلاق والتاريخ والنفس الانسانية ، ودروس الحكمة أى فقه هذه العلوم .

ثم لنضرب مثلا آخر عمليا — ولله المثل الأعلى — :

فاننا نعلم جميعا ، أن حياة الانسان أساسها **الأول** السكن **والثانى** حاجاته من طعام ولباس ، فاذا ما توفر ذلك ، ساد الانسان الهدوء وشملت نفسه الطمأنينة . واذا ما كان ذلك على مستوى الأسرة فانه وبالتالى يكون على مستوى المجتمع والدولة ، وتفرغ الناس للدرس والتحصيل والاكتشاف والعمل الجاد والجهاد فى سبيل الله .

ولهـــذا فانه سبحانه اول ما استخلف آدم فى الأرض قال له هاديا مبينا آمرا : « **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ...** » البقرة .

وبين له سبحانه اسباب هذا الأمر وشرح هذه الهداية فقال تعـــالى : « **ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى والا تظمأ فيها ولا تضحى** » .

وقد يكون هـــذا من وجه موضوعا اقتصـــاديا او موضوعا اجتماعيا او موضوعا زراعيا ويكون عنوانه كدرس : السكن بالجنـــة .

ويسير المعلم شارحا كيف يسكن الانسان الجنة على الأرض ولا يسكن العمارات أو ناطحات السحاب . وأن الجنة معناها الشجر المثمر وأنهـــا من كثافة شجرها تحجب اى تجن من بداخلها عن أن يراه من بخارجها ، وأنها من وفرة ما بها من ثمر على مدار فصول السنة ، فان الانسان لن يجوع أبدا وأن هذا الانسان لابد وأن يعمل بها ولأنه فى وارف ظل اشجارها فانه « لا تضحى » .

ولا يخفى ما فى ذلك من معان اقتصادية عظيمة واساسية ، فان ساكن الجنة سيكون ، ولا شك انسانا منتجا ، لأنه سينتج اكثر من استهلاكه ، وبالتالى سيكون لديه فائض ، ومن هنـــا يكون ذا مال وقوة ، وبالتـــالى كل المجتمع .

ولاشك أن انتاجه سيكون متعدد الأنواع ، فبعـــد الثمار من شجر الفاكهة سيكون عنده زرعا لقوله تعالى فى وصف الجنة : « **وجعلنا لأحدهما جنتين من أعنـــاب وحففناهما بنخل وجعلنـــا بينهما زرعا** » الكهف ٣٢ ، ولا شك ايضا فى انه سيكون صاحب نعم ودواجن وغيرها مما أنعم الله به من الحيوان والطير على الانسان .

ولاشك ان سكن الانسان فى « جنة » اى قطعة ارض قد تكون فدان ، واحد أو اقل او اكثر — حسبما يكون التنظيم والتقسيم وصائب النظر — سيجعل هذا الانسان — من باب الدافع الشخصى — حريصا على زراعة هذه الأرض واستغلالها الى أقصى درجة ممكنة — اى كما نقول الآن زراعتها

أفقيا ورأسيا وكما يعبر الرحمن سبحانه : ((**كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منـــه شـــيئا**)) الكهف ٣٣ .

ولا يخفى أن هذا الدرس متعدد الدرجات من بسيطها الى متوسطها الى مركبها ، ومن تدريسه فى المراحـــل الأولى الى المراحـــل المتوســـطة الى تدريسه فى المراحل الجامعية وعلى مختلف الكليات لما فيه من تعـــدد العلوم وكثير الدروس وعظيم الفوائد .

وبهـــذا التفصيل يكون للمعلم القـــدرة فى تحقيق الحقيقة العلميـــة القرآنيـــة :

((**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنـــة**)) .

ولا يخفى ما سيترتب على هذا من تغيير لكثير من التراكيب الزراعية والتراكيب الغذائية والتراكيب السكانية والاجتماعية .

هذه أمثلة علمية وأمثلة تبين الهدى القرآنى لحقائق الحياة والقرآن العظيم يضم كل الحقائق التى فى السماوات والأرض والانسان . والمطلوب من المؤمن هو التفكر فى كتاب الله ليهديه للتى هى أقوم ، وهـــذا التفـــكر لن يكون مثمرا الا اذا كان عن ايمان حقيقى لا ايمان الكاذبين : ايمان الذين دخل نور الله فى قلوبهم فجعلهم يحبون بانفعال هذا النور فيهم ، اذا قاموا للصلاة قاموا اليها راغبين واذا وقفوا فيها وقفوا خاشعين واذا سجدوا ســـجدوا متضرعين واذا حجوا ذهبوا الى الله مستسلمين واذا عملوا ، عملوا ليرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون ، واذا قالوا قالوا حسنا ، وللزكاة هم فاعلون وعن اللغو هم معرضـــون ، ولفروجهم حافظون ، ولأماناتهم وعهدهم راعون ، أولئك هم المؤمنون حقا ((وماذا بعد الحق الا الضلال)) . يجعل الله على أيديهم الهدى ويجعل لهم نورا يمشون به فى الدنيا ويوم يقوم الحساب وهم من فزع يومئذ آمنون .

فاذا انسلخنا من آيات الله العظيم ، وهوينا الى متاهات الحيـــاة الدنيا وزخرفهـــا ومتاهات المشاهدات ، وتحصيل العلم من منطلق البحث

دون سابق تصديق ويقين بالله ، ولم نصدق الا ما تقول به المناظير وما ينتج فى بواتق التجارب المعملية ، واخلدنا اليهـــا عاكفين عليها ، تائهين معها كما هم تائهون ، لأنه ليس لديهم حقيقة قرآنية اليها يهدفون ، فاننا سنظل فى ضلال مع الضلال ، ومن نظرية الى اخطاء النظرية بعد عشرات أو مئات السنين . سادرين فى سبل ليس لها حق معلوم ، تؤدى بنـــا الى متاهات المادية والالحاد ، فيتذبذب الايمان ، وشـــيئا فشيئا نصير كما صاروا .. الههم هواهم ..

ونسمع قول الرحمن ملك يوم الدين جل جلاله :

« وإذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنـــا لا يؤمنون . ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون . حتى اذا جاءوا قال اكذبتم بآياتى ولم تحيطـــوا بهـــا علما اماذا كنتم تعملون . ووقـــع القـــول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقـــون » النمـــل ٨٢ — ٨٥ .

الفصل الرابع

الكيـــف

الله جل جـــلاله ، هو العليم الخبير ، لذلك يهدينا الى كيف التعـــلم وكيف التعليم على يد رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، فيقول سبحانه :
« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم ، ومنه يتعلم كل مؤمن .

واذاً فكيف يكون التعليم بالبيـــان ؟.

البيان هو شرح الحقيقة وتوضيحها واظهار مفهومها وتحديد أركانها ومنطقها وهدفها ثم التدليل عليها اى بيان اسبابها أى عللها وكيفية تحقيق حكمتها ان كانت حكما .

فكما سبق فى باب البرهان فالحقيقة تعرف بعللها ، وهذا هو سبيل بيانها ، فهو بيان اذاً يفصل الأشياء فتظهر وتبدو جليـــة واضحة معروفة الأســـباب .

وهذا يتطلب أولا العـــلم من المعلم وحسن فهمه اعلمه وقدرته على التعبير والشرح والتوصيل ؛ والصبر على ذلك وله .

كما يتطلب من المتعلم السماع بحق سماعه فيحسن ســـماع الكلمات والانصات لها فتعيها أذن واعية . ثم يحسن تبين معانيها ومراميها فيحسن بعد ذلك فهمها وحفظها ومراقبتها والانفعال بها .

لذلك فان السمع بحق سماعه ، لابد وأن يعقبه تفكير طويل من المتعلم ليعرف أقطار ما سمع وحدود بيانه ، فيجب على المعلم اذاً أن يترك للمتعلم فرصة التفكر أى التفكير الكثير كما يجب أن يعطيه موضوع هذا التفكير ، حتى يتدرب المتعلم على تفهم مناحى الحياة المختلفة ومن ثم يصبح له عقل وفؤاد ولب أى أدوات معرفة قادرة على أن تجعله خليفة لائق بالخـــلافة فى الأرض .

ولمـــا كان ذلك ..

فان التعليم يجب أن يركز على العلم النافع للانسان ، وبالتالى فان العلوم النافعة هى التى تهديه أساسا فى حياته الى تعمير الأرض سواء بالزراعة أو الصناعة ، فالانسان خلق خليفة ليعمر الأرض حتى تصير فى أبهى زينة وزخرف **((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها))** هود ٦١ .

ومن هنا يتحدد كيف التعليم العام فى مرحلته الأولى .

هل يكون التعليم للالمام بالمعلومات المتناثرة أم بالتركيز على العلوم النافعة والتخصص المبكر والمفيد لحياة الانسان . فلاشك ان الله خلق الانسان ليعمل **((وقل اعملوا))** .

واذاً فكل علم يجب أن يكون مؤديا بالانسان الى العمل تماما على الذى أحسن . والأعمال النافعة للناس أساسا هى الزراعة ، وبسببها نشأت التجمعات البشرية والحضارات ؛ والصناعة وبها تقدمت البشرية ؛ والتجارة وبسببها تقاتلت وانتفعت وتقدمت كذلك .

وكل العلوم الأخرى تخدم هذه الأغراض الثلاث ، لذلك يجب أن تكون علوم تخصص بجميع أنواعها .

واذا كنا قد بينا فى الفصل السابق مثلا على بيان حقيقة السكن فى الجنة ، فان فى هذا البيان يكون معرفة كيف يسكن الانسان الجنة ، كيف يبنى له بيتا فيها ، وكيف يزرع أشجارها وزرعها ، وكيف يعتنى بثمارها ، وكيف يملك أنعامها ويستكثرها ويستثمرها ، وكيف يجنى محصوله ويتصرف فيه بعد أن يخرج زكاته مرضاة لربه الذى زرعه له وأحياه وقواه عليه ، ورزقه منه .

وقد تعرض السلف الصالح الى نظام توزيع الأرض على الناس فقال الامام أبو حنيفة ان كل من أحيا أرضا مواتا فهى له ، واشترط اذن الامام حتى لا يتعدى واحد على آخر ، وأن ذلك دون ثمن لأن الأرض ملك الله هو الذى خلقها ، ومن زرعها فقد استعمرها فهى حقه . ووافقه صاحبه أبو يوسف وان رفض اذن الامام فليس له من ضرورة عنده (١) .

---

(١) « أبو حنيفة » للشيخ أبو زهرة /١٩٨ — ١٩٩ .

وكما ان « الجنة » هى السكن على المستوى الفردى أى الأسرى ، فان الجنة ايضا مطلوبة على مستوى المدينة والدولة جميعا فيقول جل شأنه : **« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »** سبأ ١٥ ، فاذا انفعلنا بهدى الله وزرع كل فرد منا ، بتخطيط حكومى رشيد ، شجرة فاكهة فى أرض مصر ، بل وكل مسلم فى أرض الله ، لزرعنا ملايين الملايين من أشجار الفاكهة ولأصبحت الفاكهة حقا للجميع كالهواء والماء ولتغيرت تلقائيا التركيبة الغذائية لدى الناس ولأفلتنا من سيطرة لقمة العيش وحبة القمح على مقدراتنا .

وان تنفيذ ذلك ، لن يحتاج الى أرض جديدة ، بقدر ما يحتاج الى ايمان بهدى الله وعزم قوى ، فان جسور النيل والترع والمصارف والطرق الزراعية والصحراوية وملايين الأفدنة يمكن زراعة كل ذلك بأشجار الفاكهة ، فاذا بمصر جنة الله فى أرضه .

ولنعلم أن زراعة أشجار أخرى غير أشجار الفاكهة ، انما هى علامة عدم الايمان ، فيقول سبحانه وتعالى : **« فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور »** سبأ ١٦ و ١٧ .

* * *

وقد أفاض الله علينا بأحسن أرض وساق الينا أعظم نهر ، فهل نحن مبصرون ؟! .

واذا كان ربنا قد هدانا للسكن فى الجنة فانه سبحانه قد هدانا الى تصنيع ثمرها فقال جل شأنه : **« لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا لا يشكرون »** يس ٣٥ وهذا يفيد تصنيع ثمار الفاكهة والمزروعات ونتاج الحيوان .. صناعات كثيرة ومتنوعة ، تكون خير انتاج للناس فى المدن وللناس فى الخارج ، وللتصنيع دراسات وعلوم وتعليم ولتصدير الانتاج دراسات وعلوم .

وان للتعليم كيف آخر لا يتم الا به .

ذلك هو طريقة التعليم ، كيف يكون التلميذ مع استاذه ، صبورا في انصاته ، صبورا في تلقى المعرفة ومعرفة اهدافها .

فيقول سبحانه وتعالى « **فوجدا عبدا من عبادنا ءاتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا** » الكهف ٦٥ — ٧٠ .

وقوله جل شأنه :

« **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » الكهف ٢٨ .

وان للصبر آداب وسلوك ، والآيات الكريمة تركز عليه كاطار عام يدور فيه « كيف » تلقى العلم ، كما تركز على ايمان المعلم تركيزا أساسيا .

* * *

ومن مشاكل التعليم ، موضوع قياس مدى تحصيل العلم ، هل يكون بعقد امتحان ؟ وكيف يكون : هل هو تحريرى أم شفهى ؟ مباشر أم عقلى ؟ فى نهاية العام أو على فترات قصيرة أم طويلة ؟ وفى أى مكان ؟ ومن الذى يباشر الامتحان ، هل هو الأستاذ المعلم الذى علم التلاميذ أم زميل له من مكان آخر ؟ ...

وتختلف المدارس والدول فى شكل وموضوع امتحاناتها لأبنائها .

والله العظيم يضع لنا أروع نموذج لأروع امتحان .

يقول جل جلاله « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما** » البقرة . وابتلى اى اختبر اى امتحن . وابراهيم هو ثانى الرسل أولى العزم وأبو الأنبياء وبناء البيت الحرام مع اسماعيل عليهما السلام . الذى رفع قواعدها وطهرها .

فما هى الامتحانات التى عقدها الله سبحانه لابراهيم ؟

كان الامتحان **الأول** امتحانا عقليا — هل يستطيع ابراهيم — بعد أن آتاه الله الرشد — أن يعقل الأشياء ؟ يقول سبحانه وتعالى ((**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**)) الأنبياء ٥١ ، أى أعطاه الله المعرفة وقدرة الحكم على الأشياء وحسن التصرف لقوله تعالى ((**فان آنستم منه رشدا فادفعوا اليهم اموالهم**)) النساء ٦ . كان اذا امتحانا عقليا مبنيا على مشاهدات يقينية وعليه أن يستخرج من هذه المسلمات الثابتة والمقدمات الحقيقة النهائية . كان امتحانا أسئلته عن الايمان الحق وحقائقه يقينيات يشاهدها الناس جميعا ، وعليه أن يعقلها ويفهم علتها ، وانه سبحانه وتعالى خالق كل شيء ، فعرف ربه من مشاهدة الكون .

وكان الامتحان **الثانى** امتحان للارادة لقوة العزم فيه : فانهال ابراهيم وحده على تكسير الأصنام ، متحديا — بقوة عزمه النابعة من قوة ايمانه بالله — قومه جميعا ومعهم كل القوة الظاهرة وكل الرجس .

وكان الامتحان **الثالث** معرفة مدى اليقين بالله . فألقى ابراهيم فى النار ، فلم يصرخ ولم يطلب العفو ولم يهتز ، وحضر اليه جبريل فقال له ابراهيم : ان ربى اعلم بحالى ورفض طلب شيء من جبريل ، فأمر الله النار أن تكون بردا وسلاما على ابراهيم .

وكان الامتحان **الرابع** معرفة الطاعة التامة لله جل شأنه ، فأسكن ابنه اسماعيل الذى وهبه الله له وهو فى قرابة المائة من عمره ، ومعه أمه هاجر ، فى صحراء بلقع عند البيت الحرام ، تنفيذا لأمر الله ، رغم ما فى ذلك من موت اكيد لكليهما بمقاييس الفكر البشرى .

وكان الامتحان **الخامس** : التسليم الكامل لله ، بأن ينخلع من أبوته ويذبح ابنه تنفيذا لأمر ربه ، فكانت هى التضحية بكل خلجة من خلجات النفس تسليما كاملا لله سبحانه .

ونجح ابراهيم فى هذه الامتحانات جميعا رغم قسوتها الذائقة .

لم تكن امتحانات فى معلومات تحفظ ، ولكن كانت امتحانات فى مدى

الانفعال بهذه المعلومات ومدى قوة العزم المتحصل منها ، امتحـــانات فى عقلية الايمان وعزم المؤمن ، فاذا ما اتم ابراهيم عليه السلام هذه الامتحانات بنجاح ، لقى الجزاء الالهى الحق فى تعيينه اماما للناس . أى أعظم عمـــل فى الوجود الحق .

وهو نفس ما هدى به الله سبحانه وتعالى عبده لقمان فى قوله لابنه بعد أن اتم دروس الايمان بالله وعدم الشرك به ، ومعرفة مدى عظمة قوته وعلمه الكلى والجزئى ، والترابط الأسرى من نبـــع حقوق الوالدين عليه والتراحم ، ثم السجود لله اتصالا به سبحانه والاســتعانة به جل جلاله ، فانه سبحانه أمره **« وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك »** هى الامامة ، هى المثالية وكلها من نور الايمان حقيقة وجوهر الحياة الدنيا والآخرة .

كان امتحانا فى الايمان بيقين الحقائق العلمية القرآنية .

الباب الرابع

خلق السماوات والأرض

الفصل الأول

أفكار العلماء (نظريات خلق السماوات والأرض)

عندما ارتقى الانسان فى التفكير ، واستقر فى حضارة ، فكر فى السماوات والأرض متى وكيف وجدت السماوات والأرض .

اراد ان يعرف ما هى الأرض التى يعيش فوقها ، وما هى السماء التى تعلوها ، وما هو سر النظام الدقيق المحكم المستمر الذى يحكمها ويحكم طلوع الشمس وبزوغ القمر وبعد النجوم وتعاقب الليل والنهار والحر والبرد .

وعرف فلاسفة الاغريق وقدامى العرب — بالمنطق — أن الأرض مركز السماوات .

وفى القرن السادس الهجرى ، كتب العلامة الاسلامى الجغرافى الفذ الشريف الادريسى أن الأرض فى ذاتها مستديرة ولكنها غير صادقة الاستدارة .. وان البحر يحيط بنصف الأرض احاطة متصلة دائرتها ، فكذلك الأرض نصفها يغرق فى البحر ، والبحر يحيط به الهواء (١) .

واكتشفت المناظير المكبرة الجبارة ، وبدأ العلماء يكشفون بالمناظير جوانب السماء ابتداء من غاليلو غاليلى حتى الآن مرورا بكبلر ونيوتن واينشتين الذين تتابعوا فى وضع قوانين مظهر الجاذبية حتى استكمله اينشتين بوضع قانون الجاذبية العام فى نظريته « النسبية » وضع فيه أسس الجاذبية بين المادة فى جميع أشكالها ودقائقها فاشتملت الجاذبية بين تلك الدقائق المادية التى تكون الضوء والكهرباء والأمواج الصوتية سواء منها موجات أصوات الناس أو الراديو أو التليفزيون . ولما كانت هذه النظرية أساسها ثبات المادة والطاقة أى انه لا مزيد على المادة الموجودة فى الكون وأن للكون حافة ...

---

(١) « قصة السماوات والأرض » / ١٥ .

ولما كان العلم — بالمشاهدة المادية — قد أثبت أن مادة خلق الكون — غاز الأيدروجين — دائم الحدوث كل ثانية بملايين الأطنـــان ، وأن الكون يزداد بصفة مستمرة ، واذا فالمادة ليست ثابتة ولا الطاقة .

ولما كان العلم — بالمشاهدة المادية — قد رأى مجرات (أى مجموعات هائلة من النجوم فى شبه قرص) تخلق بالملايين وتسير بسرعة وكلما بعدت عن مجرتنا زادت سرعتها حتى اذا ما تجاوزت سرعة الضوء أصبحت فى عالم الغيب ، واذا فليس للكون حافة .

لذلك وبالتالى ، فان نظرية النسبية صارت على غير حقيقة كونية ، وانما يثبت فيها من صحة ، فقد جاء من بنائها على الأقيســـــة الرياضية للظواهر الطبيعية . ولما كانت الأقيســـــة الرياضـــية يقينيات والظواهر الطبيعية حقائق واقعة مجزوم بها ، فان المعادلات الرياضية التى وضـــعها انشتين بقيت سليمة ، لأنها انما تعبر عن الظاهر . وقال سبحانه **((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون))** الروم ٧ .

فعلم الانسان يدور مع الظاهر ، ولا يتعداه ، وهو متغير بتغير ظروف اكتسابه ، ولا نهاية له عند الانسان لقصور الانسان عن ادراكه .

* * *

(ويكاد تتفق أغلب النظريات الأولى على أن الأرض والســـماوات ، انما تكونت من مادة قديمة كانت مبعثرة فى الفضاء منذ الأزل . حتى أثبت العلم الحديث بوسائل لا تقبل الجدل أن الأرض لم تكن موجودة من قبـــل وانها فعلا بدأ ظهورها منذ نحو ٣ بليون سنة (٣×١٠^٩ ســـنة) وكانت اذ ذاك فى صورة مواد ملتهبة ثم كرة سائلة من شدة الحرارة تحيط بها غلالة كثيفة من الهـــواء وبخار المـــاء وابخرة اخرى لكثير من المواد والمركبـــات . واعقب ذلك أن برد جوها بالاشعاع الحرارى فأمكن لسطحها أن يتصـــلب أو يبدو فى صورة قشرة صلبة لم يستغرق تكوينها وقتا طويلا . الا أن أقدم الصخور يقدر عمرها بما يقرب من ألفى مليون سنة) (١) .

(٢) المرجع السابق / ٣١ .

وتقول النظرية الأولى (نظرية بفون) أن أصل المجموعة الشمسية يرجع فى تكوينه الى حدث فلكى عندما صدم الشمس كوكبا آخر صغير الحجم بالنسبة للشمس ، أو نيزك جبار (١) .

وتقول النظرية الثانية (نظرية لابلاس) بانفجار الشمس انفجارا تطاير معه جزء كبير منها بالأخص من جسمها الغازى ، وتسببت قوة الطرد المركزية — بسبب دوران الشمس حول نفسها — فى انفصال حلقات برمتها من خط استواء الشمس المنبعج فى افلاك على بعد من الشمس وتكون الكواكب — ومنها الأرض — بعد ذلك .

ولما اكتشف العلماء أن مادة الأرض ليست مثل مادة الشمس انهارت هذه النظريات .

ويقول العلماء المحدثون : انه يمكننا تصور الكون قبل خلق السماوات والأرض فضاء فسيحا على النحو الذى نرى منه أجزاء خاصة الآن ، ينتشر فيه غاز خفيف رقيق بدرجة لا تكاد تلمس ، وهو أشبه ما يكون بالدخان غير المرئى من خفته ، وهذا الفلز هو الأيدروجين ، وأنه يوجد منه نحو ذرة واحدة فى كل فراغ يبلغ حجمه علبة الكبريت .

(ويمكننا أن نجزم (!) أن كوننا بدأ فى صورة سحابة هائلة أو سديم من دخان أشبه ما يكون بالقرص الضخم ، وقد لعب غاز الأيدروجين — وهو أبسط أنواع المادة تركيبا وأهمها فى تكوين الماء — دورا هاما فى تكوين ذلك السديم ، وما تمخض عنه بعد ذلك من تكوين المجرة ، اذ انقشع الغاز عن بعض الأجزاء وتراكم فى بؤرات خاصة ولدت النجوم والشموس . فشمسنا مثلا تتكون من ٩٩٪ من غاز الأيدروجين ورماده غاز الهيليوم . فالأيدروجين هو المادة الأساسية التى بنى منها الكون .... ومعنى ذلك أن الكون بدأ فى صورة غاز الأيدروجين ، أما العناصر الأخرى فتولدت بعد ذلك تحت ظروف خاصة ؛ مثل تحول الهيليوم وتكاثفه ذريا الى عناصر

---

(١) المرجع السابق / ٣١ .

ثقيلة داخل النجوم والأفلاك . وقد قدر أن ذرة الأيدروجين توجد بمعدل الف ذرة لكل ذرة واحدة من ذرات مواد الكون الأخرى مجتمعة) (١) .

وتتكون النجوم من تجمع غاز الأيدروجين فى هيئة سحب بفعل الجاذبية وبتضاغط الغاز تزداد الحرارة وترتفع فيولد النجم وعندما تبلغ الحرارة حدا عظيما تبدأ الطاقة فى التولد داخل النجم حيث يأخذ الأيدروجين فى التحول تدريجيا الى هيليوم بتأثير الحرارة العالية جدا ويبدأ فى اشعاع طاقته . وعندما تتعادل كميات الطاقة التى يشعها سطح النجم مع الكميات التى تتولد فى داخله بفعل تحطيم ذرات الأيدروجين تقف عملية تقلص النجم أو تضاغطه ويصبح بذلك نجما عاديا كما هو الحال فى شمسنا على التقريب (٢) .

ويقول العلماء المحدثون بأنه كان هناك نجم براق (أى كبير ضخم تصل درجة حرارته داخله نحو ٣٠٠ ضعف لدرجة الحرارة فى مركز الشمس الذى هو ١٣ بليون درجة) يتبع الشمس ! وأنه قد انفجر ، ومن نتائج انفجاره تكونت كواكب المجموعة الشمسية ومنها الأرض (٣) .

ويفسر العلماء كيفية تفجر النجم البراق بأنه عندما يستنفد جميع الأيدروجين الذى فى النجم تقف عمليات التفجير الذرى بداخله وتنقطع بذلك امدادات الطاقة فيه . وانما يكون هناك انبعاث للطاقة من المركز الى السطح حيث تفقد بالاشعاع كالمعتاد ، والنتيجة الطبيعية بعد ذلك أن يتداعى النجم من الداخل أو ينهار على نفسه وتتضاغط مكوناته وترتفع درجة الحرارة فتصل حدا يفوق الخيال ويساعد الضغط العالى والحرارة المرتفعة على نشاط التفاعلات الذرية داخل النجم المتداعى ويتحول الهيليوم الى عناصر ثقيلة ، وكلما انكمش النجم البراق زادت سرعة دورانه حول نفسه فتزداد قوة الطرد المركزية فتعمل على عدم تماسك اجزائه ومن ثم يحدث الانفجار وتنطلق مكوناته فى الفضاء . ويقول العلماء ان هذا هو

---

(١) المرجع السابق / ٣٥
(٢) المرجع السابق / ٣٥ و ٣٦
(٣) المرجع السابق / ٣٩

ملخص مجرى الحوادث التى مرت بأم الأرض والكواكب السيارة (النجم البراق) قبل انفجارها واندثار معالمها الأصلية . وقد قدر بالحساب أن الكثافة عند المركز — مركز النجم البراق الذى انفجر — بلغت بسبب عظم الضغط حدا بحيث أن حجم علبة الكبريت العادية تبلغ كتلتها (أى وزنها) عند مركز النجم المتداعى نحو الف مليون طن ، كما أن سطح النجم ، بعد تداعيه وانكماشه ، تزداد سرعة دورانه حول محوره حتى تصل الى ١٠٠ مليون ميل فى الساعة ، ويبلغ الانفجار من الشدة أن يتم كله خلال فترة لا تزيد على الدقيقة الواحدة .

وبديهى أن الأرض كانت من نتاج انفجار ذلك النجم .وقد استغرق ظهورها واكتمال كيانها من مخلفات الانفجار نحو ألف مليون سنة . وفى المتوسط ينفجر فى طريق التبانة (المجرة) نجم واحد من النجوم فوق البراقة كل ٢٠٠ — ٣٠٠ سنة . وعلى ذلك فلابد أنه قد تم انفجار نحو عشرة ملايين من النجوم فوق البراقة فى مجرتنا منذ ظهور أقدم النجوم بها أى منذ نحو ٤ آلاف مليون سنة . وبالتالى فتوجد عدة ملايين من المجموعات مثل مجموعة الكواكب السيارة لشمسنا (١) .

ومن هذا يلخص العلماء بأن أصل الكون هو غاز الأيدروجين الذى تكونت منه النجوم وأن بعض هذه النجوم كبر حجمه وزادت حرارته نتيجة ازدياد الانفجارات الذرية به فأصبح براقا ثم فوق البراق وأن فوق البراق انفجر وتكونت منه المجموعة الشمسية الحالية وأخريات بحيث يوجد نحو مليون كوكب فى مجرتنا وحدها . ولكن السؤال هل هى صالحة للحياة ؟

ولأن غاز الأيدروجين يملأ الكون ، فقد تكونت مجرات كثيرة غير مجرتنا ، وأن هذه المجرات تتباعد عن بعضها بسرعة عظيمة وبذلك يزداد حجم الكون أو يتمدد ، وأن سرعة المجرات تزيد على سرعة ٢٠٠ مليون ميل فى الساعة ، والتى تبعد أضعاف بعد هذه المجرات فان سرعتها هى سرعة الضوء ، وفيما بعد ذلك تزيد عن سرعة الضوء وبالتالى تصبح فى الكون

(١) المرجع السابق / ٣٩ — ٤٠

غير المرئى . وهذه النتيجة هى اهم ما تمخضت عنه نظرية النسبية ، وقد تحقق هذا بالمشاهدة والرصد ولم يعد الى الجدال فيه سبيل .

الا ان التعقيب على ذلك هو القول من انشتين بأن المادة ثابتة وكذلك الطاقة . أى انه لا يوجد خلق جـديد . وهذا هو بالتالى الخطأ فى نظرية النسبية .

ولما كانت حقيقة خلق مجرات جديدة يقين ثابت بالمشاهدة والرصد ، فانهـا واقـع مجزوم به يثبت الحقيقة العلمية القـرآنية فى قوله تعـالى **« والسماء بنيناها بايد وانا لموسـعون » الذاريات ٤٧ .**

ويقول بعض العلماء المسـلمين ان هذه الآية الكريمة هى البرهان المعجز لملخص علوم الفلك والطبيعة والرياضة .

ويتساءل العلماء : ان مادة الكون الأولى هى الأيدروجين ، فمن أين تأتى ؟ ويجيبون : يلوح أنها لا تأتى من مكان معين وانما تخلق خلقـا .. فأحيانا لا توجد ذرات هذه المادة وبعد ذلك تظهر ! وبرغم أن العلم الطبيعى لا يعرف معنى الخلق من العدم ؛ الا أن فكرة الخلق نفسها يجب أن نعترف بها ، لأنه لا يمكن تجنبها .

ومن ناحية أخرى ، فاذا قلنا أن الأيدروجين توقف منذ القدم ، كمـا يظن البعض ، فمعنى ذلك أنه سيأتى وقت ينفذ فيه هذا الغاز من الوجود ، لأنه تكدس فى المجرات التى تعد بآلاف الملايين وتتباعد وتختفى شيئا فشيئا بسرعة الضـوء واكثر ، ثم انه يتحول فى النجـوم الى رماده غاز الهيليوم والى عناصر أخرى التى تكون الكواكب السيارة وأن هذه السلسلة غـير تراجعية ، وبديهى أن بقاء غاز الأيدروجين منتشرا فى فراغ الكون (أى بين المجرات) حتى الآن دليل على أن مادته فى تجدد مستمر أو فى خلق مستمر، ولهذا السبب نفسه يبقى متوسط كثافة غاز الأيدروجين ثابت فى الفضاء .

ومعدل خلق الأيدروجين بطىء جدا ، ولا يظهر متكتلا فى مكان معين ، بل هو دائما منتشر فى أرجاء الفضاء القريب والبعيد ، ويقدر معدل ظهورها بنحو خلق ذرة واحدة فى العام داخل فراغ يعادل حجم بهو كبير !! وان كان

هذا المعدل لا يمكن قياسه او مشاهدته عمليا (!!) ، ولكن يمكن حسـابه رياضيا ، بحيث اذا طبقناه على فراغ الكون المرئى كله تمخضت قيمة المادة المخلوقة عن كميات تفوق الخيال فهى تبلغ نحـو ١٠٠ مليون مليون مليون مليون مليون طن فى الثانية الواحدة !! ...

وتسبب هذه المادة الجديدة من الضغط والحركة فى الكون ما يدفعه الى التمدد . وما يجعل المجرات تتباعد ، لأن مجرات اخرى كثيرة تنشأ وتتكون وتدور بسرعة حول نفسها وتبعد بسرعة ايضا الى حيث لا يدرى احد الى الكون غير المرئى (١) .

***

هذا ملخص شديد لأفكار العلماء حول خلق السـماوات والأرض ونلاحظ عليه الآتى :

اولا : يقولون ان مادة الكون هى عنصر الأيدروجين اى غـاز الأيدروجين فقط . فاذا كان ذلك فمن أين أتى الاكسجين ، ومن اين جـاء الماء ؟!

ثانيا : يقولون ان الذى يكون النجوم هو تكتل الأيدروجين بفعـل الجاذبية . ولم يبينوا سـبب هذه الجاذبية . لأن قانون الجاذبية الذى وضعه نيوتن هو « كل جسـم مادى يجذب اى جسـم مادى آخر يجاوره ليضمه اليه بقوة تتناسـب مع حاصل ضرب كتلتيهما » ، ولما كانت ذرات الأيدروجين متساوية فى الحجم والكتلة ، ولما كان الثابت علميا أن خاصيتها الانتشار .. !! فما الذى جعلها تتجاذب ؟!

ثالثا : ما الذى جعل النجم يدور حول نفسه ، وكل حركة لها محرك . بل ما الذى جعل المجرة كلها تدور حول نفسها ؟!

واذا قلنا بامكان دورانها حول نفسـها لسـبب فى ذاتها ، فما الذى يجعل المجرة كلها تجرى بسرعة الضوء ثم تزيد ؟! وما الذى يحدد لهـا الاتجاه الذى تسير اليه ؟!

---

(١) المرجع السابق / ٤٢ وما بعدها .

رابعا : هذا التفسير العلمى يقول بأن الأرض أصلها نجم براق كان تابعا للشمس ، أى أن السماء بنجومها خلقت ومضى عليها زمن طويل بملايين ملايين السنين ثم خلقت الأرض .

والله سبحانه وتعالى يقول بخلق الأرض أولا وارساء الجبال بها وتقدير أقواتها ثم قصد الى السماء وهى دخان وبعد ذلك سواهن سبع سماوات — كما سيأتى تفصيلا فى الفصل القادم .

خامسا : قالوا ان النجم البراق الضخم جدا والذى تفجر فكان منه الأرض كان تابعا للشمس ، فكيف يتأتى ذلك مع قانون الجاذبية المقول به ، اذ أنه تبعا له يجب أن يكون العكس هو الصحيح .

هذا ، ولما كانت جميع النظريات والأفكار السابق بيانها لا تفسر ولا تؤدى الى بيان سبب وجود الأكسيجين فى الأرض والجو المحيط بها ووجود الماء فى الأرض .

ولما كانت أيضا لا تفسر سبب خلق غاز الأيدروجين ومن أين يجىء . وبالتالى زيادة مادة الكون زيادة ضخمة وبصفة مستمرة .

ولما كانت هذه النظريات أيضا لا تفسر سبب تجاذب ذرات الأيدروجين ولا تفسر سبب حركة دوران النجوم والمجرات وسيرها وسرعتها واتجاهها .

لذلك .

فهذه النظريات جميعا لا يسندها علم بالمعنى الصحيح للعلم ، وانما هى مجرد أفكار ليس لها أساس صحيح من الواقع المجزوم به وهو وجود الماء فى الأرض ، ومن أن خاصية ذرات الأيدروجين هى الانتشار وليس التجاذب ، ومن زيادة ذرات الأيدروجين بصفة مستمرة من مصدر غير معروف .

وبالتالى تفقد هذه الأفكار كل أساس يمكن أن تدعيه .

ومن ثم فهى غير صحيحة .

الفصل الثانى

خلق السـماوات والأرض فى القـرآن

المبحـث الأول

اذا كنا قد عرضنا الأفكار العلمية فى هذا الموضوع ، فثمة عرض آخر يجب الالمام به لتكتمل أقطار الموضـوع ، علميا ، وفلسـفيا ، أو علميا ومنطقيا ، لأن المعقولات هى أسـاس اليقين الذى لا يمكن أن يوجد يقين بغـيره .

فالفيلسـوف العربى الكندى يرى أن العالم كله (الكون) جرم (أى جسم واحد) ، والجرم نهائى ولأن الجرم ذو جنس وأنواع فلا يمكن اذا أن يكون أزليا ، أما الأزلى فلا جنس له . فالجرم ليس هو الأزلى . وبالتالى فالعالم محدث أى مخلوق . ويصـف الكندى الخلق بأنه « ابداع » الا أنه لم يوضح كيف ذلك .

ويعقب الدكتور الأهوانى بقوله : كما ان أحدا لم يوضحها لأنهـا عملية تسمو على المستوى الطبيعى وترتفع الى مجاهل الميتافيزيقا ، ويقول الكندى عن المقصـود « بالابداع » أنه صـفة تماثل الخلق ، الا أن معنى الابداع يدل على أكثر من الخلق ، فالابداع أوقع فى معنى الخلق من «عدم»، كما أنه يدل على التدبير والنظام ، وفى ذلك يختم الكندى بيانه بقـوله : (فالواحد الحق اذن هو الأول المبدع الممسك كل ما أبدع ، فلا يخلو شىء من امساكه وقوته الا عاد ودثر) .

ويرى الفارابى اتباع نظرية « الفيض » وهو يستخدم هذا الاصطلاح بالذات . وأول ما فاض عن « الأول » أول آخر وعن الأول الآخـر الثانى وهكذا الى العقل العاشر ، ثم يقول الفارابى (وجود ما يوجد عنه انمـا هو على جهة فيض وجوده لوجود شىء آخر ..) (١) .

---

(١) من آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى /٣٨

ولأن هذه النظرية تتناقض مع حقيقة الخلق الثابتة فى القرآن وتخضع الله سبحانه وتعالى للضرورة ، فلا يكون خلق العالم عن ارادة ومشيئة بل عن فيض ضرورى ، لهذا انكر المسلمون ما قاله الفارابى .

وعند الفارابى كما عند ارسطو ، ينقسم العالم الى قسمين : عالم السماء وعالم الأرض ، أى أن العالم كله كرة ضخمة مركزها الأرض وما يحيطها الى فلك القمر ، والى هنا ينتهى العالم الأرض . أما ما فوق فلك القمر الى كرة السماء الأولى فهو عالم السماء . وهكذا فهم القدماء علم الفلك .

وابن سينا لا يختلف عن الفارابى فى القول بالصدور (الفيض) وكيفيته وحدوث العالم اى خلقه الا فى بعض التفاصيل ، فالفيض عنده الذى يعلل به « الكثرة » ثلاثى لا ثنائى ، فيلزم عن العقل الأول : (أ) بما يعقل الأول (أى الله) وجود عقل تحته (ب) وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك الأقصى (وهو الفلك الأطلسى أى العرش فى القرآن) . وكمالها وهى النفس . (ج) وبطبيعة الحال امكان الوجود الحاصلة له المندرجة فى تعقله لذاته جرمية الفلك الأقصى (١) . وبعبارة أخرى يصدر عن كل عقل ثلاث اشياء عقل ونفس وجسم .

أما ابن رشد فهو أقرب الى نظرية أرسطو فالعالم كله والأجسام الطبيعية الجزئية تتركب من مادة ومن صورة أى من مبدأين متعارضين . ويقول ابن رشد أن السبب فى وجود موا د الأجرام هو صورها فقط .

ومع ذلك فان ابن رشد الفقيه يقرر الخلق ويقطع به طبقا للآيات القرآنية التى تدل على أن العالم محدث بالحقيقة مثل قوله تعالى : **« وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء »** هود ٧ ويفسرها ابن رشد بأن هذا يقتضى وجودا قبل هذا الوجود وهو العرش والماء ، وزمانا قبل هذا الزمان .

ويعقب الدكتور الأهوانى بقوله : ان هذا الفكر بدأ فى التغير من

---

(١) من « الالهيات » لابن سينا / ٤٠٦

القرن السادس عشر تغيرا أساسيا فعلم الفلك على يد برنيق وغاليلى غاليليو أصبح شيئا آخر خلاف علم الفلك القديم ، ولا تزال المباحث الفلكية تتقدم فى هذا العصر مع المخترعات الاليكترونية الحديثة واطلاق سفن الفضاء ، وكذلك علم الطبيعة بعد تفتيت الذرة ومعرفة أسرار تركيبها ، وقل مثل ذلك عن علم الحياة بفروعه ، ولم تعد العناصر أربعة : النار والهواء والماء والأرض كما كان يظن ؛ لهذا فان الفلسفة التى بنيت على تلك العلوم والتى تصورت العالم تصورا خاصا ، لم يعد لها مجال فى العصر الحاضر ، ولابد من اقامة الفلسفة الاسلامية حديثا على صرح العلم الحديث آخذة فى اعتبارها ما حققه العلم بمناهجه الحديثة من تقدم طائل (١) .

ولسنا بحاجة الى التعليق على ما ذهب اليه الفلاسفة ، الا أنهم تخيلوا وحاولوا أن يعقلوا ما تخيلوه ، والخيال وهم أما ما يعقل فهو الواقع المجزوم به فقط ؛ لذلك اسقط فى أيديهم جميعا .

والواقع الذى يعقل اما أن يكون بديهية أو برهان يقينى أو فعل مادى عليه دليل قائم ، والله جل شأنه يبين لنا ذلك — كما سبق بيانه فى باب البرهان — بقوله عن الظل « **وجعلنا الشمس عليه دليلا** » فالظل واقع مجزوم به لأنه واقع مادى ملموس لحاستى البصر والاحساس الانسانى بالحر والبرد ، والشمس الدليل القائم عليه مرئية لكل ذى قلب . وبالتالى فان كل المقولات التى تسير فى مدارات التصور والخيال أو تؤسس على مقدمات فرضية أو احتمالية أو ظنية تكون فى الحقيقة ، على غير واقع مجزوم به ، وبالتالى تنتهى الى خطأ أو الى لا شىء .

ومن هنا يجب على المتكلم أو الفيلسوف الاسلامى ؛ اذا التزمنا مفهوم الفلسفة الحقيقى من أن معرفة الحقيقة انما يكون بعللها أى بأسبابها ؛ أن يؤسس فكره على العلل الحقيقية التى تثبت ما تدل عليه أى على الأدلة اليقينية التى تدل على أنها السبب فى الواقع المجزوم به على وجه القطع ؛ وعندئذ فقط يكون الفكر سليما وحقيقيا ويؤدى الى استنباط العلوم

---

(١) « الفلسفة الاسلامية » للدكتور أحمد فؤاد الاهوانى / ١٢٢ — ١٤٤ بتصرف

والوصول الى الحقائق التى ارشدنا اليها العزيز الخبير ، فمثلا عندما يهدينا ربنا العظيم الى طريق معرفة بداية خلق الانســـان واى خلق آخـــر فانه سبحانه وتعالى يقول : **« قل ســـيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »** فهو سبحانه يأمرنا بأن نتخذ من الحفائر الحجرية للهياكل العظمية للمخلوقات وللانســـان دليلا على معـــرفة وعلم بداية الخلق الذى أخبرنا ســـبحانه — كحقيقة علمية قرآنية — انه بدأ من طين فى قوله تعـــالى : **« هو الذى احسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين »** . وبالتالى يبين لنـــا ســـبحانه ، فى اطار شرحه لمنهـــج معرفة كيف بدأ الخلق بأنه بوســـيلة « سيروا فى الأرض » أى بالوصول الى الحفائر ودراستها علميا وعقليا ؛ وبهذا المفهوم وبهـــذا المنهـــج يكون البحث عن الحقيقة أى بمعرفة أدلتها المادية التى تثبتها ، وبالطبع فان هذه الأدلة تكون واضحة وضوح الشمس دليلا على الظل . ومن ثم يمكننا أن نعرف مدى قيمة الفـــكر السابق حيث لم يلتزم المنهج الالهى فى معرفة الحقيقـــة ، اذ انه فى مجال بحثه لم يبحث عن الدليل الثابت الحقيقى على الواقع الموجود فعلا ، وانما التزم التصور والفروض الظنية وحاول الوصول الى الحقيقة بفروض كلامية ليس لها أساس الا فى الوهم والخيال . ولهذا لم يصل الجميع الى شىء .

ولما كان فقه الدليل القرآنى قد اتخذ الدليل المادى أساسا تعرف به الحقيقة العلمية القرآنية ، لذلك فان البحث عن الدليل المادى يجب أن يكون السبيل الحقيقى فى مجال الفكر واستخلاص النتائج العلمية ومن ثم تحقيق البراهين القرآنية للحقائق العلمية .

واذا كانت المباحث العلمية الحديثة فى كل فروع العلم ، قد تقدمت ، فاننا يجب أن نعلم بحق أن أى تقدم انما هو فى بعض الظاهر على الأرض وليس فى كله . وأن العلم ومباحثه انما تبحث فى امكانية الوصول الى معرفة هذا « الظاهر » المتاح لنا بفضل الله تعـــالى لقوله جل شأنه : **« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »** الروم ٧ .

ولما كان « الظاهر » ماديا . فيجب أن نعلم علم اليقين ، اننا انما ندور

فى نطاق هذا الظاهر وبالتالى فان البحث فى غير الظاهر انما هو مضيعة للوقت ومتلفة للمال وتفريق للسبل وتشتيت لأواصر الألفة فى الجماعة .

ولما كانت السماوات والأرض والانسان من هذا « الظاهر » فان الله سبحانه وعدنا ووعده الحق أن يرينا آياته فيها لنعــلم أنه الحق . فقال سبحانه : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »** وكلمة « سنريهم » تدلنا على أن كل الحقائق موجودة فى القرآن وأن طريق الوصول اليها بالهداية الربانية للأدلة اليقينية المستمدة من المعرفة والمنهج القــرآنى وأنواره والهــام الله جــل جــلاله للذين يجاهدون فى ســبيله **« والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »** العنكبوت ٦٩ .

ومن ثم نصــل الى حقيقة الخلق ، فاذا عرفناها يقينا ، تبين لنــا أن الله سبحانه هو الخالق .

المبحث الثاني

أمرنا سبحانه وتعالى اذاً ان نتفكر فى « الظاهر » ومن ثم فقد أمرنا بأن نتفكر فى خلق السماوات والأرض فى قوله جل شأنه : **« والذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض »** .. يصلون الى الحق واليقين بأن الله جل جلاله هو الخالق فيقولون : **« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »** فالله جل شأنه يطلب منا **أولا** ذكر الله قياما وقعودا اى طاعة الله دائما ابدا والتفكر فى هديه سبحانه **وثانيا** التفكر فى خلق السماوات والأرض بالعلم النورانى والعلم المكتسب ، فانه بفضل الله يسير الى معرفة آيات الله فى خلق السماوات والأرض .

يقول الخالق العظيم :

« وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » هود ٧ .

وهذه الآية الكريمة هى الآية الوحيدة فى القرآن العظيم التى أخبرت عما كان عليه الحال قبل خلق السماوات والأرض . عرش الله سبحانه والماء من تحته .

والآية تقول : **« وكان عرشه على الماء »** وكان تخبر عن الماضى ، اى عن العدم الذى من قبله وجود ، اى عن الماء الذى كان وليس له الآن وجود .

ولهذا يخبرنا العلى العظيم أنه بعد خلق السماوات ، فان الملائكة هى التى تحمل العرش المجيد ، فيقول سبحانه وتعالى : **« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا »** غافر ٧ ، وقوله سبحانه : **« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم »** الزمر ٧٥ ، وقوله تعالى : **« ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »** الحاقة ١٧ .

اذاً فقد تبدل الحال ، فبعد ان كان « الماء » هو الذى تحت العرش ولا شىء غير ذلك ، اصبح العرش العظيم محمولا على الملائكة واصبحت أرضا وسماوات وملائكة وانس وجن وكل ما خلق الله من شىء . ولا نرى فى الكون « الماء » ، وفقط ما يلزم للحياة على الأرض .

وبالتالى ، فان العقل والفؤاد يسألان : أين ذهب « الماء » الذى كان عليه العرش ؟ هل اختفى فأزاحه خالقه الى مكان لا نعلمه ولا يعلمه الا خالقه . أم ان هذا « الماء » قد استنفده ربه فى خلق ا« الأشياء » .

يقول رب العالمين وخالق كل شىء :

« وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا » الفرقان ٥٤ .

« والله خلق كل دابة من ماء » النور ٤٥ .

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » الأنبياء ٣٠ .

فهل « السماوات والأرض » من الأشياء الحية حتى تدخل فى مفهوم هذه الآية الأخيرة ؟.

يقول ربنا سبحانه ان السماوات والأرض تسمع وتعى وتعقل وتفهم وتتصرف وتتكلم حسب خلقها ، يقول تعالى : **« ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين »** فصلت ١١ ، فهما سمعا ربهما وفهما أمره وأجابتا عليه اختيارا فلهما ارادة واختارتا الطاعة والتسخير لله ونطقتا بذلك بقول يتفق مع طبيعة خلقتهما . والأرض والسماوات تبكيان واذاً فهما يعقلان ويفهمان ويتأثران فيبكيان لحزن والذى يحزن يعرف السرور والفرح فقال سبحانه : **« فما بكت عليهم السماوات ولا الأرض »** الدخان ٢٩ ، واذاً فالسماوات والأرض أجرام حية بالمعنى المفهوم من كلمة « الحياة » .

ومن ثم ، يكون السماوات والأرض وما فيها من شىء ، ممن خلقها الله سبحانه من الماء تحقيقا لقوله تعالى : **« وجعلنا من الماء كل شىء حى »** .

وكلمة « وجعلنا » غير كلمة « وخلقنا » الأمر الذى يعنى تحويل الماء

إلى عناصره ومكونات العناصر التى لهـا خلق يختلف عن مادة المـاء ؛ وهو الخلق الظاهر لنـا .

و « المـاء » الذى كان عليه عرش الرحمن تبارك وتعالى ، اسمه فى القرآن العظيم « الماء » . واذاً فالماء فى هـذه الآية الكريمة هو ما يفهم بأنه الماء الذى نعرفه وليس شيئا آخر أو نوعا آخر . ذلك بأن الله سبحانه انزل القرآن باللغة العربية « **لعلكم تعقلون** » يوسف ٢ وعلى هذا أصول التفسير .

ولما كان اللفظ وظيفته حمل المعنى ، ولما كان المعنى صريحا مبينا وليس مبهما . لذلك فان كلمة « الماء » انما تعنى بوضوح وصراحة « الماء » الذى نعرفه . ولاسيما أن الكلمة جاءت معرفة بأداة التعريف « الـ » فزاد ذلك فى ثبوت بيانهـا وحقيقتها على الوجـه المعروف لدى الناس . وبالتالى زال كل تفكير فى أنها غير الماء الذى نعرفه .

ومن ثم ، فان « المـاء » الذى نعرفه هو المـادة التى خلقت منهـا كل الأشياء . هـذه هى الحقيقة التى افصح القرآن عنها فى غـير لبس ولا غموض .

واذاً فالماء هو « المادة » التى هى أصل الموجودات كلها . واذا فكل شىء خلق من هذه المادة وليس من عدم كما قال الفلاسفة العرب والاغريق على نحو ما أسلفنا .

و « المـاء » علميا يتكون من عنصرين : الايدروجين (الهيدروجين) والأكسجين . وكلاهما غاز أو يمكن أن يكون فى حالة غازية .

والثابت علميا أنه بتمرير تيار كهربائى فى المـاء يتم فصـل كلا من العنصرين على حدة ويصبح الموجود هو غاز الأيدروجين وغاز الأكسجين . وبالتالى يتحول الماء الى هذين العنصرين ولا يكون هناك ماء .

ولما كان الثابت علميا ، بالعلوم التجريبية ، اى أن هذا واقع مجزوم به ، أن كلا من العنصرين المذكورين بل وأى عنصر من العناصر ، انما يتكون من ذرات ، وأن « الذرة » هى أصغر مكونات العنصر . ولما كان فلق الذرة

أو شطرها أمر ثابت ايضا علميا وعمليا ؛ فان فلق المياه الى عنصريها ثم فلق ذرات كل عنصر ، هو الانشطار النووى المعروف والذى وصل الانسان الى تحقيقه ماديا ١٩٤٥ م .

وثابت من التجارب العلمية على الطبيعة أن ذرة العنصر عندما تشطر (وهو ما يسمى بالتفجير النووى لأن نواة الذرة تشطر كذلك) فانه يخرج منها شيئان : نار هائلة لها حرارة هائلة ونور هائل يعمى بصر من ينظر اليه (١) .

ولما كان الثابت علميا وعمليا كذلك أن هذه الحرارة الهائلة والنور الهائل ينتج منهما اشعاعات ذرية وأن هذه الاشعاعات ؛ مهما اختفت عن أنظار الناس وحواسهم ؛ ما هى الا طاقة مادية عبارة عن بروتونات ونيترونات واشعات الفا وبيتا ونوتونات والكترونات وبوزيترونات وميزونات وميونات بنسب كبيرة هائلة مميتة لكل حى (٢) .

ولما كانت الحرارة الهائلة يتولد عنها ضغط هائل ، فانه مع اللهيب الهائل والحرارة الهائلة توجد او تتولد الضغوط الهائلة والأشعة المميتة .

وكل هذا أنواع مختلفة من المادة ، وكل طاقة مادة .

والماء — كما بينا — عبارة عن مادة مكونة من عنصرين : الأيدروجين والأكسجين وكل مادة بتقسيمها وتفتيتها تصير الى وحدات صغرى تبلغ فى الضآلة أقصى نهايتها وتصل الى آخر مدى من الصغر وهو الذى يعرف بالجزىء . فالجزىء اذآ هو وحده المادة . وأصغر جزىء منها له صفاتها وخواصها ، واذا كان الجزىء هو وحدة المادة ، فان العنصر — والماء مكون من عنصرين — حينما ينقسم ويتفتت الى وحدات صغرى تبلغ الغاية من الضآلة وتتناهى فى صغرها الى اقصى حد ، فاننا اذ ذاك نسمى كل وحدة من هذه الوحدات « ذرة » . فالذرة اذآ هى وحدة العنصر . وللذرة محيط

---

(١) كتاب « ماذا تعرف عن الذرة » للدكتور فتحى سلام والدكتور اسماعيل هزاع /٢٧ — ٤٧ .

(٢) كتاب « الفيزيقا » دكتور محمد عبد المقصود النادى /١٥٩ — ١٨٩ .

وفى قلبها نواة ويسبح فى محيطها فى مدارات ما يسمى بالالكترونات ، والالكترون جسم خفيف جدا ذو شحنة كهربية سالبة ؛ أما "النواة فتتكون من بروتونات ونيوترونات . والبروتون جسيم ثقيل نسبيا ذو شحنة كهربية موجبة . والنيترون متعادل من الوجهة الكهربية . ويتساوى عدد الالكترونات الدائرة فى محيط الذرة مع عدد البروتونات الكامنة فى نواتها . فذرة الأيدروجين (وهو احد عنصرى الماء) وهى ابسط الذرات بها بروتون واحد وفى محيطها الكترون واحد . وذرة الأوكسجين (وهو العنصر الثانى للماء) فى نواتها ثمانية بروتونات ويدور فى محيطها ثمانية الكترونات) (١) . وعدد البروتونات اسمه الرقم الذرى فاذا اضفناه الى عدد النيترونات (الاثنان يكمنان فى نواة الذرة) يكون مجموعهما هو الوزن الذرى . فالذرة اذا تعرف بوزنها . أى وزن الذرة يحدد ماهيتها . أى يحدد عنصرها .

لذلك يقول الخالق العظيم « ... **عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين** » سبأ ٣ . فالله جل شأنه يذكر الذرة دائما فى القرآن مسبوقة بالوزن . ويذكر ما هو اصغر من الذرة وهو مكوناتها النواة وما فيها وما يدور حولها ، وكلها اجسام مادية متناهية فى الصغر بحيث لا ترى الا بالمجاهر الالكترونية المعقدة ، ومنها ما لم ير حتى الآن .

وكما أن الثابت علميا أن الذرة عبارة عن خلية كهربية أى أن الأجسام التى بها عبارة عن شحنات كهربية موجبة ومتعادلة وسالبة . وأن الالكترونات دائما تسبح فى مدار حول النواة أى أن الذرة دائمة الحركة بالقوى الكهربية .

واذا ، فلما يأمر الخالق العظيم « الكهرباء » ؛ التى خلقها فى ذرات العناصر أو غيرها ؛ بأن تفلق الماء الى عنصريه ثم يأمر بتفتيت عنصر الأيدروجين الى ذرات ثم تفجير هذه الذرات لتنتج عن ذلك نارا لا يمكن أن تخطر على قلب بشر من حيث حجمها اوشدتها او الأشعة المنبعثة منها ، كما لا يمكن تخيل الضغوط التى تنتج عن هذه الحرارة الشديدة ، ولا النور المنبعث منها .

---

(١) كتاب « ماذا تعرف عن الذرة » ٩ — ١٢ .

واذا ما كانت هذه « الماء » التى فلقها الخالق العظيم بجبروته وباسمه المكنوز فى « رب الفلق » كتلة هائلة لا يمكن للانسان أن يتخيل لها حدود ، وهو ما يشير اليه القرآن العظيم فى قوله تعالى عن السماوات والأرض قبل تكوينهما نهائيا على الوجه الذى هما عليه الآن « **كانتا رتقا ففتقناهما** » الأنبياء ٣٠ ، اى كانتا شيئا واحدا كالنسيج يتصل بعضه ببعض ، فأخلى الخالق الجبار بين السماوات والأرض ، وبقى بعد ذلك كل جزء منهما متماسكا فى ذاته مربوطا بالآخر على الوجه الذى سنبينه فى الباب التالى بعون الله .

ولما كان الثابت علميا ان الضغوط الهائلة على النار تحولها الى غاز ، فالله سبحانه جعل الضغوط المتولدة من التفجير النووى الرهيب محيطة بالنار التى سيكون منها الأرض ، حتى صارت غازا وباستمرار الضغط تتحول الى سائل وباستمرار الضغط يتحول السائل الى جسم اى جرم حتى يتصلب قوامها بعد ذلك نتيجة كافة العوامل التى فيها والتى من حولها وما ينتج عن ذلك من تكوين عناصر معادنها وصخور قشرتها .

وبعد أن انهى الخالق العظيم خلق الأرض تماما ، استوى الى السماء اى قصد الى خلق السماء وكانت ما زالت « دخان » اى فرات أيدروجين لم تنفجر بعد ، ولاتساع رقعتها الهائلة بدت كدخان — نظرا لاتساع المساحة وبالتالى شفافية الغاز — فخلق السماء الدنيا وبقية السماوات وذلك بتفجيرها وتكوير النار فى شكل نجوم غازية من الضغوط التى وجهها الخالق العظيم بقدر يعلمه سبحانه وحتى تظل على حالتها التى خلقها من أجلها ، فملأ السماء الدنيا بملايين ملايين النجوم .

ومعلوم أن الجسم السائل المساوى للجسم الغازى فى الحجم هو اضعاف أضعافه اذا حول من حالة السيولة الى الغازية . وكذلك بالمثل اذا حول الجسم المتجمد أو الصلب الى سائل ثم الى غاز فان حجمه سيكون ملايين المرات بالنسبة لحجمه وهو صلب .

ولنتصور الهواء مثلا وهو مادة غازية ، اذا ما دخل موتور نفاث فانه يتحول الى عناصره مما يجعل حجمه يكبر بدرجة هائلة تكفى لدفع

الطائرات العملاقة التى تحمل ٥٠٠ راكبا وبضائعهم غير جسم الطائرة نفسها وتدفعها الى أعلى طبقات الجو .

فاذا تصورنا الحجم الهائل لتحول المادة الصلبة الى سائلة ثم الى غاز ثم الى عناصره ثم الى ذراته ، وهذا واقع مجزوم به ، والتصور مطلوب لتقدير عظمة الحجم فقط ، فانه لا شك يمكننا بعين اللاخيال أو بعين الوهم تصور حجم الأرض وهى مازالت نارا قبل أن يسلط الخالق العظيم عليها الضغوط لتحولها الى غاز فسائل فجرم غليظ ثم ارضا صلبة . لنا أن نتخيل ولو بعين الوهم الشديد أن حجم الأرض كان أكبر من حجمها الحالى مليارات المرات . واعتقد أن هذا الحساب ممكن علميا بالأجهزة الحاسبة الالكترونية . وأن هذا الحساب سيقلب نظرية الجاذبية ويبين أنه وهم بغير أساس من الواقع وليس عليه دليل من الأرض ولا من خارج الأرض كما سنبين ذلك بعون الله فى الباب القادم . كما أنه سيغير المفاهيم العلمية الفلكية وكثيرا من فصول علم الجغرافيا .

واذا نظرنا الى القمر وجدناه مرآة عظيمة لليل الأرض وساعة كونية رائعة ، واذا بحثنا صخوره وجدناها شبه زجاجية . أى ليست مثل صخور الأرض ، وعندئذ يتبين لنا على الفور أن هذا دليل قاطع وحاسم على أن الله هو الخالق العظيم لأنه خلق كل شىء بالمواصفات اللازمة لقيامه بالوظيفة التى حددها له الله سبحانه وسخره لها . ذلك بأنه لو أن الأمر جاء بحسب تلقائية الأشياء — كما يدعى الماديون — لكان القمر من جنس الأرض حتما لأنهما من مادة واحدة هى ذرات ايدروجين . ولكن لأن الأمر على خلاف ذلك فهو يقطع بالتدبير الحكيم ، والحكمة والتدبير لا تكون الا من خالق حكيم مدبر يخلق كل شىء لغرض محدد ، وكذلك الشمس وقد ثبت أن مادتها ليست مثل مادة الأرض . لذلك عندما سأل فرعون : ((**قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**)) طه ٤٩ ، ٥٠ فكل شىء لـه خلقه المحدد والمعد به ليقوم بعمله .

والخالق العظيم من بعد خلق الأرض ، فانه سبحانه خلق السماء لتكون سقفا للأرض ، وخلق السقف يجب أن يكون تاليا لما يغطيه السقف .

وبالتالى فان خلق الأرض اولا هو المنطقى المعقول . وكون السماء سقفا امر ثابت لنا ، فلولا السماء لمات من فى الأرض جميعا من الأشعة التى تنزل فقط من الشمس فما بال بقية الأشعة لبقية النجوم .

لذلك يقول سبحانه وتعالى « **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** » الأنبياء ٣٢ .

وكور النار نجوما ، وجعلها معلقة فى السماء مصابيح وزينة ورجوما للشياطين وعلامات للناس يهتدون بها فى ظلمات البر والبحر والجو « **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** » .

وجعل الشمس والقمر حسبانا . وجعل الشمس ضياء والقمر نورا .

* * *

وبعد

فهذا خلق الأرض والسماوات بما فيها من النجوم والشمس والقمر ، كلها من مادة واحدة هى « الماء » الذى أحد عنصريه الأيدروجين ، الذى فلقت ذراته فكان منها كل الأجرام . وشكل الخالق العظيم كل جرم لما عسى ان يسخر له لحياة الانسان على الأرض .

وانزل الماء الى الأرض بقدر « **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الأرض** » المؤمنون ١٨ .

وليس هذا الماء من السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ولكنه من داخل السماء فيقول سبحانه وتعالى عن الماء الذى بداخل السماء « **ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر** » القمر ١١ .

ومن هذا البيان لكيفية خلق السماوات والأرض من أحد عنصرى الماء وهو الأيدروجين وتكييف كل جرم لما أعد له وخلقه بحكمة وتدبير وعظمة وقوة وروعة ودقة متناهية ، وتزويد الأرض بالعنصر الثانى من عناصر الماء وهو الأكسوجين وتزويدها بجزء من الماء الذى تحتاجه ليحيا الانسان عليها ؛ يتضح حقيقة الخلق كحقيقة علمية قرآنية هى حقيقة خلق الآفاق ، ومنها يكون اليقين بالله سبحانه وتعالى .

وأدلة ذلك

أولا : التفجير النووى دليل مادى على بيان هذا الخلق . وتفصيل هذا التفجير ـ كما سبق بيانه ـ يوضح ويثبت ـ الاثنين معا ـ كيف بنيت الأرض والسماوات من ذرات عنصر الأيدروجين المفصول من مادة « الماء » وبالتالى ، فالخلق لم يكن من عدم ، لأن هذا الفكر يبنى الماديات على لا شىء وهذا مستحيل . لأن الله أمرنا أن نتفكر فى خلق السماوات والأرض ، والأمر بالتفكير لابد أن يكون لاستخراج دليل ، وما دامت الأرض والسماوات أجرام مادية ، فلابد أن يكون الدليل عليها ماديا . وهو هنا « الماء » الذى أرشدنا اليه العلى العظيم .

ثانيا : أن هذا البيان يوضح لنا « كيف » الخلق ، وهو أن الله سبحانه خلق الأرض أولا ثم استوى الى السماء فقضاهن سبع سماوات . وأن الله جل شأنه يوسع فى الخلق كيف يشاء .

ثالثا : ايراد القرآن العظيم للماء كمادة للخلق ، يفسر استمرار ظهور ذرات الأيدروجين واستمرار خلق ملايين المجرات وبصفة مستمرة .

وبغير ذلك فان تفسير العلماء الماديين يقف فى طريق مسدود .

رابعا : هذا البيان يفسر وجود الأكسجين فى الأرض كما يفسر وجود الماء فى الأرض ؛ وهو ما خلت منه أفكار العلماء الماديين وبالتالى أثبت فساد هذه الأفكار .

خامسا : هذا البيان بين وفسر كيفية تكوين النيران بالضغوط الناشئة منها وهو ما أثبتته التجارب النووية ، وبالتالى كانت مقدمة ثابتة لواقع مجزوم به ، وبالتالى حقيقة علمية تثبت كيف تكورت النيران ومنها كانت الأرض ، ومنها كانت النجوم .

وهو ما أفلس منه الفكر المادى وعجز عن بيانه والتفت عنه .

* * *

ويخلص من ذلك .

أن الله جل جلاله ، وقد خلق كل شىء من مادة الماء ، فانه سبحانه

قطع الطريق على اى محاولة للتفكر فى ذاته سبحانه بأى وسيلة فقال تعالى « **ليس كمثله شىء** » أى أنه سبحانه ليس مادة ولا من مادة . ولهذا قال السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم : ان التفكير فى ذات الله جريذة أى تفكير فيما لا يحده العقل . ذلك بأن الانسان ابن الأرض أى ابن المادة وما فيه من روح هى من أمر الله ، ولا يعلمها الا الله جل شأنه ،

وبالتالى فان كل صفات الله التى وردت فى أسمائه الحسنى المعروفة أو المكنوزة ، انما هى من ذات الله جل شأنه ومن ثم لا يمكن الوصول الى ادراكها الا بالمشابهة ، لأن المخلوق لا يدرك الخالق ، والا تسلط عليه . وهذا باطل .

لهذا ، فان المؤمن يعبد الله غيبا مطلقا ، ويقينا حقا . الاثنان معا ،

واختص العلى العظيم نفسه بالروح فقال تعالى « **قل الروح من أمر ربى** » وما دام أنه لا يعلمها الا هو سبحانه ، فان الانسان لا يمكنه — وهو مخلوق من مادة — معرفة الروح ، لأنها ليست مادة ولا هى من المادة ..

لذلك كان العلم بالروح لله وحده . وبالتالى فلا يمكن الكتابة عن الروح كمضمون ، لأن الانسان عندما يتكلم أو يكتب انما عن شىء يعلمه ، ومن ثم فان تقسيم العلوم يجب أن يكون الى نظرية وتجريبية .

وثمة أمر هام ، وهو كلمة « الكون » فهذه الكلمة قد تعنى مدلولا خاطئا لدى بعض الناس فيفهموا خطأ أن السماوات والأرض قد خلقتا آنيا ، أى فى التو واللحظة ، وهذا غير وارد فى كتاب الله العظيم . فالقرآن العظيم يقرر أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام بكن فيكون . كما يقرر قدر هذا اليوم « **وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** » الحج ٤٧ أى أن الخلق تم فى ستة آلاف سنة بحسابنا فى الأرض ، فهو اذا خلق تطور وتدريجى وليس خلقا آنيا وان كان بكن ، فيقول سبحانه وتعالى « **بديع السماوات والأرض ، واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون** » البقرة ١١٧ ويقول جل جلاله « **وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام** » هود ٧ .

الباب الخامس

الكون

(الأرض والشمس والقمر والنجوم)

المبحـــث الأول

فكرة عامة

عندما يقرأ المؤمن قوله تعالى ((**وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضـــهم ذات الشـــمال**)) الكهف ١٧ وقوله سبحانه وتعالى : ((**فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ، فبهت الذى كفر**)) البقرة ٢٥٨ وقوله جل جلاله ((**والشمس تجرى لمســـتقر لهـــا ذلك تقـــدير العزيز العليم ... لا الشمس ينبغى لهـــا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**)) يس ٣٨ ـــ ٤٠ . وغير ذلك آيات كريمة أخرى ، فان الانســـــان يجب أن يفكر كثيرا فى حركة الشمس وحركة القمر وما اذا كان للأرض حركة ...

ولأننا جميعا أستوردنا من الخارج ؟! دروســـا تفيد أن الأرض كوكب يدور حول نفســه مرة كل يوم (ليل ونهار) وفى نفس الوقت ، فان الأرض تجرى فى فلك حول الشمس بفعل جاذبية الشمس القوية . وان هذا وذاك سبب تعاقب الليل والنهار والفصول الأربعة التى تستغرق عاما وهى مدة دوران الأرض حول الشمس ؟

ولأننى بعد كثير من التفكير والتدبر ، وجدت أن هناك تناقضـــا كاملا بين الحقائق العلمية القرآنية وبين المعـــلومات التى استوردناها من علماء الدول التى لا تدين بالاسلام .

ولأن أى معلومات وان أطلق عليها اسم العـــلم ، ولا تكون متفقـــة مع الحقيقة القرآنية ، فانها تكون على وجه القطع غير صحيحة ، وليست بالتـــالى علما .

ولأن هذا الموضوع العلمى العالمى على درجة كبيرة جدا من الخطورة ، فان الأمر لذلك وبالتالى يتطلب الكثير من انعام النظر العلمى والتدبر العلمى والتفكر العلمى على أساس وحيد هو الحقيقة القرآنية ولا شيء غيرها .

ولما كانت هــذه الحقيقة القرآنية ، ظاهرها هو الذى يخبر عنهــا ، وبالتــالى فليس ثمة مجال للقول بأن الظاهر غــير الباطن ، أولا لأنه ليس فى القرآن تعارض بين ظاهر العلم وباطنه ، وثانيا ؛ لأن الله لا يقول للناس ظاهرا من الأمر يتعارض والباطن الذى يكون حقيقة له .

فسبحانه جل شأنه يقرن على المستوى الأعلى لذاته جل جلاله :

« هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » الحديد .

واذا فالظاهر هو الباطن ، وان كان ثمــة « باطن » فانما هو عمق للظاهر وليس تعارضا معه اطلاقا . ذلك بأن الله يقول الحق ، **« وبالحق انزلنــاه وبالحق نزل »** فهو سبحانه لا يدلس على الناس ولا يأمر بالفحشاء **« وماذا بعد الحق الا الضــلال »** فباطن الحق — ان كان له باطن — عمق لظاهره وتوكيد له .

لذلك كله ، فان الأمر يتطلب ، شرح الموضوع شرحا وافيا ، ومن ثم وجب أن يبدأ ببيان عن المعلومات المستوردة والتى اعتنقها المسلمون منــذ اغلق باب الاجتهاد وحتى الآن !! .

فالأرض :

كما جاء فى كتب الجغرافيا والفلك (١) عبارة عن كوكب على شكل كرة ، شأنها فى ذلك شــأن باقى الأجرام الســماوية ، وفى القرن السابع عشر اســتطاع نيوتن (عالم انجليزى) أن يثبت أن الأرض ليست كرة هندسية محكمة ، اعتمادا على ما شاهد من الاختلاف فى اهتزاز البندول بين الجهات الاستوائية والجهات الشمالية ، وباستمرار البحث طوال القرن الثامن عشر ، ظهر أن هناك اختلافات جوهرية بين ابعاد الكرة الأرضية . وبنوع خاص ظهر أن القطر الاستوائى للأرض أطول من قطرها القطبى بنحو ٢٧ ميلا ،

---

(١) كتاب « النجوم فى مســالكها » للأستاذ جيمس هينس ترجمة الدكتور الكردانى بك ، وكتاب « قواعد الجغرافيا العامة » للدكتور مصطفى عامر والدكتور محمد عوض محمد والدكتور سليمان أحمد سليمان /١٣ — ٢٠ .

فالقطـر الاسـتوائى (الخط الوهمى فى منتصف الـكرة الأرضية) طوله ١٢٧٥٦ر٥ كيلومتر ، والقطـر القطبى (الخط الوهمى المـار بين القطبين الشمالى والجنوبى) طوله ١٢٧١٣ر٠ كيلومتر ، أما محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء فطوله ٤٠٠٧٦ كيلومتر ومحيطها عند القطبين فهو نحو ٤٠٠٠٧ كيلومتر ، ومعنى ذلك وجود انبعاج بسيط عند خط الاستواء وفلطحة بسيطة عند القطبين .

ويفسر الجغرافيون والفلكيون ذلك : بأن الانبعاج أى الانتفاخ البسيط الموجود عنـد خط الاستواء ناتج من تأثير دوران الأرض حول محورها ، ذلك بأن القوة الطاردة المركزية الناتجة من هذا الدوران هى أقوى ما تكون عند خط الاسـتواء مما ادى الى تباعد الأجزاء الاستوائية عن المركز أكثر من الأجزاء القطبية والانبعاج هذا عند خط الاستواء ادى بالتالى الى هبوط ومن ثم فلطحة عند القطبين .

والأرض تدور حول أقصر محاورها ، وهو خط وهمى يخترق الأرض من مركزها ويخرج من طرفيها من ناحية القطب الشمالى ومن ناحية القطب الجنوبى ، وتبلغ سرعة دورانها عند خط الاستواء أكثر من الف ميل فى الساعة (الميل = ١٦٠٩ مترا) أى أن الأرض تدور بسرعة ١٦٠٩ كيلومترا فى الساعة وبنصف هذه السرعة أى ٨٠٤ر٥ كيلومترا عند خط عرض ٦٠° ، وهى بالطبع صفر عند القطبين . وهذا الدوران الهائل الحركة (سرعة الصوت ٣٤٠ مترا فى الثانية أى ١٢٢٤ كيلومترا فى الساعة اى أن سرعة دوران الأرض حول نفسـها — المدعى به — أكبر من سرعة الصـوت !!) من جهـة الغرب الى جهة الشرق يتولد عنـه قوة اندفاع عظيمة بحيث يصـبح كل جسم على سطح بل وسطح الأرض نفسه عرضة لأن يدفع به الى الفضاء بقوة الطرد المركزية هذه لولا القوة الحافظة وهى قوة الجاذبية التى تفوق بمرات عديدة القوة الأولى .

وأدلة دوران الأرض لدى علماء الغرب الفلكيين انه لكى تحسب المدة التى تنقضى بين السمت والسمت لهـذا النجم (والسمت هو تعامد النجم

على الأرض) ، فان هذا يدلنا على أن الأرض قد دارت فى هذه المدة دورة كاملة . وهى مدة ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ويسمى « باليوم النجمى » .

ودليلهم الثانى أنه لأن الأرض تدور حول الشمس ! والمسافة بين السمت والسمت (الظهر والظهر) أطول قليلا من دورة الأرض حول نفسها ، اذ لابد من مضى وقت قليل حتى تعود النقطة التى اخترناها الى موضعها بالنسبة الى الشمس ، وهو ما يسمى « اليوم الشمسى » وطوله ٢٤ ساعة .

ويرتب العلماء على ذلك : أن الأرض تدور حول الشمس فى طريق يسمى « فلك الأرض » وقد يسميه البعض « مدار الأرض » وهذا الفلك ليس بدائرة بل بيضاوى الشكل وبالتالى فله مركزان ؛ ومن ثم فبعد الأرض عن الشمس لن يكون واحدا على مدار السنة ، ولكن متوسط هذا البعد هو ١٥٠ مليون كيلومترا تقريبا . وطول « فلك الأرض » ٩٣٩ مليون كيلومترا ، وبالتالى فان سرعة دوران الأرض حول الشمس أى سرعة سيرها فى « فلك الأرض » هو ٣٠ كيلومترا فى الثانية أى ١٠٨٠٠٠ كيلومترا فى الساعة وهى أضعاف سرعة الصوت .

وبديهى — لدى الفلكيين — أن الأرض دائمة الدوران حول نفسها وحول الشمس بصفة مستمرة ومنتظمة .

ولأن محور الأرض (الخط الوهمى لدى الفلكيين الذى تدور الأرض حوله) مائل عن خط فلكها بزاوية قدرها ٢٣٫٥° على وجه التقريب ، فان هذا يتسبب عنه عدم تساوى الليل والنهار — واختلاف الفصول الأربع .

أما الشمس : فهى كتلة غازية ملتهبة يبلغ حجمها ١/٣ ١ مليون مرة قدر حجم الأرض ، وينتقل ضوء الشمس الى الأرض بسرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠ كيلومترا فى الثانية) فيصل الى الأرض فى ٥٠٠ ثانية تماما . ودرجة حرارة الشمس فى باطنها ١٣ مليون درجة مطلقة ، وعند جو محيطها ٥٦٠٠° مطلقة (وكان يظن فى الأربعينيات أن باطن الشمس ٢٨ مليون درجة

مطلقة) . والضغط فى باطن الشمس عدة ترليونات قدر قيمة الضغط الجوى (الترليون = مليون مليون) .

وكنتيجة لهـذا الضغط الهائل والحرارة الهائلة يحدث اندماج لقوى ذرات الأيدروجين ليتكون فى النهاية قوى ذرات الهليوم .

ولنا ان نتصور مقدار الطاقة الاشعاعية الهائلة اذا علمنا أن ٦٥٥ مليون طن من الأيدروجين تتحول فى كل ثانية الى ٦٥٠ مليون طن هيليوم ويتحول الفرق وهو ٥ مليون طن الى طاقة .

بعض هذه الطاقة يمتص خارج باطن الشمس . ويشع منها القـدر الباقى الى الفضاء الخارجى ويساوى ٣ر٨ × ٢٦١٠ جولا/ثانية ، وما يصل الى الأرض هو ٢/١ : مليون من تلك الطاقة .

ومقـدار الطـاقة الشمسية على كل سـنتيمتر مربـع من الأرض هو فى المتوسط ٢ سعرا كل دقيقة واحدة .

وعن الجاذبية :

فهى مجال (منطقة) جذب ينشأ من وجود تيارين كهربائيين متوازيين فى نفس الاتجاه . والقوة التى تنشأ نتيجة مرور التيار الكهربائى فى السلكين تسمى قوة مغناطيسية . لأن التيار الكهربائى المار فى كل سلك يولد حوله مجالا مغناطيسيا . واذا فالمنطقة بين السلكين هذين تكون منطقـة جـذب أو مجال جذب . أى أن الجاذبية توجـد حيث تكون القوة الكهروستاتيكية بهـذا النظـام .

وقد ثبت بالتجربة أن لكل مجال جـذب مغناطيسى قطبين مختلفين . وأن الأقطاب المغناطيسية المتشابهة تتنافر ، والاقطاب المتضادة تتجاذب .

وقد استخلص العالم الانجليزى اسحق نيوتن قانون لهذه « الظاهرة » هو أن كل جسم مادى يجذب أى جسم آخر يجاوره ليضمه اليه بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتيهما .

* * *

ولان موضوع هذا الباب ، من الناحية العلمية خطير جدا اذ يترتب عليه هدم جميع النظريات الفلكية المقول بها ، وانكار نظرية الجاذبية الأرضية والجاذبية الشمسية .

ولان تحقيق او التدليل على حقيقة الحقائق العلميـــة القرآنية يؤدى الى نتائج ايمانية مذهلة بين الناس على وجـــه الأرض وبالذات شـــعوب تلك الدول التى لا تؤمن الا بالعـــلم المادى ، والادلة المادية . فضـــلا عن ان يزيد ايمان المؤمنين زيادة كبيرة على ايمانهم ، لانه لا يخفى أن الأفـــكار العلمية السائدة والتى تتعارض مع الحقائق القرآنية تفعـــل فعلهـــا الكبير وان كان بطيئا فى ايمان المؤمنين ، وتفصـــل بين ما فى القلب من نور وبين ما فى القلب من عقل . ومن ثم يحدث الانفصال فى فؤاد المؤمن ، واذا به ينقسم على نفسه ، فهو مسلم او مؤمن وهو فى نفس الوقت لا يهتم باقامة الصلاة او بصـــوم رمضـــان او دفع الزكاة !! وهو ينسى الجهـــاد فى سبيل الله ، وهو يفسر المفاهيم الايمانية تفسيرات تبعد كثيرا عن مضمونها الحقيقى فيبيح لنفسه الاختلاط بين نسائه والرجال الأغراب عنهن ، وهو يتخذ من مظاهر الحياة المادية الاجتماعية والفكرية سبيلا لسلوكه ضاربا عرض الحائط بالقيم الاسلامية مبررا لنفسه هذا السلوك بمبررات ليس لها من عند الله سلطان .

ولما كان ذلك ، فاننا نبدأ ببيان هام لابد من بيانه لوضع العين عليـــه باستمرار عند قراءة هذا الباب وعقله وفهمه ومناقشة بيانه .

ذلك بان هذا الموضوع وان ارتكز على هـــدى الادلة القرآنية وبيان السنة النبوية المطهرة ، فانه ايضا قد استمد من نورهما ادلة مادية قائمة وادلة بديهية وادلة فلكية واخرى حسابية وحسية .

ولان الجميع يسير فى ركاب المقول حاليا ، وهى تلك المعلومات السابق بيانها ، ولا يخفى على احد أن هذه المعلومات قد استقرت فى وجدان الناس حتى صـــارت وكأنها بديهيات او مسلمات يقينية وبالتالى لا تقبـــل عندهم للمناقشة ؛ حتى انه عندما تبدأ فى الحوار مع احـــد منهم ، ولو كان عالما ، فى هـــذا الموضوع ، فانه ينظر اليك بدهشة واستغراب ؛ او ينظر اليـــك باشفاق وكأنه قد حدث ما افقدك العقل او ضيع الفهم .

ولان اخراج هــذه المقولات العالمية المستقرة فى قلوب الناس شيئا صعبا من وجهة النظر النفسية ، لان النــاس تأبى بطبيعتها أن تصــدق بسهولة ؛ فما بالنا وهو عكس ما تصدقه فعلا وهو منها يقين .

ولان الذين هم على علم من النــاس ، منهم الكثير ، يمنعهم الجحود وحده ؛ وما أفظعه ؛ من التسليم بالحقيقة . فان شرح التفصيلات الأوليــة الأساسية ومن بداية البداية ، امر لازم وحتمى ، حتى يكون للنــاس بداية سليمة يؤهلوا بها أنفسهم لفهم المتغيرات ثم تصديقها .

ولان حقائق « نظام الكون » حقائق علمية قرآنية .

فان أول شىء ، قبل البداية ، ان نتذكر ، أو نعــلم ، الأصول العامة الواجب المحافظة عليها لتفسير الآيات القرآنية ، لان التفسير بغير الالتزام بها ، لا يكون تفسيرا ، وانما هو مجرد « لغو » وجزاؤه عند الله عظيم .

الأصل الأول : رد الشىء المراد مناقشته نتيجة الخلاف فى الرأى ، الى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : **« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا »** النســاء ٥٩ .

والأصل الثانى : ان كل قول لا دليل له اى لا برهان عليه ، ليس حجة علينــا ولا يلزمنا ، بل لا علم لنا به ، لقوله تعــالى : **« قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »** النمل ٦٣ ، والله سبحانه يقرر أن الذى لا يأتى بسلطان بين اى دليل لا شبهة عليــه ، وواضــح ، فهــو كاذب لقوله تعــالى : **« ... لولا يأتون بســلطان بين فمن اظــلم ممن افترى على الله كذبا »** الكهف ١٥ .

والأصل الثالث : عمل العقل محدود بمجرد فهم النصوص القرآنيــة والأحاديث النبوية . وليس للعقل أن ينشىء حكما لقوله تعالى : **« ان الحــكم الا لله »** ولقوله تعالى : **« قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »** الأعراف ٣٣ .

والأصل الرابع : كل مخلوق — ماعدا الرسول صلى الله عليه وسلم — يؤخذ من قوله ما قام عليه دليل ويرد ما لم يقم عليه دليل .

فاذا علمنا ذلك ، فانه يلزم أن نذكر أيضا موجز شديد للقواعد الأصولية اللغوية (لفهم احكام القرآن والسنة فهما صحيحا اذا روعى فيــه مقتضى الاساليب فى اللغة العربية وطرق الدلالة فيها ، وما تدل عليــه الفاظ مركبة ومفردة ، ولهذا عنى علماء أصول الفقه الاسلامى باستقراء الأساليب العربية وعباراتها ومفرداتها واستمدوا من هذا الاستقراء ، ومما قرره علماء هــذه اللغة قواعد وضــوابط يتوصل بمراعاتها الى فهم الأحــكام من النصوص الشرعية فهما صحيحا يطابق ما يفهمه منها العربى الذى وردت هذه النصوص بلغته ، ويتوصل بها أيضا الى ايضاح ما فيه خفــاء من النصوص ، ورفع ما قد يظهر بينها من تعارض ، وتأويل ما دل دليل على تأويله ، وغير هــذا مما يتعلق باستفادة الأحكام من نصوصها . وهذه القواعد والضوابط لغوية مستمدة من استقراء الأساليب العربيــة ومما قرره أئمة اللغــة العربيــة وليست لها صبغة دينية . فهى قواعد لفهم العبارات العربية فهما صحيحا . . ومن هذه القواعد ما يفيد العموم من الصيغ وفيما يدل عليه العام والمطلق والمشترك وفى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وفى أن العطف يقتضى المغايرة . وأن الأمر المطلق يقتضى الايجاب وغير ذلك . . .) (١) . ويعنينا فى هــذا المقــام — على وجه الخصوص القاعدة الخاصة بالواضح الدلالة ومراتبه لأن كل الآيات تقريبا التى سنعرض لها فى هذا الموضــوع آيات واضــحة الدلالة ، ذلك بأنه كقاعدة (ان ما يفهم من عبــارة النص أو اشــارته أو دلالته أو اقتضائه هو من مدلولات النص ، والنص حجــة عليه) (٢) . (فاذا كان النص « الآية » واضح الدلالة وهو ما يدل على المراد منه بنفس صيغته من غير توقف على أمر خارجى ، فان كان يحتمل التأويل ، والمراد منه ليس هو المقصــود أصالة من سياقه سمى الظاهر ، وان كان يحتمــل التأويل والمراد منــه هو المقصود أصالة من سياقه سمى النص .

---

(١) كتاب « علم أصول الفقه » للشيخ عبد الوهاب خلاف /١٥٥—١٥٨ .
(٢) المرجع السابق /١٥٨ .

وان كان لا يحتمل التأويل ويقبل حكمه النســـخ سمى المفسر . وان كان لا يحتمل التاويل ولا يقبل حكمه النســـخ سمى المحكم ؛ وكل نص واضـــح الدلالة يجب العمل بما هو واضح الدلالة عليه ولا يصح تأويل ما يحتمـــل التأويل منه الا بدليـــل) (١) . (والمحكم فى اصطلاح الأصوليين هو ما دل على معناه الذى لا يقبل ابطالا ولا تبديلا بنفسه دلالة واضحة لا يبقى معها احتمال تأويل ؛ فهو لا يحتمل التأويل اى ارادة معنى **آخر غير ما يظهر منه** ، لأنه مفصل ومفسر تفسيرا لا مجال معه للتأويل ... وحكمه انه يجب قطعا العمل به **ولا يحتمل صرفه عن ظاهره** ولا نسخه) (١) .

وطبقا لهذه القواعد الأصولية التى يتفق عليها جميع العلماء بغير خلاف يكون الكلام ...

(١) المرجع السابق /١٨٠ .
(٢) المرجع السابق /١٨٨

المبحث الثانى

الاتجاهات الأربعة

أبدأ القول بما بدأ الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه بدأ هذا الكون بخلق السماوات والأرض ، كما سبق أن بينا فى الباب السابق . وبدأ سبحانه هذا الخلق ، بأن خلق الأرض ثم قدر فيها أقواتها ؛ وبعد تمام ذلك ، استوى أى قصد الى السماء ، وكانت ما زالت دخانا ، فسواهن سبع سماوات .

أى أن بعد تمام خلق الأرض ، لم تكن السماء قد خلقت بعد أو لم تكن قد اكتملت لأنها كانت دخانا ، وعندئذ يتبين لنا بوضوح أنه وقت تمام خلق الأرض وتقدير أقواتها ، لم تكن ثمة شمس ولا نجوم وبالتالى لم تكن الجهات الأربع المعروفة لنا قد وجدت .

ويبين لنا العلى العظيم أنه أرشد الناس بعد تمام الخلق بأن الجهات الأربع تعرف بالنجوم « **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** » النحل ١٦ .

والنجوم فى السماء ظاهرة للناس من أى مكان على الأرض .

وحيثما كنت على وجه الأرض ، شمالا أو جنوبا ، شرقا أو غربا ، ثم نظرت الى السماء ، وجدت مجموعة النجم القطبى تشير الى الشمال . والشمال هنا هو شمال صفحة السماء أولا ومنه يستدل على شمال الأرض ثانيا . فاذا عرفت الشمال ، عرفت باقى الجهات الأربع ، فتحت يكون الجنوب وعن اليمين المشرق وعن الشمال يكون المغرب طالما وجهك الى الشمال .

وينسب العلى العظيم الجهات الأربع له سبحانه ، وليس لحركة شىء من خلقه ، فيقول جل جلاله : « **ولله المشرق والمغرب** » البقرة ١١٥ ، و « **قل لله المشرق والمغرب** » البقرة ١٤٢ . واللام فى « **لله** » لبيان الملكية فالمشرق والمغرب والأرض كلها والسماوات كلها ملك لله جل جلاله .

فاذا علمنا أن شروق الشمس ليس له ضابط محدد أى ليس له نقطة معينة بالنسبة للأرض ، بل هو خطوط كثيرة ، وكذلك المغارب . وهذا

ثابت قرآنيا كحقيقة علمية فى قوله تعـالى : ((**فلا اقسم برب المشـارق والمغـارب**)) المعارج ٤٠ . كما أنه ثابت ماديا بالمشاهدة كواقع مجزوم به .

فانه يتضح لنا ، أن تحديد الجهات الأربع ، تحديدا منضبطا لا يكون بشىء متعـدد ومتغير وبالتالى بشىء عارض ، ذلك بأن الدليل من صفاته الثبات ، فان لم يكن كذلك لم نصل الى دليل ولا يصلح بالتالى لذلك .

ولما كان الشىء الثابت الوحيد الذى يعرفنا الجهات الأربع هو النجم القطبى ، فانه بذلك يكون هو الدليل عليها .

ولأنه هـو الدليـل ، لانه هـو الامـر الثـابت وبالتالى اليقين ، ولأنه يدل على الجهات الأربع فعـلا ، ولأن عدم وجوده يؤدى الى عدم معرفة هذه الجهات الأربع . وهذا ثابت اذا استبعدناه .

فانه لذلك ، وبالتالى يكون « النجم القطبى » هو الدليل على الجهات الأربع ، شأن الشمس مع الظل تماما .

ولهذا ، فانه عملا كذلك ، وعلى هذا الأساس ، يتم تحديد الجهات الأربع فى البوصـلات سـواء فى البحار أو الجو أو مع الرحالة فى البر على أساس اتجاه الشـمال بابرة مغناطيسية تشـير الى الشمال بالضبط اتجاه النجم القطبى .

كما أن هـذا هو الثابت فى تحديد الجهات الأربع على الخرائط الفلكية والجغرافيـة .

اذاً ليست الشمس ولا مطلعهـا الذى يحـدد المشرق والمغرب ، وانما طلوع الشمس هو الذى يكون من المشرق ، وغروبها هو الذى يكون فى المغـرب .

الأدلة القرآنيـة

الدليـل الأول :

قوله تعـالى : ((**فان الله يأتى بالشمس من المشرق**)) البقـرة ٢٥٨ أى أن الله سبحانه — والله فاعل فى الآية الكريمة — ويأتى بالشمس اى يطلع الشمس فكلمة « بالشمس » مفعول به ، ومن لبيان الظرفية ، والمشرق

ظرف مكان قائم فعلا قبل أن يطلع الله الشمس منه . ولهذا فان الله يتحدى الذى كفر ؛ فيقول سبحانه وتعالى : ((**فأت بها من المغرب**)) أى اطلع أنت الشمس من الجهة الثانية الموجودة فعلا بصفحة السماء ، كما يطلع الله الشمس من المشرق . ولما كان هذا التحدى لا يستطيعه الا الذى يحرك الشمس لذلك ((**فبهت الذى كفر**)) .

الدليـــل الثـــانى :

قوله سبحانه وتعالى : ((**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**)) النحل ١٦ .

ولما كانت هـــذه الآية ، والآية التى فى الدليل الأول : ((**فان الله يأتى بالشمس من المشرق**)) واضـــحة الدلالة محكمة ، لأن كل من الآيتين يدل على المراد فهما بنفس صيغة كل منهما ، من غير توقف على أمر خارجى ، كما أنهما لا تحتمـــلان التأويل بمعنى أنه لا يمكن ارادة معنى آخـــر لهما غير ما يظهر منهما لأنهما مفصلتان ومفسرتان تفسيرا لا مجال معه للتأويل . وبالتالى فحكمهما أنه يجب العمل بهما على وجه القطع واللزوم فلا يحتمل صرفهما عن ظاهرهما ولا يتصور نسخهما .

فاذا قال احـــد ان المقصود بقوله تعـــالى : ((**فان الله يأتى بالشمس من المشرق**)) أن الشمس هى التى تبدو فى الظاهر وكأنها تطلع من المشرق ، لأن الأرض هى التى تدور أمام الشمس ؛ فانه يكون قد قلب معنى الكلام لغويا ، فأبطل الفاعل الذى يأتى بالشمس وأســـكن الشمس التى يحركها الفاعل وحرك الأرض التى لم يأت لها ذكر فى الآية ، ومن ثم يكون القول كله على غير ألفاظ من الآية الكريمة ، ومن ثم بغير دليـــل . لذلك يكون قوله فى الحقيقـــة ما هو الا انكار للآية الكريمة ؛ ذلك بأنه ليس من باب التأويل وليس على اصـــوله وقواعـــده ، حتى يمكن مناقشـــة ما اذا كان تأويله صحيحا أو لا .

واذا ما قال احد ان المشرق للشمس وان الآية فيهـــا اشارة بدليل قوله تعالى : ((**فلا أقسم برب المشـــارق والمغـــارب**)) قلنا ان الآية تقول ان المشارق والمغارب لربها وليست للشمس وحركتها .

ومن ثم فان الشمس هى التى يؤتى بها من المشرق والمشارق ويغرب

بها فى المغرب والمغارب ، فهى أى المشارق والمغارب مضافة الى « رب » على الثابت فى الآية الكريمة ، والمضاف اليه يلحق بالمضاف ويبينه .

واذا ادعى أحد أن النص القرآنى يحتمل التأويل ، قلنا له ان المراد منه بنفسه لا يحتمل أن يراد منه بغيره ، ومن ثم فهو لا يحتمل التأويل . وان المراد منه واضح فيه بغير حاجة لغيره فهو بالتالى محكم .

الأدلة الفلكيـــة

الدليـــل الأول :

ما هو الدليل على أن الجهات الأربع تعرف بالشمس ؟ ! .

الاجابة لدى الفلكيين والجغرافيين أن الجهة التى تشرق منها الشمس هى المشرق والجهة التى تغرب فيها الشمس هى المغرب .

وواضح أن هـــذا القول ينبنى على ظاهرة هى « شروق الشمس » و « غروب الشمس » . ولما كانت هذه الظاهرة غير صحيحة حسب قواعد علمهم — لأنهم يقولون ان الشمس ثابتة فى مركز فلك الأرض وان سبب الشروق والغروب هو دوران الأرض حول نفسها أى ليس حركة الشمس لأن الشمس لا تدور حول الأرض ! — لما كان ذلك فان اجابتهم بأن « المشرق » هو الذى تشرق منه أو تطلع منه الشمس وكذلك « المغرب » الذى تغرب فيه الشمس ؛ يكون قولا قد بنى على قول باطل فى زعمهم وبالتالى فان ما بنى على الباطل فهو باطل .

أى أن القول بأن المشرق هو جهـــة شروق الشمس ؛ يكون قولا بغير دليل وبالتالى فهو باطل حسب علم الفلكيين والجغرافيين أنفسهم . ذلك بأن الشمس لا تدور حول الأرض فى زعمهم .

الدليـــل الثـــانى :

واذا قيل ان المشرق هو بالنسبة الى الأرض . وبالتالى فان الجهـــة التى تظهر فيها الشمس صباحا هى المشرق ، وان هذا أمر ثابت دائما .

فان الرد يكون مفحما ، لأنه ما دامت أن الأرض تدور حول الشمس فى زعمهم ، فلابد من اختلاف « جهـــة الشرق » بالنسبة الى موقع الأرض فى فلكها المقول به حول الشمس ، لأن الأرض طبقا لهذا الزعم تدور حول

الشمس بسرعة ١٠٨٠٠ كم فى الساعة أى أضعاف أضعاف سرعة الصوت وتدور حـــول نفســـها بسرعة أقل كثيرا من ذلك وهى سرعة ١٦٠٩ كم فى الساعة أى أكثر من سرعة الصوت شـــيئا قليلا — وهـــذا طبقا لقول الفلكيين والجغرافيين — ونتيجة لهـــذا القول أو الزعم ، فان الأرض لابد وأن تتخذ مواقع مختلفة على كافة أرجائها وأركانها لا ينتقص منهـــا جزء ناحية الشمس . ومن ثم فان هذا يعنى بضرورة تبادل مواقع الشروق ومواقع الغروب أى أن كل جزء فى الأرض لابد أن تشرق عليه الشمس فى يوم من أيام السنة وكل جزء من أجزاء الأرض ، أى نفس أجزاء الشرق ، لابد أن تغرب من ناحيته الشمس فى يوم من الأيام أيضا .

وهـــذا غير حادث . وبالتالى فهو باطل —

هـــذا فضلا عن أن للشمس مشارق كثيرة ومغارب كثيرة ، فهى اذا جهات متغيرة وبالتالى عارضة ، ومن ثم فهى ليست حقـــا .

الدليـــل الثـــالث :

لما كان أساس الادعاء بجهـــات المشرق والمغرب هو الزعم بدوران الأرض حول نفسها ، ولما كان هذا مجرد زعم أو فرض ليس عليه دليل . كما سنبين بعد ، فهو قول باطل .

* * *

ولما كانت جميـــع مزاعم الذين يقولون بأن المشرق لطلوع الشمس والمغرب لغروبها ، هى مجرد أقوال ليس عليها دليل بالمعنى الفقهى للدليل أى ليس هناك دليل يقينى . أى شىء ثابت وواضح على أمر واقع فعلا .

ولما كان الله — خالق السماوات والأرض والذى له المشرق والمغرب — يقول : « **هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » والبرهان هو الحجة القاطعـــة واليقين الثابت الذى لا يتغير ولا يمكن أن يتغير .

فان الأمر القائل بأن الجهات الأربع للشمس يكون على غير أساس من الواقع وعلى غير أساس من العلم ، وعلى غير أساس من الحقيقـــة القرآنيـــة .

لذلك فانه لا يجـوز القول بأن المشرق للارض وبالتالى للجهـات الأربع عليها حسب ظهور الشمس فى الصباح وغروبها فى المساء .

وانما نقول بأن الدليل على الجهات الأربع لابد وأن يكون واضـحا ويقينا وثابتا ولا يتغير ولا يختفى ، وما ذلك الا « مجموعة النجم القطبى » ، ثابتة أبدا فى قبة السـماء ، يراه كل من على وجه الأرض ، من أى مكان على الأرض ، تبين له « الشمال » ومن ثم باقى الجهات الأربع . فى السماء وعلى الأرض ، الأمر سـواء .

عندئذ يستقيم الدليل على المدلول . ويثبت الدليل الذى يثبت المدلول ، ثبوت دليـل الشمس على الظل « **فلله المشرق والمغرب** » فى السـماوات والأرض . فليس ثمة فصل بينهما ، بين الأرض وسقفها .

واذا قيل ان النجم القطبى لا يظهر الا فى الليل ، قلنا ان الله أمرنا بعمل علامات ومن هـذه العلامات جهاز البوصلة وغيرها مما يمكن تثبيته فى الأرض . لهذا قال سبحانه وتعالى : « **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** » . ولم يقل بشروق الشمس ومغربها هم يهتدون .

الفصل الثاني

الشمس

المبحث الأول

الشمس تجرى في فلك حول الأرض

يقولون ان الأرض وباقى الكواكب المعروفة والتى يسمونها مجموعة الكواكب الشمسية نسبة الى الشمس ، تجرى جميعا فى افلاكها حول الشمس . اى أن الشمس هى مركز افلاك هذه الكواكب .

ودليلهم على ذلك :

١ — ان الشمس ذات حجم كبير جدا بالنسبة لكواكب مجموعتها ، ومن ثم فهى تجذبهم جميعا اليها ، ونظرا لأن هذه الكواكب تدور فى افلاكها فهى بالتالى لها قوة طرد مركزية تمنعها من الاندماج بالشمس . تماما مثل القمر مع الأرض ..

٢ — انهم شاهدوا دوران هذه الكواكب حول الشمس بالمناظير المكبرة .

لذلك فقد رسموا ما ادعوه صحيحا ، ثم قعدوا لهذا قواعد ، ووضعوا قياسات ورسموا خرائط .. واذا تأملنا ذلك ، وجدنا أن « الدوران » المدعى به لهذه الكواكب من النقطة التى نراها فيها فى السماء حتى تعود مرة ثانية فنراها فيها تستغرق بالنسبة لبعضها سنوات وبالنسبة لبعضها الآخر شهورا .

ولأن موضوع الجاذبية المقول به ليس دقيقا كما سنرى ...

ولأن موقع الأرض من الشمس وغيرها ، لا يتيح لمن على الأرض رؤية هذه الكواكب بصفة مستمرة أثناء دورانها — المقول به — حول الشمس طوال هذه الفترات لاكمال دورتها المزعومة حول الشمس ، لذلك ، وبالتالى فان ما قيل به لا يرقى الى مرتبة الدليل لأنه مجرد تصور وفرض ، ولهذا فهو لا يمكن التعويل عليه ولا اتخاذه مسلمة أو مقدمة للاثبات ، لأن التصور والفرض مجرد ظنون . والدليل يلزم أن يكون حقا اى ثابتا .

والأصل ان ما يقال بغير دليل يرد على قائله ، وثانيا فلا علم لنا به وثالثا لا يلزمنا لأنه ليس حجة علينا . وهذا سبق تفصيله .

لذلك فاننا ، اثباتا للحقيقة العلمية القرآنية التى بينها الخالق العظيم للناس كافة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم — المبلغ للقرآن — رسول للناس كافة ورحمـــة للعالمين . نأتى بالأدلة ، الدليل تلو الدليـــل ، اثباتا للحقيقة وبيانا للنـــاس أن القرآن قول الله سبحانه نزل على قلب عبـــده ورسوله صلى الله عليه وسلم بلفظـــه وحرفه بعلم الله جل شأنه الخالق العظيم . لهـــذا جاءت الأدلة القرآنية (الآيات الكريمـــة) متضمنة الأدلة المادية والفلكية والحسابية والرياضية واللغوية ، لأن هذه الحقيقة العلمية من الأهمية — تبعا لعظمتها لدى الناس — بحيث يجب أن يكون بيانها قويا مدعما . قاطعا وحاسما ؛ وتحقيقا لقوله تعالى : ((**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**)) فصلت ٥٣ .

ادلة الحـــــركة

الدليـــل الأول :

يقول رب العالمين فى آية واضحة محكمة :

((**والشمس تجرى لمستقر لهـــا ؛ ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لهـــا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ؛ وكل فى فلك يسبحون**)) يس ٣٨ — ٤٠ .

والآية دليل على الحقائق الآتيـــة :

اولا : ان الشمس ((تجرى)) ، وأنها تجرى الى ((مستقر لهـــا)) ومن الذى يعلم هـــذا المستقر ؟ أجاب ربنا سبحانه ((**ذلك تقـــدير العزيز العـــليم**)) .

ثانيـــا : قالت الآية ٤٠ يس عن الشـــمس والقمـــر : ((**لا الشـــمس ينبغى لها أن تدرك القمر**)) وهذا معناه أن الشمس تجرى بحساب أى بسرعة جرى تجعلهـــا لا تدرك القمر أى لا تلحق به . وان كلا من الشمس والقمر يجرى فى فلك خاص به : ((**وكل فى فلك يسبحون**)) .

ثالثـــا : الثابت رياضيا ان الخطوط المستقيمة تتقاطع ؛ وان الدائرة لا تتقاطع ، فالسير فى دائرة يستمر الى ما شاء الله . وهـــذا ثابت ماديا وبديهيـــة رياضية . والفلك دائرة لذلك فان « جـــرى » الشمس فى فلك و « القمر » فى فلك يجعل جريهما مستمرا وأبدا (١) .

رابعـــا : الجـــرى فى « فلك » دليـــل على الاستمرار فى الجرى . ذلك بأن جرى الشمس مستمر منذ ملايين الملايين من السنين ، وهذا واقع ثابت مجزوم به . وبالتالى فـــلا يعـــرف الا بعلته أى بسببه أى بدليله ، ولما كان هذا الجرى المستمر يستحيل رياضيا ان يكون الا فى فلك ، لذلك وبالتالى فان الشمس لابد وأن يكون جريها وسباحتها فى « فلك » . هـــذا على أساس أن الله يقول : **« والشمس تجرى »** وقول الله هو الحق .

خامسا : لما كان القمر قريبا جدا من الأرض (٢٤٨ ألف كيلومتر) فان رصد دوران القمر حول الأرض على مدى الأربع والعشرين ساعة ، أمر سهل وميسور لكل انسان ، فنحن جميعـــا نرى القمر طوال الليل ، فاذا انسلخ الليل من نصف الكرة الأول رآه الناس فى نصف الكرة الثـــانى مباشرة . ولصغر حجم القمر وقربه — فان الفلكيين والجغرافيين والطبيعيين الذين يأخذون بنظرية الجاذبيـــة بين الأجرام — قالوا ان القمر يدور حول الأرض منجذبا اليها أو بفعل جاذبية الأرض له .

ولما كان ما يقوله هؤلاء عن دوران القمر حول الأرض صحيح ويتفق مع الحقيقة القرآنية بغض النظر عن الأسباب التى جعلوها علة لذلك .

اذاً فانه لا خلاف فى واقعة دوران القمر حول الأرض . ولأن القمر يجرى أو يسبح حـــول الأرض بصفة مستمرة ودائمة ، فانه لذلك يجرى فى فلك . ومركز هذا الفلك هو الأرض .

ولما كان ذلك أمر ثابت ومقدمة حقيقية لدى الفلكيين وغيرهم .

ولما كان ذلك حقيقة علمية قرآنيـــة .

---

(١) تفسير الجلالين /٣٩٠ يقول « وكل من الشمس والقمر والنجوم فى (فلك) مستدير (يسبحون) يسيرون » .

فانه وبالتالى ، يكون اخذ هذه الحقيقة بداية ومقدمة فلكية ، انما يكون طريقـــا سليما وعلميا وصحيحا .

ذلك بأنه ، ولما كان القمر يتبادل مع الشمس الظهور على نصفى الكرة الأرضية يوميا بحيث اذا طلعت الشمس على نصفها الأول بزغ القمر على نصفها الثانى ، واذا طلعت الشمس على نصـــفها الثانى بزغ القمر على نصفها الأول . وهذا ثابت وواقع مجزوم به .

ولما كان هذا العمل اى تبادل الظهور على وجهى الأرض مع القمر ، دائم ومستمر منذ خلق الله الأرض والشمس والقمر .

فان هذا يعنى أنه انما جاء نتيجة لجرى الشمس فى فلك حول الأرض مثلها مثل القمر تماما ، لأن القمر يدور حول الأرض — وهذا ثابت — وحركة الشمس مثـــل حركة القمر تماما فى البزوغ على الأرض يوميا « **والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها** » .

قال عكرمة عن ابن عباس (والقمر اذا تلاها) قال اتبعها ، تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة ١٦٣ . وقال الجلالين صفحة ٥٤٠ (والقمر اذا تلاها) تبعها طالعا عند غروبها . واذاً فالشمس تجرى حول الأرض مثل القمر .

سادسا — دليـــل فلكى :

لو كانت الشمـــس واقفـــة فى مركز فلك الأرض — كمـــا يدعون — لكانت باستمرار أمام القمر ، بالنسبة الى جانب واحد من الأرض ، وبالتالى لأضاء القمر نصف الأرض فقط .

ولو قيل ان القمر يضىء نصفى الأرض لأن الأرض تدور وليست واقفة ، لكان لابد من وقوف القمر حتى يضىء نصـــفى الأرض ؛ طالمـــا يقـــولون بأن الشمس واقفة وذلك حتى تكون مواجهة للقمر !!.

ولما كان هذا وذاك غير صحيحين .

فان الشمس تدور فى فلكها أمام القمر باستمرار « **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر** » فلابد من استمرار وجود مسافة كافية بين الشمس والقمر تجعل الأرض دائما وأبدا فى الوســـط بينهما . حتى تطلع عليهـــا الشمس من ناحية وتقابل القمر الذى يكون قد جاء الى الناحية الأخرى . وهكذا دائما

ابدا تحقيقـا لقوله تعـالى : « **الشمس وضـحاها . والقمر اذا تلاها** » الشمس ١ و ٢ .

الدليـل الثـانى :

دليل « الجرى الواحد » للشمس والقمر ؛ وهو دليل فلكى :

اولا : يقول رب العالمين : « **الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى** » لقمان ٢٩ .

والآية واضـحة محكمة لاسيما فى قوله تعـالى : « **والشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى** » فالشمس تجرى والقمر يجرى ، ولم يفرق الله جل شأنه بين « جرى » و « جرى » لأنه لم يذكر أن الشمس تجرى ثم قال ان القمر يجرى . ولكنه سبحانه نسب « جريا واحدا » أى جرى معين **بسمة وصفة وحركة واحدة للاثنين معا فى قوله تعالى : « كل » ، بل ومعها النجوم أيضا كما سيأتى بعـد .**

ولما كان جرى القمر فى « فلك » موضوع لحقيقة لا خلاف عليها .

فانه لذلك وبالتالى يكون جرى الشمس فى « فلك » حقيقة ثابتة مثل حقيقة جرى القمر فى فلك .

ثانيـا : يبين الخالق العظيم أن كلا من الشمس والقمر « يجرى » مع ترتيب بينهما فالأولى الشمس والثانى القمر فى قوله تعالى : « **والشمس والقمر كل يجرى** » ويوضح العلى ذلك الترتيب انه انما لتنظيم مسار الحياة على الأرض ، فالشمس هى التى تضع أسس الحياة على الأرض وتحفظها ، لذلك هى الأولى ، والقمر هو الذى يؤنس الناس فى ظلمة الليل ويعين لهم مواقيت حياتهم ويحدد موعد الحج ، لذلك هو الثانى .

ولأن الشمس والقمر هما كل شىء للنـاس ، فبغـير الشمس يموت كل شىء ، وبغير القمر تختل الحياة ؛ فان الخالق العظيم ، يبين هذه الأهمية الشاملة والأساسية . بأن يقسم بهما جل شأنه :

« **والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها** » الشمس ١ و ٢ .

الدليـــل الثـــالث :

((**الشمس والقمر بحسبان**)) الرحمن ٥

أولا : يقول رب العالمين : ((**الشمس والقمر بحســـبان**)) ويفسرها الامام ابن كثير : أى يجريان متعاقبين أى أحـــدهما وراء الثـــانى لا يلحقه وأن ذلك تقدير العزيز العليم (١) . ويؤيد الامام ابن كثير تفسيره بقوله تعالى : ((**لا الشمس ينبغى لهـــا أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهـــار وكل فى فلك يسبحون**)) يس ٤٠ ، وقوله تعالى : ((**فالق الاصـــباح وجعـــل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم**)) الأنعام ٩٦ .

ثانيـــا ـــ دليـــل حســـابى :

يذكر ربنا دليـــلا حسابيا ـــ لم يعرف الا بعـــد اكتشاف الحاسبات الالكترونية ـــ هو أن كل ثلاثمائة ســـنة شمسية تســـاوى تماما وبالضبط ثلاثمائة وتسع سنين بالسنة القمرية (الهجرية) . تساويها باليوم والساعة والدقيقة والثانية . صـــنع الله الذى أتقن كل شىء . فيقول سبحانه بيانا لهذه الحقيقة العلمية الحسابية الفلكية القرآنية : ((**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا**)) الكهف ٢٥ .

ومن هـــذا يثبت لنا على وجه القطع ، لأن هـــذا العدد مجزوم به أى واقع ثابت يقينـــا ، أن الشمس والقمر ـــ وهما اللذان صـــنعا هـــذا الحساب ـــ دليلان على عدد السنين .

وما دام أن الشمس والقمر دليلان على حساب السنين ، فهما لذلك وبالتالى ساعتان وآلتان كونيتان جعلهما الله سبحانه فيما جعـــل فيهما ، خاصية القيام بصنع أو بعمل الأيام والشهور والسنين .

ولما كان العمل فى صنع الأيام والشهور والسنين مسند الى الشمس والقمر ، فهما بالتالى الفاعل للأيام والشهور والسنين ، وهذه مسندة اليهما .

---

(١) تفسير الامام ابن كثير جـ ٤ /٢٧٠ وتفســـير الجلالين /٤٧٣ يقول ((يجريان بحساب)) .

وما دام ان الاسناد والاسناد اليه واضح محكم ، فانه لذلك وبالتالى لا يحتمل التأويل .

والقاعدة الأصولية أن الواضح المحكم يؤخذ بظاهر نصه .

لذلك ، وبالتالى ، لما كان شروق الشمس وغروبها ، كما هو شروق القمر وغروبه ، هو علة عد الأيام والشهور والسنين .

فان الشمس والقمر هما اللذان يجريان حتى يحدث الشروق والغروب وبالتالى عد السنين .

ولما كان شروقهما وغروبهما دائما ابدا تبعا فلابد أن يكون كل منهما فى فلك وان اختلف طوله ، يقطعانه معا تقريبا ... **« وكل فى فلك يسبحون »** يس ٤٠ .

الدليــل الرابع :

دليل أن الشروق غروب والعكس هو دليل فلكى

قال جل جلاله : **« فان الله يأتى بالشمس من المشرق »** البقرة ٢٥٨ . وسبق شرح الآية الكريمة واثبات أنهــا واضحة محكمة لا تحتمل التأويل ولا تقبــل النسخ .

ويســـتدل منهــا — فلكيا — أن الشمس — كما هو ثابت بالمشاهدة اليومية — تأتى من المشرق ثم تنزل فى المغرب ، وهذا النزول هو فى نفس الوقت شروق على نصف الكرة الأرضية الثانى ، ولذلك لم يقل الخالق العليم فان الله يأتى بها من المشرق وينزل بها فى المغرب ، انما المشرق فقط لأنه الحركة المفيدة للانسان .

ولما كان الغروب فى نصف الكرة الأول شروق فى نصف الكرة الثانى .

فان ذلك يثبت دوران الشمس حول الأرض فى فلك مركزه الأرض .

لأن الشروق ظاهــرة للشمس وليس ظاهرة للأرض أى من فعــل الشمس وليس من فعل الأرض ، والفعل يسند الى فاعله ، والفاعل دليــل على الفعــل .

الدليـــل الخامس : دليـــل الاسناد :

قوله جـــل جلاله : « **وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال** » الكهف ١٧ .

وواضح ان الشمس « فاعل » للطلوع كما أنهـــا « فاعل » للغروب وهـــذا مجاز عقلى ، لأن الله جل شأنه هو الفعـــال لهـــا ، الذى يطلعها من المشرق وهو الذى ينزلها فى المغرب (١) .

والله ينسب طلوع الشمس لنفسه اى يسنده اليه مرة ثم يسنده الى الشمس مرة اخرى لأن الشمس مسخرة من الله تجرى حول الأرض لحياة الانسان والحيوان والزرع .

واذاً فالشمس تشرق وتغرب على نصف الأرض لتشرق وتغرب على النصف الثانى وهذا لا يكون الا فى فلك مركزه الأرض .

الدليـــل السادس : دليـــل الظـــل :

يقول رب العالمين : « **الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعـــله ساكنا ثم جعلنـــا الشمس عليـــه دليـــلا . ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا** » الفرقان ٤٥ و ٤٦ .

والآية واضـــحة محكمة ولا يمكن او يتصور نسخها ، وثابتة ماديا لكل الناس ، وبالتالى لا تحتمل التأويل والشمس فى الآية هى الدليل على الظل : « **ثم جعلنا الشمس عليه دليـــلا** » وبالتـــالى فهى التى تتحرك . فاذا أشرقت أحدثت الظل واذا غربت قبض الظل .

وقبض الظل يسنده الله سبحانه الى نفسه : « **ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا** » وهو مجاز عقلى ذلك ببيان أن الشمس هى بقوة الله ، لأنها هى الفاعلة للظل او التى جعلها الله فاعلة للظل فاذا انزلها الله سبحانه فى المغرب تم بذلك قبض الظل . وقبض الظل باسناده لله سبحانه هو من باب أولى انزال للشمس فى مغربها بقوة الله جل جلاله . ومن ثم فالمجاز العقلى ثابت وواضـــح معـــا .

---

(١) « قضايا ومواقف » للدكتور عبد الواحد علام /٩٠ — ١٠٧ .

الدليــل الســـابع : دليــل « كل » :

يقول رب العالمين عن الشمس والقمر — الظاهرين فى الآية الكريمة — « **وكل فى فلك يسبحون** » يس.٤ واذا علمنا ان « كل » تستعمل للمفرد والجمع ولا تستعمل للمثنى ، تساءلنا لماذا لم يستعمل الله لفظ المثنى اى « كلاهما » لأن « الليل والنهار » فى الآية لا يسبحون لأنهما آثار مثل الظل تماما وليسا جرما حتى يكون لهما حركة . ولأن الله سبحانه استعمل « كل » فى الآية الكريمة ، فانما يستعملها للجمع ، لأنه لابد وأن تكون للجمع لأن الشمس والقمر ليســا مفردا ، كما أن « كل » تعنى ايضا ان للقمر فلك خاص به وان للشمس فلك خاص بها ، وأن كلا منهما يسبح فى فلكه .

ومن ثم يقول المفسرون أن « كل » انما تعنى الشمس والقمر والنجوم . اى أن كل من الشمس والقمر والنجــوم له فلك خاص به وفيــه يســبح كل منها (١) .

لذلك ، فان الشمس تسبح فى فلك ، وما دامت تسبح فى فلك فان هذا الفلك مركزه الأرض لطلوع الشمس وغروبهــا على الأرض بصفة دائمــة ومستمرة ومنتظمة ومقابلة للقمر .

الدليــل الثــامن : دليــل الجرى المستمر :

ومن البيانات العلمية لقياس بعد الشمس عن الأرض ، يمكن أن نعرف طول فلك الشمس وبالتالى سرعة جريها فى فلكها حول الأرض « **والشمس تجــرى** » يس .

ولما كان الثابت بالقياس العلمى أن طول قطر الأرض ١٢٧٥٧ ك م . وطول محيطها ٤٠٠٠٠ ك م . وبعد الشمس عن الأرض ١٥٠ مليون كم .

ومن ثم فان قطر فلك الشمس = ١٥٠ مليونك.م + ١٥٠ مليون ك.م + ١٢٧٥٧ ك.م = ٣٠٠١٢٧٥٧ ك.م .

فاذا كان طول فلك الشمس س فان س

= ٣٠٠١٢٧٥٧ (قطر فلك الشمس) × ٤٠٠٠٠ (محيط الأرض)
÷ ١٢٧٥٧ (قطر الأرض)

= ٩٥٠ مليون ك.م تقريبــا .

(١) تفسير الجلالين /٣٩٠ .

ولما كان الثابت بالدليل القرآنى وبالسنة النبوية المطهرة (فى الدليل العاشر) وبالأدلة العلمية والفلكية والحسابية وبفقه الدليل ، أن الشمس تجرى فى فلك حول الأرض وانها تشرق كل يوم على الأرض بجانبيها .

ولما كان ذلك فان سرعة « جـرى » الشمس = ٩٥٠ مليون ك.م / ٢٤ ساعة

= ٦ر٣٩ مليون ك.م فى الساعة الواحدة .

ولهذا قال خالق الشمس وخالق كل شىء ان الشمس تجرى « **والشمس تجرى لمستقر لها** » . ولا شك أن هذه السرعة تتناسب مع جرم غازى يسبح فى ملك الله جل جلاله .

الدليـــل التاســـع : دليـــل البروج وهو دليل فلكى :

قال سبحانه خالق السماوات والأرض : « **والسماء ذات البروج** » البروج ١ وابان سبحانه ان هـــذه البروج لها منافع عظيمـــة تفـــوق منافع الشمس والقمر فقال جل شأنه : « **تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيهـــا سراجا وقمرا منيرا** » الفرقان ٦١ ، فســـبق البروج على كل من الشمس والقمـــر .

والثابت فلكيا أى واقع مجزوم به ، أن للقمر منازل : «**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** » يس ٣٩ . اى أن للقمر منازل مقـــدر عـــددها .

وبعض العلماء يقول ان عدد هذه المنازل اثنى عشر منزلا ، وانه يبيت فى كل منها ليلتين ونصف الليلة أو اقل قليلا فيكون الشهر ٢٩ يوما أو ثلاثين يوما . وبعضهم يقول انها ثمانية وعشرين منزلا ويستتر ليـــلة أو ليلتين اذا كان الشهر ٢٩ يوما أو ثلاثين(١) . وروى الامام ابن كثير انهـــا عشرة منازل فقط(٢) .

والثابت فلكيا كذلك أن للشمس اثنى عشر برجا ، وهذه البروج عبارة

---

(١) تفسير الامام جلال السيوطى /٣٩٠ .
(٢) تفسير الامام ابن كثير جـ ٣ /٥٧٢ .

عن تجمعات نجمية على ابعاد فلكية هائلة فى السماء الدنيا ، والشمس تبيت فى كل من هــذه البروج الاثنى عشر ايضا ليلتين ونصف تقريبا على مدار الشهر فيكون الشهر ٣٠ أو ٣١ يوما .

ومبيت الشمس فى بروجها على مدار الشهر وكل شهر ، دليل فلكى حاسم وقاطع على أن الشمس تدور (تجرى) فى فلك ، لأنهــا كلما انتهت من مبيتهــا فى آخر برج ، عادت للمبيت فى أول برج ثم الثــانى فالثالث حتى الأخير ، وهكذا تعود مرة أخرى للأول ، كل شهر وبصفة دائمة ابدا . مثلها مثل مبيت القمر فى منازله تماما فالقمر يتبع الشمس « **والقمر اذا تلاها** ».

ومبيت الشمس فى البروج من أولها حتى آخرها ثم من أولها حتى آخرها وهكذا ، دليل فلكى على انها تدور فى فلك ، لأن دورانها مستمر منذ خلقها الله وحتى تنتهى . والدوران المستمر دائما ابدا لا يكون الا فى فلك ، وسبحانه جل جلاله يقول : « **وكل فى فلك يسبحون** » .

واذا قيــل ان الشمس ومعهــا مجموعتهــا ومنهــا الأرض والقمر ــ كما يزعمون ــ تجرى فى فلك ، وان هــذا هو المقصود بقوله تعالى : « **وكل فى فلك يسبحون** » يس .

قلنا ان الله سبحانه وتعــالى بين ، وكما هو مشاهد فلكيا وبالعين المجردة ، ومن ثم فهو الدليــل القائم ، أن كلا من الشمس والقمر يتقابلان فى جريهما المستمر وفى وسطهما الأرض دائما فقال تعــالى : « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** » ابراهيم ٣٣ .

واذاً فالشمس تجرى حول الأرض كما أثبتنا مثل القمر تماما يجرى حول الأرض . وبالتالى فالقول المدعى به بغير دليــل ومجرد ظن ، لذلك فهو فاســـد .

ولهــذا ؛ قال رب العالمين فى عــدة آيات بينات ان الشمس تجرى ولم يذكر للأرض جريا ابدا ، فقال تعــالى : « **وســخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى** » الرعد ٢ وفاطر ١٣ ، و « **وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى** » لقمان ٢٩ .

الدليـــل العاشر : دليـــل السنة النبوية المطهرة (١) :

(قال البخارى بسنده عن ابى ذر رضى الله تعـــالى عنهما ، قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا ابا ذر اتدرى اين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله اعلم ، قال صلى الله عليه وسلم : « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى : **« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »** قال صلى الله عليه وسلم : « مستقرها تحت العرش » . واحاديث اخرى كثيرة عن ابى ذر منها : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس : « اتدرى اين تذهب الشمس ؟ » قلت : الله ورسوله اعلم . قال صلى الله عليه وسلم : « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش لتستأذن فيؤذن لها . ويوشـــك أن تسجد فلا يقبل منها ؟ وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : **« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم »** .

ذلك قـــول .

والقول الثانى عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم ان « والشمس تجرى لا مستقر لها » — وليس « لمستقر » اى لا قرار لها ولا سكون بل هى سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى : **« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين »** اى لا يفتران ولا يقفان الى يوم القيامة **« ذلك تقدير العزيز العليم »** اى الذى لا يخالف ولا يمانع **« العليم »** . وقوله تبارك وتعالى : **« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر »** قال مجاهد لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب واذا ذهب سلطان هذا

---

(١) تفسير الامام ابن كثير ج ٣ /٥٧١ و ٥٧٢ أحاديث نبوية أخرجهـــا من صحيح البخارى بسنده عن أبى ذر ، كما أخرجها عن الامام أحمد بسنده عن أبى ذر أيضا رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

جاء سلطان هذا . وقال عكرمة يعنى ان لكل منهما سلطانا فلا ينبغى للشمس ان تطلع بالليـــل .

وقوله تعالى : ((**وكل فى فلك يسبحون**)) يعنى الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون اى يدورون فى فلك السماء ؛ قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد من السلف فى فلكة كفلكة المغزل . وقال مجاهد الفلك كحديدة الرحى او كفلكة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور الا به)(١) .

والسنة المطهرة واضـــحة بينة ، فهى تبين أن الشمس تدور يوميا فى فلك حول الأرض وأنها فى نهاية الحياة الدنيا ستسجد تحت عرش الرحمن فلا يؤذن لها بالعـــودة . فلن تنفجر الشمس كما تنبأ علماء الفلك ، ولكن سيجمع القمر مع الشمس التى تسجد تحت عرش الرحمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى عن احداث يوم القيامة : ((**وجمع الشمس والقمـر**)) القيـــامة ٩ .

---

(١) تفسير الامام ابن كثير جـ ٣ /٥٧١ — ٥٧٣ بتصرف .

المبحث الثاني

طبيعة الشمس

« والشمس تجرى لمستقر — وتقرأ — لا مستقر لها » يس ٣٨ .

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أردت أن تسمع القرآن رطبا فاسمعه من ابن مسعود » أى اذا أردت ن تسمع القرآن كما انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فاسمعه من عبد الله بن مسعود .

وقرأ عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود الآية السابقة « لا مستقر» أى أن الشمس تجرى لا قرار لها ولا سكون (١) .

والقول الأول « لمستقر » أى لمنتهى سيرها وهو يوم القيامة حيث يبطل سيرها وتبطل حركتها وتكور وينتهى هذا العالم الى غايته (٢) .

* * *

ولما كنا قد أخبرنا من الخالق العظيم أن الشمس تجرى فى فلك فمعنى ذلك أن جرى الشمس دائم أبدا لأن الجرى فى دائرة مستمر رياضيا .

ومن ثم فهى لا تتوقف الا حين يطوى الله السماء طى السجل للكتب ، والشمس شيئا مما فى السماء .

أما قراءة الآية « .. لا مستقر لها .. » أى لا قرار ولا سكون لها ، فهو تفسير وان اتفق مع معنى الجرى فى فلك ، فانه بالاضافة الى ذلك له عمق علمى عن طبيعة الشمس ذاتها . ذلك بأن الثابت علميا أن الشمس تشع ضوئها نتيجة الارتفاع الهائل فى درجة حرارتها ، سواء كان ذلك نتيجة انفجارات نووية فى داخلها أم لخلقها كذلك ...

والثابت علميا أنه أثناء تحول أنوية (جمع نواة) ذرات العناصر الى أنوية أخرى بواسطة انبعاث أشعة الفا أو بيتا أو جاما ؛ فان ذلك يتم طبقا لقانون بقاء المادة والشحنة ، أى لا يترتب على الاشعاع أى فقدان

---

(١) نفس المرجع ج ٣ /٥٧٢ .
(٢) نفس المرجع ج ٣ /٥٧٢ .

للوزن الذرى او للرقم الذرى ككل . اى ان مجموع الأوزان الذرية والأرقام الذرية لكل من المادة الجديدة والأشعة المنبعثة يساوى تماما الوزن والرقم الذرى للنواة المشعة .

ويطلق على النواة المشـــعة الأصلية النواة الأم بينما تسمى النواة الجديدة الناتجة اسم الابنة .

اما فى حالة انبعاث اشـــعة جاما فانه لا يحدث اى تغيير فى الوزن او الرقم الذرى للمادة المشعة حيث ان اشعة جاما عبارة عن فوتونات ذات طاقة معينة ، لذلك فهى تؤدى الى استقرار النواة الأصلية حيث تحمـــل ما زاد بها من طاقة عن طاقة استقرارها .

واذا علمنا ان اشعة « جاما » هى التى تثير الالكترونات عندما تقع على الفلزات ، اى هى التى تؤدى الى وجود النور متمثلا فى الالكترونات . اى ان أشعة « جاما » هى الضوء الذى يسقط على الفلزات فيبعث النور اى الالكترونات(١) .

اذا علمنا ذلك ، لتبين لنا ان اشـــعة جاما اى الضوء الذى يأتينـــا من الشمس انما هو عبارة عن فوتونات صدرت من الشمس نتيجة عـــدم استقرارها ، فخروجه منها يؤدى الى استقرارها ، واستمرار خروجه دليل مادى على عـــدم استمرار استقرارها ، وبالتالى كانت القراءة الصحيحة ــ والله أعلم ــ هى « لا مستقر لها » .

وحتى يتبين لنا ، عمق آخر لمعنى « لا مستقر لهـــا » فان الشمس عندما تسكن عن ارسال اشعة جاما اى تسكن عن ارسال الضوء ، فانه

---

(١) كتاب « الفيزيقا » للدكتور محمد عبد المقصـــود النـــادى وآخرين /١٥٥ — ١٦٠ و ١٨٢ وما بعدها ، وانظر كتاب « ماذا تعرف عن الذرة » /١٦٥ — ٢١٦ حيث اثبت أنشتين عدم دقة هذا القول ووضـع « قانون المادة والطـــاقة » .

بالتالى لا يكون لهـــا اى تاثير على الأرض ، وتصير الأرض ظلاما حالكا . وكذلك لا تاثير لها أيضا على القمر فلن ترسل اليه اشعة أى ضوء أى فوتونات وبالتالى لا يصدر نور عن القمر . وتبقى الأرض حالكة الظلمة فى ليل أبدا . بل ليل شديد الظلام . فالاظلام يكون تاما ودائما ، فلا يبصر الانسان بعينيه شيئا . يكون مفتح العينين ، ورغم بريقهما فلا يرى شيئا على الاطلاق .

ويكون هذا من علامات الساعة .

لهذا يقول رب العالمين عن علامة من علامات الساعة : « **يسال ايان يوم القيامة . فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الانســـان يومئذ اين المفر . كلا لا وزر . الى ربك يومئـــذ المستقر . ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر** » القيامة ٦ — ١٣ .

المبحث الثالث

البروج

قال جل جلاله : ((**تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**)) الفرقان ٦١ . واقسم سبحانه بالسماء وبها هذه البروج فى قوله تعالى : ((**والسماء ذات البروج**)) البروج ١ .

واذا فالبروج حقيقة فلكية قرآنية .

ولما كان الكتاب العظيم هو كلام الله جل شأنه ونزل بعلمه ، فان ما فيه هو الحق ، وعلينا أن نصل اليه .

ولما لم يكن فى سابق الزمان من سبيل الى الرؤية الواسعة والبعيدة ما هو متيسر الآن .

فان اليقين بالبروج انما جاء تأسيسا على الايمان بالله وكتبه ورسله وعلى ما أمكن مشاهدته بواسطة المناظير المتاحة فى تلك الأزمان .

فقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وابن عباس ومحمد ابن كعب وابراهيم النخعى وسليمان بن مهران الأعمش أن ((البروج)) قصور فى السماء للحرس . وهو قول لمجاهد أيضا .

وقال غيرهم هى الكواكب العظام .

ورأى الامام ابن كثير أنها الكواكب العظام الا أن تكون هى القصور للحرس فيجتمع القولان . ويستدل ابن كثير على ذلك بقوله تعالى : ((**وزينا السماء الدنيا بمصابيح**)) فصلت[١] . ونضيف اليه قوله تعالى : ((**انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد**)) الصافات ٦ و ٧ .

وفى تفسير سورة البروج ، ذكر الامام ابن كثير ، أن ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى قالوا : البروج : النجوم . وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس . وقال يحيى بن رافع : البروج قصور فى السماء .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ /٣٢٣ و ٣٢٤ .

واختار الامام محمد بن جرير الطبرى أن البروج هى منازل الشمس والقمر وهى اثنى عشر برجا تسير الشمس فى كل واحد منها شهرا ويسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستقر ليلتين (١) .

وجاء بتفسير « الجلالين » الذى جعل فى السماء بروجا : اثى عشر : الحمـل والثور والجوزاء والسرطان والأسـد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ؛ وان هـذه البروج هى منازل الكواكب السيارة . فكوكب المريخ منزله برجى الحمل والعقرب وكوكب الزهرة منزله برجى الثور والميزان وكوكب عطارد منزله برجى الجوزاء والسنبلة وكوكب القمر منزله برج السرطان وكوكب الشمس منزله برج الأسد وكوكب المشترى منزله برجى القوس والحوت وكوكب زحل منزله برجى الجدى والدلو (٢) .

وواضـح من هـذا العرض ، أن علماء تفسـير القرآن لا يفرقون بين النجوم والأرض والقمر وعطارد والمريخ وزحل والمشترى والشمس ، فكلها اسمها الكواكب (٣) بعكس العلماء الماديين الذين يطلقون اسم النجم على الأجرام الغازية مثل النجوم والشمس ، واسم الكواكب على الأجرام الصلبة مثل الأرض والقمر والمريخ ... الخ .

ومن قوله سبحانه وتعالى : **« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هـذا ربى هـذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون »** الأنعام ٧٦ — ٧٨ ، يتضح أن الله الخالق العظيم يتكلم عن القمر كما يتكلم عن الشمس — مع خلاف مادة الجرمين — كما يتكلم عن الكوكب وهو نجم لدى بعض المفسرين والزهرة عند آخرين . وسـواء كان هـذا أو ذاك ،

---

(١) المرجع السابق ج ٤ /٤٩١ .
(٢) تفسير الجلالين /٣٢٤ .
(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ /١٥١ وتفسير الجلالين /٥٢٣ .

فان اطراد الأسلوب القرآنى فى « الكوكب » ثم « القمر » ثم « الشمس » يدل على أن الكل واحد من حيث أنها جميعا كواكب مضيئة تسبح فى السماء .

يؤيد ذلك تقابل قوله تعالى : **« انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا »** الصافات ٦ و ٧ ، مع قوله تعالى : **« وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا »** فصلت ١٢ .

ومن ثم فجميع الأجرام غازية أو صلبة هى كواكب ، كما ذهب الى ذلك كل من الأئمة : الطبرى وابن كثير والجلالين وغيرهم . فهى كواكب بمعنى انها اجرام تسبح فى السماء .

أما القول بأن البروج هى منازل الكواكب ، فواضح — بعد هذا البيان — أنه قول بغير دليل . ذلك أن البروج هى مجموعات من النجوم أى مجموعات من الكواكب ، وبالتالى لا تكون الكواكب منازل للكواكب .

ولما كان ذلك .

ولما كانت كل مجموعة من نجوم البروج ، تكون شكلا معينا ، أطلق عليه الفلكيون اسم الشكل الذى يكونه ، فمثلا برج الأسد ، نرى مجموعة النجوم التى تكونه هى على شكل أسد ، وكذلك برج الثور وكل برج من البروج نفس الشىء .

وعليه ، فقد آن لنا أن نعلم ، هل هذه البروج قصور للحرس ، وحرس على أى شىء ؟.

لهذا ، نستعرض الآيات القرآنية الكريمة التى وردت فى هذا الخصوص .

يقول رب العالمين :

« ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » الحجر ١٦—١٨ .

وواضح من هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه جعل فى السماء « بروجا » و **« زيناها للناظرين »** فقد جعلها الله سبحانه جميلة المنظر تشد أنظار وانتباه الناظرين اليها بجمالها .

ويذكر العلى العظيم أنه حفظ هذه البروج الجميلة المنظر من كل شيطان رجيم . فاذا استرق أحد الشياطين السمع على من فى هذه البروج ، فان الله سبحانه يتبعه بشهاب مبين .

وكلمة برج تعنى الشيء المتعدد الطبقات السامق علوا وارتفاعا ، واذآ فهى مجموعات عظيمة من النجوم المتعددة الطبقات بعضها فوق البعض ، الضاربة فى الارتفاع ، الجميلة المنظر والتى تأخذ شكلا من الأشكال التى حددها لها الخالق العظيم .

واذآ فهذه البروج – مادام أن الشياطين يسترقوا السمع على من فيها – فيكون فيها مخلوقات تتكلم بصوت مسموع حتى أن الشياطين التى تقترب من هذه البروج تسمعه . وان الشيطان المارد أى المتمرد أى الخارج على طاعة الله يحاول أن يتصنت ويسترق ما يسمع من كلام يقال فى داخل هذه البروج ، فاذا تمكن من سرقة كلاما سمعه وحاول الهرب به ، فان الله يتبعه بشهاب يحرقه .

ويفصل الخالق العظيم ذلك فى قوله تعالى :

« انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » الصافات ٦ – ١٠ .

فيوضح لنا العلى العظيم بأن هذه البروج الجميلة المنظر هى الكواكب ذات الزينة التى زين الله بها السماء الدنيا ، وأن هذه البروج أى هذه الكواكب الجميلة ، حفظها الله من كل شيطان مارد بحيث لا يستطيع أن يتصنت على الملأ الأعلى وهم يتكلمون فيها ، وأن الله سبحانه قدر لحفظها طريقة معينة ، هى قذف الشياطين من كل جانب فيهزموا ويعذبوا بهذا القذف . فاذا تمكن شيطان مع ذلك من سماع قول للملأ الأعلى وحاول الهرب به ، فان الله يتعقبه أثناء هربه بشهاب ثاقب أى ينفذ من كل شيء حتى يصل الى هذا الشيطان فيحرقه .

ومن هذا ، يتبين لنا بجلاء ووضوح وبالدليل القرآنى ، أن الذى يسكن البروج سواء سميناها كواكبا عظيمة أو قصورا فى السماء ، هم الملأ الأعلى

اى الملائكة الكبار ، الذين يقومون على تلقى ما ينزل من اللوح المحفوظ اليهم من رزق العباد وعلمهم ونورهم وهدايتهم وفضل الله عليهم وبركاته ورحماته واشراقاته ، اى ان الملائكة — بهذا — تعرف كل ما قدر للانسان منذ مولده حتى وفاته ، اى ان الملائكة من الملأ الاعلى يعلمون « غيب » الانسان كما نسميه . ومن هنا كانت محاولة الشياطين استراق السمع على الملأ الأعلى ليعرفوا من كلامهم شيئا عن هذا « الغيب » فيبلغوه الى الانسان الذى يستعين بهم .

لذلك حفظ الله هذه البروج ، هذه القصور العظيمة التى تضم الملأ الأعلى ، حفظا « للغيب » الذى أنزل من لدن حكيم خبير وهاب رزاق ذو الفضل العظيم الى الملأ الأعلى . وتلك سنة الله فى ملكه مع الناس .

ذلك بأن الله ، بعد انزال الرسالة المحمدية ، أغلق على الشياطين السماء . وملأ كافة أرجائها حرسا شديدا وشهبا كثيرة حتى لا يستطيع الجن الدخول الى السماء والاقتراب من البروج واستراق السمع على الملأ الأعلى .

ويقول الله العظيم بيانا لذلك على لسان الجن :

« وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » الجن ٨—١٠ .

ولما كان ذلك .

فاننا نفهم بوضوح قوله جل جلاله : **« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا »** اى كثر خير الله جل شأنه وبركاته وفضله ورزقه التى انزلها الى البروج ، ليقوم الملأ الأعلى من الملائكة الذين يسكنون هذه البروج لهذه المهمة بتوزيعها حسبما أنزل الله وقسم بواسطة العديد من الملائكة تحقيقا لقوله تعالى : **« فالمدبرات أمرا »** النازعات ٥ .

لذلك ، وجد علم الجفر ، الذى يجعل لكل انسان برجا يتأثر فيه بوجود كل من الشمس أو القمر فيه أو وجودهما معا .

ولما كان ذلك ، فان بعض المشتغلين بالتقويم الفلكى ، **يقولون بأن** (القمر يقطع البرج الواحد فى يومين وثلث تقريبا وكل يوم فى منزله وتلك المنازل التى قال الله تعالى عنهـــا فى كتابه الكريم : **« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القـديم »** يس . فالمنـــازل نجوم معروفة فى البروج الاثنى عشر وسير القمر السريع ففى كل يوم يبيت فى منزلة من تلك المنازل وفى حالة بعد مبيته فيها فيتأثر القمر بتلك الخاصية وينزلهـــا الى الأرض التى هى دونه فى الفلك . ومن المنازل ما هى نحيسة ومنها ما هى سعيدة فاذا نزل القمر فى منزلة سعيدة فتجد فى ذلك اليوم تهبط روحانية ســـعيدة على العالم تهون عليهم معيشتهم فى الحياة . . .) (١) .

ويرى فضيلة الشـــيخ محمـــد متولى الشـــعراوى أن المنـــازل للقمر وأن البروج للشمس .

وحقيقة الأمر أن البروج هى منازل القمر كما أنها أيضا منازل الشمس ، كما قال بحق الامام محمد بن جرير الطبرى ، غاية الأمر أن مبيت كل من القمر والشمس فيها يختلف فى مدته اختلافا يسيرا .

فالقمر يبيت فى كل برج — بمعنى يسير أمام كل برج — من البروج الاثنى عشر ليلتين وثلث ليلة فيكون ٢٨ ليلة ويستتر ليلتين .

والشمس تبيت فى كل برج ليلتين ونصف وبضع دقائق اى مدة أطول قليلا لا تزيد عن ساعتين وبضع دقائق ، فهى تقطع تلك البروج فى شهر ٣٠ أو ٣١ يوما مثل القمر تماما الذى يقطعه فى شهر ٢٩ أو ٣٠ يوما .

اما القول بأن الشمس تسير فى كل برج شهرا ، فقول ليس له واقع مجزوم به ، وليس عليه دليل .

من هذا يتبين أن القمر اسرع من الشمس — نسبيا — فى دورانه حول الأرض وبالتالى فى سيره فى البروج ، تحقيقا لقوله تعالى : **« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر »** أى أن الشمس لا يجوز لهـــا أن تلحق بالقمر . وذلك

---

(١) كتاب « تقـــويم العبقرى الفلكى » تأليف حسين الســـيد الشيمى /١٠٧ و ١٠٨ سنة ١٩٦٩ .

لأن القمر كما قدره ربه أسرع من الشمس حتى يظل مقابلا للشمس بصفة دائمة فيكون منيرا أبدا للأرض فى النصف منها الذى يقابله ، ولصنع الأهلة حتى تكون مواقيتا .

ويجدر هنـــا أن نشير الى أن سرعة الشمس بالنسبة لسرعة القمر تعتبر رهيبة جدا فطول فلك الشمس كما سبق أن بينـــا ٩٥٠ مليون ك.م اما طول فلك القمر فأطول من طول محيط الأرض قليلا لأن قطره أكبر من قطر الأرض بأقل من نصف مليون كيلومترا . ومع ذلك فالقمر فى فلكه أسرع نسبيا من الشمس فى فلكها رغم سرعة الشمس الرهيبة التى عبر عنهـــا الخالق العظيم فى قوله تعالى : ((**الشمس تجرى**)) . اى أن الشمس أسرع كثيرا جدا من القمر وان بدت أقل من القمر لطول فلكها حول الأرض ، وبين هذا سبحانه وتعالى بقوله : ((**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر**)) يس .

واذا كانت الأرض تقع قريبا من محيط المجـــرة ذاتهـــا ، فذلك حتى يستطيع الانسان أن يرى خلق المجرات الأخرى ويتحقق ماديا بالمشاهدة والقياس المـــادى من أن الله سبحانه وتعـــالى قادر على خلق السماوات والأرض وأنه قادر على أن يوسع فى خلق السماوات ما يشاء ، تحقيقا لقوله جل شأنه : **والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون**)) الذاريات ٤٧ .

الفصل الثالث

« الأرض »

المبحث الأول

الأرض مركز أفلاك القمر والشمس والبروج

عرف المفكرون القدامى بالادلة المنطقية ؛ أن الأرض هى مركز السماوات أو كما كانوا يقولون « الأرض مركز الكون » .

وهؤلاء المفكرون هم فلاسفة الاغريق ، وكذلك علماء المسلمين من بعدهم .

ورغم أن علماء المسلمين قد قرعوا كتاب الله ، وفيه من الآيات القرآنية ما يثبت هذه الحقيقة ، الا أنهم لجأوا الى المنطق الأرسطى فى اثبات فكرهم .

وكما يقول علماء الفلك والجغرافيا — الآن — أنه بتقدم العلم ؟! فقد عدلوا عن هذا الفكر ؛ لأنهم تيقنوا علميا ؟! من عدم صحته .

فادعوا أن للأرض جاذبية وأن الأرض تدور حول نفسها بسرعة ١٦٠٩ ك.م فى الساعة وبسرعة ١٠٨٠٠ ك.م حول الشمس . ولأنها تدور حول نفسها فلها قوة طرد مركزية . ولأن قوة جاذبية الأرض أكبر بكثير فهى تمسك نفسها وتمسك من عليها . ولأن الشمس أكبر بكثير من الأرض (؟!) فهى تمسك الأرض فى فلك حولها .

وتصوروا ذلك ، وما أسهله ، ورسموا خرائط ووضعوا أرقاما وقالوا بنظريات ، وقالوا بأن هذا هو العلم الحديث . ولم يستطع انسان أن يقول الله العظيم الخالق لكل شيء قال ان الأرض ثابتة وأن الشمس هى التى تجرى حولها فى فلك .

وتصور المسلمون الذين احتل الأجانب بلادهم ، وبهروهم بمظاهر مادياتهم فى صناعة « الأسماء » ، ان ما يقوله علماء هؤلاء المحتلين لابد أن يكون صحيحا . وبمنتهى الاستكانة ، قالوا ان آيات الله تتكلم عن « الظاهر » والله يقول لهم بمنتهى الوضوح والصراحة : **« هو الأول**

والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » الحديد ٣ . أى لا خــلاف اطلاقا بين الظاهر والباطن وان كان الباطن لابد وأن يكون عمقا وفى نفس المعنى للظــاهر .

كما أن قواعد التفســير السابق بيانها ، تقول صراحة وبوضــوح بأنه اذا كانت الآية الكريمة واضحة محكمة أى لا تحتمل التأويل ولا تقبــل النسخ فلابد من أن يؤخذ بظاهرها .

هذا كله واضح ومعلوم للعلماء المسلمين . ولكن احتلال بلاد المسلمين بجيــوش المشركين وبعــلم المشركين وبماديات المشركين وعادات وتقاليد والسنة المشركين صرف المسلمين عن الوقوف بقوة الحق فى كتاب الله أمام هؤلاء ، رغم ضعف قولهم الذى لا يسنده أى دليل .

ويكفى لأى مسلم أن يقول لا ؛ وبمنتهى القوة أمام أهل الأرض جميعا ؛ طالما انه يقول لا بقوة الحقيقة فى كتاب الله جل جلاله ، ذلك بأنه سبحانه وتعالى يقول : **« والله غالب على أمره »** يوسف ٢١ .

ذلك بأنه ما كان بغــير دليل فلا قيمة له ويرد على قائله ولا يعــدو أن يكون مجرد لغو .

والأدلة على أن الأرض مركز فلك الشمس كثيرة .

وكل الأدلة التى سبق بيانها عن أن الشمس تجــرى فى فلك حــول الأرض هى فى ذاتهــا أدلة على أن الأرض — منطقيــا وفلكيا ورياضيا — هى مركز فلك الشمس .

ونضيف اليها الأدلة التالية وهى أدلة قرآنية ولها شواهدها المادية والعلمية المجزوم بهــا .

الدليــل الأول :

قوله تعالى : **« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات »** لقمان ٢٠ . والشمس والقمر فى السماوات وكذلك النجوم . ويقول تعالى فى شمول كامل لتسخير كل شيء للانسان : **« وسخر لكم ما فى الســماوات وما فى الأرض**

جميعا منه » الجاثية ١٣ ، وقال تعالى : **« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين »** ابراهيم ٣٣ .

ودليــل التسخير هــذا ، دليــل مادى ملموس للناس كلهم مؤمن وغير مؤمن ، فهو واقع مجزوم به ، شاهد الناس جزئياته بآلات التصوير التليفزيونية والسينمائية ، وبالتالى فهو عين اليقين بالنسبة للناس جميعا .

هذه الجزئيات الحقيقية التى صورها العلم الحديث ، أخبرنا عنهـا العلى العظيم فى كتابه العظيم على رسوله الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة منذ ١٤٠٠ عام فى قوله تعالى : **« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجــون . لقالوا انما ســكرت أبصــارنا بل نحن قوم مســحورون »** الحجر ١٤ و ١٥ .

ومعنى الآية أنه لو فتح الله للناس بابا من أبواب السماء فولجوا منه ودخلوا الى السماء وعرجوا أى صعدوا فيها ، فعندئذ سيجدون أنهم لا يرون شيئا كما لو كانت أعينهم مغلقة فلا تبصر شيئا ، ولأن أعينهم مفتوحة فإنهم يظنون أنهم قد سحروا .

والذى حدث عندما ولج رواد الفضاء من أحد أبواب السماء صاعدين فيها الى القمر ، أنهم رأوا صفحة السماء ســوداء حالكة السواد ورأوا الشمس كأنها شعلة عود ثقاب وليس له أثر اطلاقا . وقد صور رواد الفضاء ذلك بآلاتهم وشاهد الناس هذا بأنفسهم .

والثابت اذآ أنه ليس فى السماء نور ، فهى ظلام دامس . رغم أن ضوء الشمس يملأها !!.

كما أنه ليس للقمر نور ، رغم سقوط ضوء الشمس عليــه .

ومن هنا نفهم قول الخالق العظيم : **« وســخر لكم الشمس والقمر دائبين »** فالتســخير للناس فقط . وبالتالى وكذلك كل آيات التســخير لكل ما فى السماوات هى مسخرة للانسان فقط على الأرض .

فضوء الشمس لا يحدث نورا الا فى الغلاف الجوى للأرض .

وكذلك نور القمر ولا يظهر للناس الا فى الأرض .

وما دام ذلك ، الشمس والقمر والنجوم ، مسخرة جميعها للنـــاس على الأرض من كل ناحية .

وما دامت الأرض كرة أو شبه كرة .

واذاً فكل شيء مسخر للناس على هذه الكرة أى من حولهـــا جميعا ، فهى اذاً جميعا تدور حول الأرض ، اى محيطة بالأرض من كل جوانبهـــا لأن التسخير من هذه الأشياء متساو فى جميع جوانب الأرض .

اذاً فالأرض مركز أفلاك القمر والشمس والبروج .

الدليـــل الثـــانى :

وهو دليل قرآنى عن واقع مادى ملموس للناس ومعروف للعلماء . فلولا وجود السماء لهلك الناس من الأشعة الكونية . فالسماء تمنع الأشعة الكونية المميتة للحرث والنسل من النفاذ الى الأرض .

وهذه الحقيقة المادية التى عرفت منذ عشرات قليـــة من السنين ، قال القرآن العظيم منذ ١٤٠٠ عام فى قوله تعالى : ((**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون**)) الأنبياء ٣٢ .

والسقف يأخذ شـــكل ما يسقفه ، فهـــو مقابل له من فوقه وبنفس الارتفاع عند كل أرجائه . فاذا كان الشيء المسقوف كرة ـــ والثابت أن الأرض كرة تقريبا ـــ كان سقفها محيطا بهـــا وكذلك الأرض سقفها محيط بهـــا من كل جانب وبالتالى فهو مستدير معها وحولها ومن ثم فالأرض مركزه .

ويجـــدر أن نبين أن السماء وهى التى جعلهـــا الله سقفا محفوظا أى لحفظ الأرض وما عليها وغير ذلك ، ليست هى الهواء الذى فوق رأس الانسان !! فهو عند قدميه ..!!.

ولأن الله جل جلاله بين كل شيء ، فقال سبحانه وتعالى مبينا موضع أى مكان السماء : ((**والســـماء رفعهـــا**)) الرحمن ٧ ، أى أنها عالية . ويقول جل شأنه عن تثبيتها فى هـــذا المكان العـــالى : ((**الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونهـــا**)) الرعد ٢ ، ويبين سبحانه هـــذا الارتفاع

الذى رفع اليه السماء فيقول جل شأنه : ((**وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض**)) البقرة ١٦٤ ، اى ان السماء ليس هواء فالرياح اى الهواء الشديد والسحاب يقعان بين السماء التى هى فوق والأرض التى هى تحت . ومعلوم ان السحاب يقع فى بداية تكوينه على ارتفاع ٥٠٠ مترا على اقل تقدير ثم يرتفع لأكثر من هذا كثيرا عن سطح الأرض ..

واذاً فليس السماء هى الهواء وما فوق الراس كما يقال ، لهذا قال سبحانه عندما ذكر تفصيل خلق السماوات : ((**ثم استوى الى السماء وهى دخان**)) فصلت ١١ ، واستوى اى قصد واتجه وهذا يعنى ان السماء ليست الهواء الذى على الأرض وفوق راس الانسان .. ثم قال سبحانه وتعالى : ((**فقضاهن سبع سماوات**)) فصلت ١٢ . ووصف السماء الأولى اى الدنيا لأنها الأقرب لنا بقوله تعالى : ((**وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا**)) فصلت ١٢ . والمصابيح هى النجوم والكواكب .

واذاً فالسماء الأولى اى السماء الدنيا هى التى بها النجوم والكواكب والقمر والشمس ، وانه سبحانه وتعالى اغلقها على الأرض ببناء محكم وجعل لهذا البناء المحكم « ابوابا » ، فقال تعالى : ((**ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر**)) القمر ١١ ؛ فهى بهذه المثابة تحفظ الأرض وما عليها .

لهذا قال سبحانه وتعالى : ((**الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**)) البقرة ٢٢ والبناء ليس هواء .

الدليل الثالث :

مادام الثابت أن الأرض شبه كرة . أو كروية الشكل . فاذا كان الشيء الذى يحيط بها يقع عليها ولا يذهب لجهة اخرى ، فلاشك ان هذا علميا يعنى أن الأرض مركز ما يحيط بها .

والله الخالق العظيم يقول : ((**ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه ، ان الله بالناس لرءوف رحيم**)) الحج ٦٥ .

فاذا كان الله سبحانه يقرر ان السماء ان وقعت تقع على الأرض ،

اذاً فالأرض مركز السماء . لان الشىء يقع — كسنة الله اى طبقا لقوانين الله فى خلقه — على ما تحته . وما دامت الأرض تحت السماء من كل جانب ، فهى اذاً مركز السماء .

الدليـــل الرابع :

الكعبة البيت الحرام قبلة المؤمنين . عندما يسجد الناس على الأرض فى اتجاه البيت الحـــرام . هــذا واقع مجزوم به . والله سبحانه يقول : **((الم تر ان الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس))** الحج ١٨ .

وما دام ان الأرض هى المسجد — وهى لهذا غير مذكورة فى الآية فيمن يسجد — فان كل من فى الســماوات مثل كل من فى الأرض يسجدون فى اتجاه البيت الحــرام على الأرض . وكذلك الشمس والقمر والنجــوم والجبال والشجر والدواب .

وما دام أن الكل يسجد ناحية الأرض أو على الأرض ومن حولهـــا من كل جانب اتجاه الكعبة .

اذاً فالأرض مركز الجميع .

الدليـــل الخامس :

يقول الخالق العظيم فى بيان تفصــيل خلق الســماوات والأرض : **((قل ائنــكم لتــكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعــل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيهـــا أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم))** فصلت ٩ — ١٢ .

والآيات الكريمة واضحة الدلالة ، فالله الخالق العظيم ذكر انه خلق الأرض أولا فى يومين ثم وضع فيها رواسى (جبال) من فوقها وبارك فيهـــا أقواتها فى يومين آخرين فكان المجموع أربعة أيام سواء للسائلين .

وكانت السماء ما زالت دخانا ، فقصد اليها وقال للسماء وهى دخان وللأرض ائتيــا طوعا أى أطيعانى أنتما الاثنين ـــ الســـماء والأرض ـــ بارادتكما أو أكرهتكما على ذلك ، فأجابتا أى أجاب الاثنان أتينا طائعين . فجعل السماء سبع سماوات ، كل سماء فوق الأخرى ـــ طباقا ـــ وأوحى فى كل سماء ما أمرها به من طاعة وعبادة وزين السماء الدنيا أى السماء الأقرب الى الأرض بنجوم وحفظها من استراق الشياطين بأن جعل لكل منهم شهاب ثابت يحرقه به اذا حاول التصنت على الملأ الأعلى . وذلك تقدير العزيز العليم فى ملكه .

ومن هذا يتبين لنـــا أمرين :

أولا ـــ الآية قاطعة الدلالة على ان الخالق العظيم أمر السماء والأرض بصيغة المثنى أى أن السماء وهى دخان قبل أن يقضيها الله سبعا طباقا ، كلمها الله على أنها واحدة « فقال لها » و « للأرض » على أنهما معا اثنين . فخاطبهما بصيغة المثنى فقال لهما « **ائتيا** » وأجابتا أيضـــا عن نفسيهما بصيغة المثنى « **قالتـــا** » .

ومعنى ذلك أن كل منهما شىء واحد فقط ، الأرض واحدة والسماء واحـــدة .

وما دام الثابت ـــ يقينا ـــ أن السماء ملتفة أى محيطة بالأرض احاطة الســـوار بالمعصم .

اذاً فالأرض مركز الســـماء .

وما دام أن الله سبحانه جعل السماء الواحدة سبعا طباقا . أى واحدة فوق الأخـــرى .

اذاً فالسماوات السبع ـــ كالسماء الدنيا ـــ محيطة بالأرض من كل جانب .

ومن ثم وبالتالى ، فالأرض مركز السماوات السبع .

ثانيـــا ـــ لأن الله سبحانه قال عن السماء قبل أن يقضيها ســـبعا انها « دخان » ؛ ولما كان ذلك بعد تمام خلق الأرض وخلق جبالها وتقدير أقواتهـــا .

فان المعنى أن الأرض هى الأصل ، لأن « الدخان » أيا كان تفسيره ذرات ايدروجين أو المتصاعد من النار أو بخار أو كل أولئك معا ؛ وبالتالى فان الأرض هى التكوين الأول وأصل هذه الأشياء ، فهى النيران الاصلية التى عرفنا تفصيلات خلقها فى الباب السابق وهى المواد الثقيلة عندما كانت السماء « دخان » .

فالأرض بالنسبة للسماء كالنواة من الذرة . والذرة توزن بنواتها . فالوزن الذرى هو وزن ما فى النواة من بروتونات ونيترونات . فالنـواة لأنها هى الأصل فهى ذات الثقل الحقيقى الملحوظ فى الذرة . وما غير النواة فوزنه أقل من أن يكون له أثر فى الوزن الذرى ، لذلك وبالتالى يحسب الوزن الذرى بوزن النواة فى الذرة . وهذا علم فيزيائى مقطوع به .

والأرض كما هو مشـاهد وملموس بجميـع الحواس ، مادة ثقيلة من صخور صلبة ملتبس بها معادن ثقيلة كالحديد والرصاص والنحاس ، كما أن باطنها عبارة عن نيكل سائل وحديد ورصاص ونحاس وزئبق .. الخ وهى لذلك ثقيلة جدا بالدليل المادى الملموس .

وما كان عليه دليل فهو قائم(١) .

---

(١) يقول العلماء عن مثال لأصل النجم الذى كانت منه الأرض (نجم وصل حجمه نحو الف ضعف من أضعاف حجم الشمس ، فبدأ خلال فترة من الزمان نجم فوق براق ، فان ذلك النجم تداعى لسرعة نفاد الأكسجين (!) منه فانهار وانكمش على نفسه حتى بلغ حجما صغيرا جدا لم يزد على حجم الأرض ... وقد قدر بالحساب أن الكثافة عند المركز بلغت حـدا بحيث أن حجم علبة الكبريت العادية تبلغ كتلتها عند مركز النجم المتداعى نحـو الف مليون طن ...) صحيفة ٤٠ من كتاب « قصة السماوات والأرض » للدكتور محمد جمال الدين الفندى والدكتور محمد حسن . ويقول العلماء حاليا ان الأرض من نجم فوق البراق كان قريبا من الشمس تداعى وتطاير وتكونت منه المجموعة الشمسية !! وتطبيقا لهذا فان حجم علبة الكبريت عند مركز الأرض — التى هى من نجم فوق البراق — يكون وزنهـا الف مليـون طن !!. وان كان رأينا نعم الوزن ولا لكيف الخلـق ، ذلك =

أما القول بأن النجوم والشمس وزن أيا منها اكبر بكثير من الأرض ، فهو قول يحتاج الى دليل ، ذلك بأنه قول مبنى على التفكير الظنى « والظن لا يغنى من الحق شيئا » .

والقاعدة أن ما قام عليه دليل فهو صحيح ، وما لم يقم عليه دليل فلا علم لنا به .

لذلك ، فان الأرض — هى بالدليل القائم — اثقل شيء فى الكون ، هى نواة هذه السماوات السبع الطباق ، وبالتالي فهى مركزها . وكل شيء فى السماوات السبع يدور حولها فى فلك كما تدور الشمس ويدور القمر .

فالأرض ، اذاً هى مركز السماوات السبع ، حتى لو قالوا انها بالمشاهدة — والمشاهدة دليل مادى ولكنه قد يكون غير يقينى لأسباب كثيرة — تقع قرب حافة المجرة ، ذلك بأن العلماء رأوا أخيرا بالمناظير الحديثة نجما يقع على بعد ١٨ بليون سنة ضوئية من الأرض فى نفس مجرتنا . وكانوا من سنوات قليلة يقولون ان طول مجرتنا يبلغ مائة سنة ضوئية فقط !!.

لذلك ، فان ما يقوم عليه الدليل المادى اليقينى ، أى الثابت الذى لا يتعارض ولا يتغير ودائم أبدا ، وعلامته أنه يوافق الحقيقة العلمية القرآنية ، فانه يكون هو الصحيح ، وما عداه باطل .

= بأن الأرض ليست من نجم فوق البراق . وانما هى أصل النيران التى فلقها الله سبحانه وبالضغوط الهائلة على معظم هذه النيران تكونت الأرض وكانت هذه المواد الثقيلة جدا فيها وبداخلها ، والاختلاف بين الحقيقة والفكرة السابقة خلاف يبدو فى الترتيب أكثر مما يبدو فى أى أمر آخر ، فالله الخالق العظيم يقول الأرض أولا ، وهذه هي الحقيقة وسبق شرحها .

المبـــحث الثــــــانى

الأرض ثابتة لا تدور حول نفســـها ولا حول الشمس

سبق أن بينا أن العلماء يتخذون من مرور وقت ٢٤ ساعة بين السمت والسمت دليلا على دوران الأرض حول نفسها ، وأيضا تعاقب الليل والنهار .

كما يقولون بأن انبعـــاج محيط الأرض عند خط الاستواء وفلطحة القطبين دليل آخر على دوران الأرض حول نفسها .

وانه ما دامت أن الأرض تدور حول نفســـها ، فانهـــا تدور حول محور لهـــا .

ولما كنا قد سبق لنا دحض هذه الأقوال ، فاننا نتكلم عنها من وجهة النظر الأخرى وهى أنها لا تعتبر دليلا حتى تثبت حقيقة .

فشروق الشمس على الأرض وبالتـــالى فوقت السمت الى السمت ، انما يحدث نتيجة دوران الشمس فى فلكها حول الأرض مثلها فى ذلك مثل دوران القمر حول الأرض وشروقه وغروبه يوميا .

ومن هنا نعلم أن الادعاء بأن تعاقب الليل والنهار على الأرض دليل على أن الأرض تدور حول نفســـها أمام الشمس ، انما هو مجرد ادعاء وغير صحيح ولا سند له من واقع مجزوم به .

ذلك بأن تعاقب الليل والنهار هو مجرد أثر لدوران الشمس — وليس الأرض — شأنه شأن الظل الذى قال عنه ربنا سبحانه وتعالى : ((**وجعلنا الشمس عليه دليلا**)) فالشمس هى الدليل والظل هو الأثر أى الفعـــل المســـند الى الفاعل ، وكذلك تعاقب الليل والنهـــار هو الفعـــل المسند الى دوران الشمس حول الأرض .

ذلك بأن تعاقب الليل والنهـــار ليس فى ذاته علة أى ليس دليـــلا أى ليس سببا لشىء وانما الدليل هو الذى يسبب حدوث الليل والنهـــار أى يسبب حلول الليل ثم من بعده حلول النهـــار .

فالبحث السليم اذاً يكون بمعرفة سبب تعاقب الليـــل والنهار على

نصفى الكرة الأرضية ؛ هل هو دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس أم دوران الشمس حول الأرض دورة كاملة كل ٢٤ ساعة .

ولما كان دوران الأرض حول نفسها — ابتداء — ليس عليه دليل ، فانه لذلك وبالتالى لا يكون حقيقة ولا مقدمة ثابتة .

ولما كان ذلك ، وطبقا للقواعد العامة للتفسير ، فانه لا يلزمنا وليس حجة علينا ، بل وليس لنا به علم ، أى لا يلزمنا حتى مجرد الرد عليــه . لقوله تعالى : **((قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين))** .

لذلك فان قول الرحمن سبحانه : **((والشمس تجرى))** ، وعن الشمس والقمر والنجوم : **((وكل فى فلك يسبحون))** دليــل قرآنى يعنى الحقيقة التى يجب على المؤمن أن يصــل اليهــا بالمقدمات الحقيقية أى الثابتــة والبديهيات .

ولما كانت المقدمة الحقيقية هنا هى « حدوث » الليل والنهار بسبب « شروق » الشمس و « غروبهــا » ، فانه لذلك وبالتالى تكون الشمس هى الدليــل عليــه .

أى « الشروق » و « الغروب » واقع مجزوم به ، والشمس هى الدليل عليه . فهى التى تفعله فيكون بشروقها نهارا ويكون بغروبها ليــلا .

ولما كان « الشروق » و « الغروب » حركة ، فان الشمس هى اذاً التى تتحــرك فتشرق وتغرب أى تطلع من المشرق وتنزل فى المغــرب . كما سبق أن بينا ذلك بالتفصيل .

ومن ثم فالشروق والغروب للشمس ، وليس للأرض فى ذلك أدنى نصيب الا أن يقع عليها ضوء الشمس أو يزول كما يقع الظل أو يقبض .

وثمة أدلة أخرى مادية قادمة لاثبات هذه الحقيقة .

اما القول بانبعاج محيط الأرض عند خط الاستواء وفلطحة القطبين فانه مدفوع سلفا بالبطلان لما سنبينه فى الدليل الرابع وغيره .

الدليـــل الأول : دليل فلكى ورياضى وحسابى .

يقول الفلكيون ، ان الأرض تدور متجهـــة من الغرب الى الشرق . وان القمر على عكسها فيتجه من الشرق الى الغرب (١) .

وبما أن الأرض — حسب زعمهم — تدور حول نفسها بسرعة أكثر من ١٠٠٠ ميل فى الساعة أى أكثر من ١٦٠٩ كم فى الساعة .

وما دام أن الثـــابت ، أن القمـــر يبقى مشرقا على نصف الأرض فى المتوسط حوالى ١٢ ساعة يوميا .

ولما كانت الأرض تدور حـــول محورها (حسب زعمهم) والقمـــر — كحقيقة — يسير فى فلك . والاثنان عكس بعضهما .

فانه يجب أن تكون سرعة القمر ١/٢٤ من سرعة الارض لكى يبقى القمر ١٢ ساعة على وجه نصف الأرض فى كل يوم .

ولما كان الثابت فلكيا ورياضيا أن القمر يجـــرى فى فلك قطره أكبر من قطر محيط الأرض بـ ٤٩٦ ألف كيلومترا تقريبا .

ولما كان الثابت فلكيا وحسابيا أن القمر يجرى فى فلكه بحيث يقطعه كله فى حوالى ٢٤ ساعة و ٥٢ دقيقة (٢) .

فان معنى ذلك أن القمر اسرع فى دورانه حول الأرض لأن فلكه أطول من محيط الأرض .

ولما كان هـــذا هو الثابت .

فان القول بأن الأرض تدور حول نفسها عكس اتجاه سير القمر ، يكون قولا فاسدا رياضيا وحسابيا وفلكيا .

واذا قلنا ان الأرض تدور حول نفســـها من الشرق الى الغرب ، اى نفس اتجاه القمر . فانهـــا ستكون هى والقمر متلازمان فى الجـــرى — لقطعهما كل منهما فلكه فى نفس الوقت — وبالتالى يظـــل القمر بازغا على مكان واحد من الأرض ولا ينير الا هذا المكان منها أبدا .

---

(١) « قواعد الجغرافيا العامة » /١٥ — ٢٠ .

(٢) نفس المرجع السابق /١٤٥ .

ولما كان هـــذا غير واقع ايضا ، فهو فاسد .

ولما كان الثابت يقينا ان القمر يدور حول الأرض فى فلكه ، فانه لذلك وبالتالى تكون الأرض ثابتة .

الدليـــل الثانى : دليـــل مادى :

وهو ثبات الزمن مع نفس السرعة . وهو دليل مادى .

فلو كانت الأرض تدور فعلا متجهة من الغرب الى الشرق ، وبالتالى فمن فى الشرق يكون الغرب قادما اليه . فانه اذا قامت طائرة (لأنهـــا فى الجو وليســـــت فى الأرض) من الشرق الى الغرب وسرعتها نفس سرعة دوران الأرض لقطعت المسافة فى نصف الزمن المحدد ، ذلك بأن كل منهما — الأرض والطائرة — يسير متجها الى الآخر لأنهما يسيران فى اتجـــــاه عكسى وبنفس السرعة . ولا يمكن الادعاء بجاذبية الأرض لتفسير بقاء ثبات الزمن مع المسافة ، ذلك بأن قوة سرعة الطائرة محددة بغض النظر عن الجاذبية المدعى بهـــا .

ولما كان الحاصل غير ذلك ، اى لما كان الواقع المجزوم به فعلا أن الطائرة تقطع المسافة فى الزمن المحدد طبقا لسرعتها .

فان الأرض لا تدور حول نفسها قطعا .

ذلك بأن الزمن محكوم بالمســـافة وسرعة الوســـيلة (الطائرة) لأنه لا وجود اطلاقا لدوران الأرض المزعوم به .

الدليـــل الثالث — دليـــل جغرافى :

حقيقة علمية قرآنية وهى تصريف الرياح

والسحاب المطر على وجه الأرض

ذلك بأن القول بأن الأرض تدور حول نفسها من الغرب الى الشرق بسرعة مذهلة (أضعاف سرعة الصوت) ، كما أن حجم الأرض وما عليها من جبال شاهقة مستعرضة ، كان لابد وأن يجعل جميع الغلاف الجوى — ومعظمه لا يتعدى ٤ ك.م ارتفاعا عن سطح البحر — أى الرياح والسحاب الذى تحمله يدور مع الأرض من الغـــرب الى الشرق مندفعـــا مع الأرض

بسرعتها المذهلة فى نفس اتجاه دورانها من الغرب الى الشرق سواء فى النصف الشمالى او النصف الجنوبى للكرة الارضية . وذلك ليس بفعل دوران الأرض الكبير فقط ولكن بفعل الجبال الشاهقة والتى تكون بمثابة اجنحة تدفع الهواء دفعا قويا ناحية دوران الأرض مثلها مثل المروحة تماما .

ومن ثم كان القول بأن ثمة تصريف للرياح ، يكون على غير أساس ، لأن الرياح تكون محكومة بدوران الأرض واتجاه هذا الدوران ودفع الجبال لها دفعا قويا فى اتجاه دوران الأرض .

ولما كان الواقع المجزوم به فعلا هو وجود اتجاهات للرياح مختلفة من فصل الى آخر ، ومن مكان الى آخر . وما فى شمال الكرة الأرضية غير ما فى جنوبها ، وما هو فى الصيف غير ما هو فى الشتاء . وما فوق الصحراء غير ما فوق الجهات الجبلية (١) .

ولنضرب مثلا بمصر فقط والرياح عليها فى الشتاء شمالية غربية وفى الصيف شمالية شرقية غير ما يهب عليها من الجنوب ويسمى بالرياح الخماسينية طوال فصل الربيع .

فانه لذلك وبالتالى يكون للرياح تصريف قائم بذاته ، بل ان فى علاماته ما يدل على تسخير السحاب المطر والرياح للانسان تسخيرا محكما ، ويقول سبحانه جل جلاله « **ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » البقرة ١٦٤ .

والآية واضحة محكمة ، واذا كان ما يقابل موضوعنا هو قوله تعالى « **وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض** » فان ذلك يعنى

---

(١) كتاب « قواعد الجغرافيا العامة » ١٩٥ — ٢٠٦ .

أن الرياح والسحب مجبرة بتصريف الله وأن هذا من آيات الله ، يرزق بها من يشاء من عباده .

لهذا ، فانه سبحانه يبين ذلك بتفصيل فى سورة الرعد فيقول جـل شأنه وكماله « **هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال. ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال** » الرعد ١٢ ، ١٣ .

والرعد اسم الملك الموكل بسوق السحاب المثقل بالماء ، والآيتـان واضحتان محكمتان فى أن الله سبحانه هو الذى ينشىء السـحاب المثقل بالمياه — وهذا مجاز حقيقى — وأنه وكل بها « الرعد » الذى يسبح بحمده طوال انزال المطر حمدا لله جل شـأنه على رزقه للناس بهذا الماء فيحييهم ويحيى أرضهم وزرعهم وضرعهم .

وهذا كله اذا وبطريقة مادية مشـاهدة ومستمرة ، يبطل أى ادعاء بدوران الأرض . فالآيات الكريمة تقرير للمشاهدة والحادث ماديا ، وبيانا على فساد ما يدعيه البعض من علم وليس عليه دليل ، بل الدليل المـادى ضده ويدحضه من أوله لآخره .

لهذا ، فان الله العلى العظيم يعقب على ذلك بقوله تعالى : « **ولقـد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا** » الفرقان ٥٠ .

وقد يدعى البعض بأن تصريف الرياح يتم نعم بقـوة الله وبالتـالى فلا شأن له بدوران الأرض . وهذا مردود عليه بأنه لو كانت الأرض تدور لدارت معها الرياح لأنها عندئذ تكون محكومة بسنة الله فى الكون . ويقول سبحانه « **فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** » فاطر ٤٣.

الدليـل الرابع — « فقه الدليـل والواقع المادى » :

يقول العلى العظيم « **والأرض بعد ذلك دحاها** » النازعات ٣٠ أى جعلها — بعد خلقها — على الشكل التى هى عليه الآن . وهذا التشكيل للأرض ، قد تم — بلا أدنى ريب — بقوة الله سبحانه التى أخبرنا عن شىء

منها فى قوله تعالى « **والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه** » الزمر ٦٧ .

ذلك بأنه لو أن الأرض اخذت شكلها الحالى نتيجة الدوران السريع المدعى به — وهو الذى يزيد عن سرعة الصوت — وأنه نتيجة هذا الدوران السريع تغلبت قوة الطرد المركزية على الجاذبية المدعاة للأرض فانتفخت القشرة الأرضية — وهى قشرة صخرية يبلغ سمكها فى بعض أجزاء الأرض اكثر من مائة كيلو مترا ، الأمر الذى كان من نتيجته أيضا كأثر للانتفاخ عند خط الاستواء الهبوط والتفلطح عند القطبين .

واذا كان هذا صحيحا وأن دوران الأرض بنفس السرعة الرهيبة مستمرا ، فاننا نتساءل : وما بال العمارات الشاهقة الارتفاع وليس من اساس لها فى الأرض الا مترين أو ثلاث ، وما بال هذه المآذن الرفيعة الشاهقة الارتفاع ، وما بال هذه الأشياء ، وهى لا تقاس فى تماسكها مع الأرض بقشرتها الصلبة ، لا تتطاير فى الجو بفعل قوة الطرد المركزية الناتجة من هذه السرعة الرهيبة التى جعلت قشرة الأرض الصلبة الداخلة فى جسمها مائة كيلومترا تنتفخ وتنبعج على مستوى جسم الأرض كله عند خط الاستواء ؟!

ولأن الاجابة بوجود جاذبية للأرض أقوى من قوة الطرد المركزية ، اجابة غير منتجة ، لأنها لم تكن ذا بال مع القشرة الأرضية السميكة العميقة القوة كما أسلفنا ، فانه لا مندوحة بأن نسلم تماما بعدم وجود دوران للأرض حول نفسها أبدا .

بل ان ثبات هذه الأشياء وعدم حدوث شىء لها ، لهو واقع مجزوم به يدل على ثبات الأرض وعدم دورانها حول نفسها . فثبات الأرض هو الدليل على ثبات هذه الأشياء واستقرارها . وأخرج الامام محمد بن جرير الطبرى بسنده عن ابن عباس قال : وضع الله البيت على اركان الماء على اربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفى عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت « الكعبة » (١) .

---

(١) تفسير الامام ابن كثير ج ١٧٩/١ .

الدليـــل الخامس — دليـــل مادى مشاهد وثابت :

أولا : فالمشاهد عندما يثور اى بركان ، أن يخرج من فوهة البركان الحمم والمعادن المنصهرة على ارتفاعات شاهقة نتيجة قوة دفعها من باطن الأرض . ومع ذلك نجد هذا الحمم والمواد الســائلة تسقط حول فوهــة البركان ، ولو كانت الأرض تدور حول نفسها لسقطت بالقطع بعيدا عــن فوهة البركان بالمسافة التى تقطعها الأرض فى دورانها فى الزمن الواقــع بين ارتفاع المواد المندفعة من فوهة البركان وسقوطها على الأرض .

ولو قلنا ان هذه المدة الزمنية تبلغ ٢/١ دقيقــة فقط ، اذا لوجب أن يسقط حمم البركان على بعد ١٣٫٥ كيلومترا من فوهة البركان لأن سرعة دوران الأرض حول نفسها اكثر من ١٦٠٩ ك.م فى الساعة كما يزعمون .

ولما كان المشاهد أن حمم البركان يســقط بجوار فوهته وعلى بعد أمتار منها ، فان الادعاء بدوران الأرض حول نفسها يكون فاسدا لأن الواقع المجزوم به ينفيه .

ثانيا : نشاهد جميعا الأولاد الصغار والكبار يصنعون طائرات ورقية على شكل مربع أو سداس باتساع نصف متر مربع أو متر مربع من بوص وورق ملون خفيف ثم يربطون هذا الجسم الخفيف جــدا بحبال رقيقة من النايلون أو الدوبار الرفيع ويتركون هذا الجسم الورقى للهواء فيحمله الى أعلى مسافات قد تزيد عن المائة متر — حســـب طول الخيط النايلون أو الدوبارة — وتبقى هذه الطائرات الورقية ثابتة تقريبا فى الجو فوق الأولاد الذين يمسكون بخيطها مع ميل بسيط عنهم نتيجد اصطدام الهواء بهــا ورفعهـــا .

ولو كانت الأرض تدور حو لنفسها بالسرعة المذكورة ، اذا لظهرت هذه الطائرات الورقية خلف الذى يمســك بخيطها لأنه يقف على الأرض اى له قوة ثبات تفوق بمراحل كثيرة قوة ثبات الطائرة الورقية فى اعــلى الجـــو .

لأن مجال الجــذب الكهرومغناطيسى بين الشــخص الذى يمسك

بالخيط والأرض اكبر آلاف أو ملايين المرات من مجال الجذب الكهرومغناطيسى بين الطائرة الورقية والأرض .

ولما كان المشاهد غير ذلك ، فهذا واقع مجزوم به ينفى الادعاء بدوران الأرض حول نفسـها .

الدليـل السادس — دليـل قرآنى :

يقول الخالق العظيم « **والأرض وضعها للأنام** » الرحمن ١٠ ، ومعنى « وضعها » أى أثبتها . قال الجلالين /٤٧٣ أثبتها . وقال ابن كثير جـ٤/ ٢٧٠ ، وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسـيات الشـامخات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة . وجاء بمختـار الصحاح /٧٢٦ : وضع — الموضع المكان والمصدر أيضا . وكل هذا انما يعنى أن الله سبحانه وضع الأرض أى أثبتها فجعلها غير متحركة .

فاذا لاحظنا النسق القرآنى لاسـتعمال كلمة « وضع » وجدنا أن معناها هو تثبيت الشيء الموضـوع فى مكانه فقال تعالى : « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعـالمين** » آل عمران ٩٦ والبيت الحرام الكعبة ثابتة راسخة والناس هم الذين يدورون حولها .. وقوله تعالى « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنـا ما ل هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ؛ ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك احدا** » الكهف ٤٩ والمعنى أن الكتاب أثبت فى مكان والتف المجرمون حوله يقرءون ما فيه وعرفوا أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولو كان الكتاب متحركا ما قرأ أحد شيئا فيه .

ولأن قوله تعالى « **والأرض وضعها للأنام** » دليل عظيم أو هو بالأحرى برهان ، كما أنه عكس قوله تعالى عن الشمس « **والشمس تجرى** » فبذلك يبين ثبات الأرض وجرى الشمس حولها . فانه سـبحانه وتعالى اتى بمقدمتين ثابتتين بينتين حتى يجعل الناس على بصيرة فى اثبات هذا البرهان والوصول اليـه .

فقال سبحانه وتعالى فى **المقدمة الأولى** : « **الم نجعل الأرض مهـادا والجبال أوتادا** » النبأ ٧ . وكلمة أوتادا جمع وتد وهو آلة يستعملها الناس

لتثبيت الخيام وغيرها فتجعلها ثابتة لا تتحرك ، يقول الامامين الجلالين فى تفسيرهما / ٥٢٣ : (ألم نجعل الأرض مهادا) فراشا كالمهد (والجبـال أوتادا) تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد ، والاستفهام للتقرير . أى أن الله ثبت الأرض بالجبال كما نثبت الخيام بالأوتاد فلا تتحرك . وقال الامام ابن كثير فى تفسيره ج٤/٤٦٢ : أى جعل الجبال للأرض أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

وقال سبحانه وتعالى فى **المقدمة الثانية : « أمن جعـل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى »** النمل ٦١ وكل ما ورد بالآية الكريمة شواهد ثابتة يقينية على ثبات الأرض واستقرارها . قال الامام ابن كثير ج ٣ صفحة ٣٧٠ أى قارة ســاكنة ثابتة لا تميد . وقال تعالى **« وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم »** النحل ١٩ . قال الامام ابن كثير ج ٢/٥٦٥ : **ثم ذكر الله تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسى الشامخات الراسيات** لتقر الأرض ولا تميد أى تضطرب بما عليها من الحيوانات . وأخرج الامام ابن جرير الطبرى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : لما خلق الله الأرض فمضت وقالت أى رب تجعـــل على بنى آدم يعملون الخطايا ويجعلون على الخبث ؟ قال فأرسى الله فيهـا من الجبـال ما ترون وما لا ترون فكان اقرارها كاللحم يترجرج ، وقال الامامين الجلالين صفحة ٣٣٩ جبالا أثبت بها الأرض .

وواضح من هذا كله أن تثبيت الأرض هكذا يتناقض ويتعارض مـع القول بدورانها حول محورها لأن الدوران حركة شـــديدة وله قوة طرد مركزية أى القاء ما على الأرض الى خارجها .

هذا ؛ واذا قيل ان معنى ثبات الأرض أنها ثابتة بمن عليها مثل الطائرة تجرى ومن فيها ثابت . فاننا نرد على ذلك بأمرين :

الأول : اذا قلنا بأن الأرض مثل الطائرة كلاهما يجرى ومن عليهمـا ثابت ؛ أى أن (الأرض تجرى) مشبه و (الطائرة تجرى) مشبه به و (مثل) أداة تشبيه و (من عليهما ثابت) وجه شبه . فان القاعـدة البلاغية أن التشبيه أسلوب بلاغى يرد لاثبات وجه شبه بين شيئين مختلفين . ووجه

الشـــــبه هنا هو ثبات الناس على الأرض وفى الطائرة مع حركة الأرض وحركة الطائرة . واذا فالقول افترض فرضا هو أن الأرض تجرى كمـــا تجرى الطائرة . والفرض لا يصلح مقدمة لدليل لأنه ظنى ويقول ربنا العلى الحكيم « **ان الظن لا يغنى من الحق شيئا** » يونس ٣٦ ويبين الرســـــول صلى الله عليه وسلم معنى ذلك بقوله (الظن أكذب الحديث) .

ومن ثم فالتشبيه فاسد .

الثانى : اذا قلنا اننا نقيس الأرض ومن عليها بالطائرة ومن عليها ، وأن القياس الصحيح برهان كما قال الشيخ الرئيس ابن سينا (١) .

قلنا ان (القياس معناه فى اللغة العربية أنه التقدير للشىء بما يماثله فيطلق على التسوية . لأن تقدير الشىء بما يماثله تســـوية بينهما ، ومنه فلان لا يقاس بفلان أى لا يسوى به) (٢) . ولما كانت الأرض وما عليهـــا من بشر ومخلوقات وبحــــار ومحيطات وجبال وزوابع وحرائق لا تماثل الطائرة وما بها ، وجدنا أنه يستحيل التسوية بينهما .

هذا من ناحية اللغة .

أما اذا تفكرنا فى القياس بمعناه الأصـــــولى الفقهى لوجدنا أنه غير متوافر أصلا حتى يمكن البحث عن علة جامعة بين الأرض والطائرة .

ومن ثم فلا يقاس بين الأرض والطائرة .

وبذلك يكون القول السالف بيانه هو مجرد رؤية خيالية .

الدليـــل السابع — دليـــل قرآنى :

يقول الخالق العظيم الذى خلق كل شىء ويعلم كل شىء « **ما فرطنـــا فى الكتاب من شىء** » .

وقد ذكر العلى العظيم كل شىء عن جرى الشمس ودوران القمر وأن لكل منهما فلك خاص به وكذلك النجوم . وبينا أن الليل أو النهـــار ليس

---

(١) يرى بعض العلماء أن الحكم الثابت بالقياس ظنى لأنه بنى علـــى مراحل وخطوات كلها ظنية (أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة) .

(٢) « علم أصول الفقه » للشيخ عبد الوهاب خلاف /٥٣ .

جرما حتى يكون لهما فلك وانما هما أثر للشمس مثل الظل . وبالتالى فان القول بأن كل شىء يسبح فى فلك مع اغفال ذكر الأرض . فانما يدل على أن الأرض ليس لها فلك وبالتالى لا تدور حول نفسها ولا حول الشمس ، ولهذا ذكر العلى العظيم أنها ثابتة . فلم يقرر أن الأرض « تجرى » وانما قرر أنه سبحانه « وضعها » أى ثبتها .

ولو كانت الأرض تدور فى فلك حول الشمس بسرعة أكثر من تسعة اضعاف سرعة الصوت لذكر سبحانه الذى خلقها أنها تجرى أو تدور أو اى شىء يفيد حركتها . ولكنه ذكر أنه « وضعها » .

اذآ فالله جل شانه الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها والذى وسع علمه كل شىء ، قرر عن الأرض أنه « وضعها » وأنه « دحاها » وانه « **جعل فيها رواس من فوقها** » ولو كانت تجرى لذكر سبحانه أنها تجرى . من منطلق تحقيق قوله جل شانه « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » وقوله سبحانه « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » النحل ٨٩ .

وما دام ان الله سبحانه ذكر مواقع النجوم وأنها فى فلك حول الأرض وكذلك الشمس والقمر ، فانه سبحانه منزه عن اى نقص فهو سبحانه لم ينس شيئا عن الأرض او اى شىء آخر حتى ينسى أنها تجرى حول الشمس أو حول نفسها ، فالله سبحانه « **هو الله الخالق البارىء المصور** » الحشر ٢٤ .

فسبحانه وتعالى عما يصفون .

فضلا عن أنه لو قيل ان الشمس تجرى فى فلك وكذلك الأرض ، لأدى هذا الى تعارض بينهما ، وبالتالى اخلال بالنظام الكونى ، ومن ثم فهو باطل .

الدليل الثامن — دليل حسى :

فعندما تكون راكبا فى قطار ، ويقف بجواره قطار آخر فى اتجاه مخالف للقطار الذي انت فيه ، فانه عندما يسير هذا القطار الآخر ، يهيىء

اليك أن القطار الذى انت فيه هو الذى يســـير ؛ حتى اذا ما انتهى مرور القطار الذى يسير فعلا تبين لك أن القطار الذى أنت فيه ما زال واقفـــا لم يتحرك .

وهذا يثبت خداع الحس عند حركة جرمين متخالفين فى الاتجاه .

ورواد الفضاء عندما صعدوا فى أعالى الغلاف الجوى كانوا يطيرون حول الأرض أى فى فلك مستدير حول الأرض ، وصـــوروا الأرض حولها بسرعتهم المذهلة ؛ وبالتالى كان خداع الحس لديهم فى أن الأرض تدور . والحقيقة أن الأرض ثابتة وهم الذين كانوا يدورون حولها .

ولأنهم يدورون حول الأرض وبيدهم عدسات التصوير فلابد أن تظهر صورة الأرض تبعا لحركة دوران المصـــورين ؛ لأن البديهية أى اليقين أن الشىء لا يبدو متحركا الا بالنسبة لشىء ثابت ؛ وبالتالى تظهر الأرض وكأنها تدور حول نفسها فى حين أنالحقيقة هى أن رواد الفضـــــاء الذين بيدهم عدسات التصوير هم الذين يدورون حولها .

ولكن اذا أراد احد ان يصور الأرض صورة تبين حقيقة موقفهـــا ، فان ذلك يتطلب ممن يكون بيده عدســـــة التصوير أن يكون فى موقف ثابت تماما أمام الأرض . وهذا أمر لم يحدث .

ولو كانت تدور لحدث اما ملازمة رواد الفضــــــاء لنقطة واحدة فى الأرض اذا كانوا يطيرون دائريا حول الأرض بنفس سرعة الأرض المدعى بها وفى اتجـــــاه دورانها . واما أن يتأخروا عنها ان كانت سرعتهم أقل . ولكن الذى حدث أنهم كانوا يدورون حول الأرض ويعدون دورانهم . واذا فالأرض لا تدور . انما خداع الحس هو الذى أوهمهم أنهـــــا تدور على ما سبق بيانه . وقد سبق لألكسندر فون همبولت ملاحظة هذا الخداع كما سيأتى بعد .

الدليـــل التاسع — دليـــل مادى جيولوجى :

ثابت علميا من العلوم الجيولوجية والقياسات العلمية للأحجار ، أن الأرض مر عليها عصور أو حقب كبيرة جدا تقدر بآلاف الملايين من السنين.

(الحقب الأركى ٢٠ مليون قرنا وحقب الحياة القديمة ٥ مليون قرنا، العصر الأردوفيشى والسيلورى والديفونى والكربونى وحقب الحياة الوسطى) وحقب الحياة الوسطى ١ر٣٥ مليون قرنا (وهو عصر الجليد والترياس والجوارسى والطباشيرى) وحقب الحياة الحديثة وهو حوالى مليون قرنا (وهو عصر الأيوبيين الذى سبقه عصر شديد البرودة ثم عصر الأليجوسين والميوسين والبليوسين ثم عصور الجليد الأخيرة منذ ما يقرب من ٣٠ الف سنة ثم العصر الحديث) .

وواضح من تسلسل العصور التى ثبتت من الحفريات بكل أنحاء الكرة الأرضية ؛ أن الأرض جاء عليها ثلاث عصور كان البرد فيها شديدا ثم جليدا غشيها بأكملها قبل حقب الحياة الوسطى ، ثم برودة شديدة فى أول حقب الحياة الحديثة ، ثم عصر جليدى غمر الأرض كلها مرة ثانية من قبل ٣٠ ألف سنة من الآن فقط .

وهذا الدليل المادى يدل على أن الأرض لا تدور حول الشمس .

أولا : لأنها لو كانت تدور حول الشمس ، اذا لكانت ذات مناخ واحد لأنها تدور فى فلك مشدود بجاذبية الشمس ومحكوم بقوة الطرد المركزية لدوران الأرض حول نفسها .

ولما كان ذلك لم يحدث ، فانه باطل .

ثانيا : ولأن الادعاء بدوران الأرض حول الشمس اعمالا لجاذبية الشمس ، يفرض ثبات المسافة بين الأرض والشمس رغما عن الأرض . لأن الأرض محكومة بجاذبية الشمس . اذا لكان المناخ واحد منذ خلق الله الشمس والأرض .

ولما كان ذلك لم يحدث ، فانه باطل .

ولكن الذى يعلل بحق **عدم** ثبات المناخ على الأرض اى يعلل تغير مناخ الأرض ؛ هو أن الشمس تجرى فى فلكها حول الأرض ، فطالما كان البعد بينها وبين الأرض كما هو الآن ، يكون المناخ كما هو مشاهد حاليا ومعروف ، أى معتدلا فى جملته .

فاذا اتسع الفلك ، نقصت درجة الحرارة وغمر الأرض الجليد ، فاذا ضاق الفلك عاد الجليد الى أطراف الأرض .

واذا تيقنا من الثورات التطورية للحياة على الأرض ، وجدنا أنها كانت تهيىء للانسان فرص الظهور فى أول انحسار للعصر الجليدى الأول ثم هيأت للانسان فرصة التربع على عرش الحياة بعد انحسار العصر الجليدى الأخير (١) .

هى حكمة الله فى خلقه وفى تسخيره الشمس للأرض وللانسان على الأرض ، يبعدها عن الأرض وقتما يشاء ويقربها منها وقتما يشاء . ثم يوقف حركتها ويجمعها مع القمر فى اليوم الآخر : قال تعالى « **وجمع الشمس والقمر** » القيامة .

الدليل العاشر :

سبق أن بينا الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت بصحيح البخارى عن حركة الشمس اليومية فهى تشرق ثم تغرب فتسجد تحت العرش فيؤذن لها فتعود فتشرق وهكذا . ومعنى ذلك بوضوح تام أن الشمس تدور يوميا حول الأرض . وما دام ذلك ، اذا فالشمس هى التى تسبب وجود النهار عند شروقها وهى التى تسبب الليل عند غروبها . ومن ثم فتعاقب الليل والنهار يكون بسبب دوران الشمس حول الأرض . وهذا هو الذى يتفق تماما مع فقه الدليل .

لهذا وبالتالى يكون ما قاله علماء الفلك من أن تعاقب الليل والنهار على الأرض دليل على دورانها حول نفسها أمام الشمس غير صحيح وفاسد كما سبق أن بينا .

ومن هذا يثبت بجلاء أن الأرض لا تدور حول نفسها ومن ثم فهى ثابتة .

---

(١) كتاب « الجيولوجيا » للدكتور حسن باشا صادق / ١٦٢ — ٢١١ وكتاب « قصة السماوات والأرض » / ٧٦ — ١١٤ .

الدليـــل الحادى عشر :

ذكر القرآن العظيم ان الشمس تجرى ، ولكنه لم يذكر كيف تجرى ، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف بتفسير ما أبهم وتفصيل ما أجمل تحقيقا لقوله تعالى « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » النحل ٤٤ ، فانه صلى الله عليه وسلم بين ذلك فى الأحاديث الشريفة التى سبق بيانهـــا .

اما الأرض ؛ فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم حديثا بشـــأنها يبين أن فيها حركة ولكنه قال : (ان أرض الله كلها مسجد) . والمســـجد ثابت .

واذا عرفنا أن القرآن الكريم ذكر أن الأرض الله « وضعها » أى ثبتها كما جاء فى مختار الصحاح فى معنى هذه الكلمة ؛ وكما جاء هذا المعنى فى النسق القرآنى لمعنى كلمة « وضع » فى قوله تعالى : « **ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين** » آل عمران ٩٦ . والبيت الحرام ثابت والناس تطوف أى تدور حوله تحية له وتطوف حوله حجا وعمرة . ويلتف المسلمون حوله فى صلاتهم لله جل شأنه . وقوله تعالى : « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما ل هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصـــاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا** » الكهف ٤٩ ، وواضح أن معنى « ووضـــع الكتاب » أى ثبت الكتاب فى مكان يراه فيه كل المجرمين ويستطيعون أن يقـــرؤه ، ولو كان الكتاب غير ثابت ما استطاع المجرمون قراءته ولا علموا شيئا مما فيه ، لأن مقتضى النظر فيه ومعرفة ما به ثباته للناظرين .

لذلك ؛ ولأن قول العلى الحكيم عن الأرض أنها ثابتة فى قوله تعالى : « **والأرض وضعها للأنام** » قول واضح بين ؛ فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدل بحديث فيه لأن الأمر لا يحتاج الى بيان ، لذلك لم يرد بالسنة النبوية المطهرة أحاديث فى هذا الشأن . وما كان أجدر الأرض بالأحاديث لو أنها كانت تدور أو تســــير فى فلك لعدم ذكر شىء عن ذلك فى القرآن الكريم .

الفصل الرابع

تفسير الظواهر الفلكية والطبيعية والجغرافية

المبحث الأول

دحى الأرض

خلق الله سبحانه الأرض وجعلها ثابتة :

« **الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء** » غافر ٦٤ .

« **أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا** » النمل ٦١ .

وقرارا أى يستقر عليها فلا تميد بهم أى لا تضطرب بهم .

وجعل الله سبحانه الأرض بعد ذلك مهدا :

« **الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا** » طه ٥٣ .

وجعل الله سبحانه الأرض بعد ذلك فراشا :

« **الذى جعل لكم الأرض فراشا** » البقرة ٢٢ .

وفراشا أى مهادا وقرارا .

وخلقها الله سبحانه هكذا حتى يأتى أمره فترج رجا ، فقال تعالى عن يوم القيامة :

« **اذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا** » الواقعة ٤ — ٦ .

« **فاذا هى تمور** » الملك ١٦ . تتحرك بالمخلوقات وترتفع فوقهم ، وتزلزل وتخرج أثقالها « **اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها** » الزلزلة ١ ، ٢ .

والحال تلك للأرض يوم القيامة فقط دليل بالمفهوم العكسى على ثباتها الى ما قبله ، أى ثباتها فى هذه الحياة الدنيا . وهو الأمر المشاهد حقا .

ولأن الأرض هكذا ثابتة ، والثبات عكس الحركة بأنواعها ، فهى من ثم لا تدور وبالتالى ليس لها محور كما يدعى فليس لها لذلك ميل ذات

اليمين أو ذات الشمال . وليس ثمة صلة بين هذا وبين اختلاف طول الليل والنهار والفصول الأربعة كما سنرى .

لذلك فان الادعاء بوجود قوة طرد مركزية للأرض ، هو فى الحقيقة والواقع ، ادعاء ظنى ، وقد ثبت أنه محض خيال ..

ومن هنا ، فان معرفة سبب فلطحة القطبين (الشمالى والجنوبى) وانبعاج جسم الأرض عند خط الاستواء ، يجب أن يحمل على حقيقته القرآنية لأنها قول خالق الأرض ، فيقول سبحانه وتعالى **« والأرض بعد ذلك دحاها »** النازعات ٣٠ أى (بسطها كما يقول الامامين الجلالين / ٥٢٦) . (ويقول الامام ابن كثير فى تفسيره ج ٤٦٨/٤ ان الله فسر « دحاها » بقوله تعالى : **« أخرج منها ماءها ومرعاها »** وأن الأرض وان خلقت قبل خلق السماء فقد دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره الامام ابن جرير الطبرى . وأخرج عن ابن عباس بسنده قال « دحاها » ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام) . ولذلك يقول ربنا سبحانه **« والأرض بعد ذلك دحاها »** فيخبر عن هذا بقوله تعالى : **« أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لكم ولأنعامكم »** النازعات ٣١ — ٣٣ .

وتحقيقا علميا لهذا يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه الشفاء ... عن الجبال : « الغالب أنها تكونت من طين لزج ، جف على طول الزمان ، فتحجر فى مدد لا تضبط فيشبه أن تكون هذه المعمورة ، قد كانت فى سالف الأيام غير معمورة ، بل مغمورة فى البحار ، اما بعد الانكشاف قليلا قليلا ، فى مدد لا تفى التأريخات بحفظ أطرافها ، واما تحت المياه لشدة الحرارة ، والمحتقنة تحت البحر ، والأولى أن يكون بعد الانكشاف ، وأن تكون طينتها تعينها على التحجر ، اذ تكون طينتها لزجة ، ولهذا ما يوجد فى كثير من الأحجار اذا كسرت أجزاء من الحيوانات المائية

كالأصـــداف وغـــيرها ، ولا يبعـــد أن تكون القوى المعدنيـــة قد تكونت هنـــاك » (١) .

ويؤيد هذه الحقيقة قوله تعـــالى فى تفصـــيل بيـــان خلق الأرض : « **جعل فيها رواسى من فوقها** » فصلت ١٠ ، أى أن الرواسى أى الجبال كانت « فيها » أى فى داخل الأرض ثم بعد ذلك جعـــل لها ظهورا فوقهـــا **وبعضـــها ظل فى داخل الأرض لأن « من » تفيد التبعيض ، لهذا وصـــف** العلى العظيم الجبال بأنها « **أوتادا** » أى على الأرض وداخلة فى الأرض .

ويقول العلماء المحدثون تفسيرا لقوله تعالى : « **والأرض بعـــد ذلك دحاها** » أى جعلها على شكل الدحيـــة أى البيضة . وقد أثبتت التجارب العلمية لنيوتن وغيره أن الأرض على هذا الشكل ثم أخيرا سجلته الصور الفوتوغرافية .

وهـــذا القول لا يتعارض مع القول السابق ، بل انه يبين بعـــدا حقيقيا لمعنى « دحاها » ؛ فدحى الأرض بأن جعلهـــا على شـــكل البيضة وهى بهذا الدحى قد أخرجت ماءها الذى أنبت مرعاها ، كما أبرزت الجبال من داخلها فجعلها رواسى فوق الأرض أن تميد بالخلائق . وجعل قطبيها الشـــمالى والجنـــوبى مفلطحين وبذلك هيأ قاعدة فسيحة لجبـــال الجليد **حتى لا تنزلق الى ما تحتهـــا ؛ لأنه لو لم يكن القطبين مفلطحين لتزحلقت** الجبـــال الجليدية الى ما تحتهـــا فغمرت كلا من أوروبا وآســـيا وأمريكا حتى وسطها ولاقتربت فى الجنوب من أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، ولصغرت المساحة المعدة لحيـــاة البشر ، ولانخفضت درجة الحرارة على الأرض وأصبح مناخها غير ملائم فى أكثر أرجائها للحياة ، ولأثر ذلك تأثيرا عكسيا على الانسان واستعماره فى الأرض الذى هو سبب وجوده فى الأرض .

ولذلك فان انبعاج الأرض عند خط الاستواء انما كان لفلطحة القطبين ، لذلك قال ابن عباس : ان الله دحى الأرض من تحت الكعبـــة ، والكعبة هى مركز الأرض .

---

(١) « الشفاء » لابن سينا — تراث الانسانية — المجلد الثانى /٢٥٨ .

لذلك كان دحيها من مركزها فأحدث هذا الانبعاج فى وسطها لفلطحة تطبيهـــا .

ولاشك أن الجبال انما جاءت مرتبـــة فى مواضعها وكذلك الأنهـــار شقت فى مجاريها ترتيبا على هذا الدحى بل وغير ذلك من جغرانية هـــذه الأرض بكل ما تسع العلوم المختلفة من معانى لمظاهر الوجود فى الأرض وتكييف مناخها والحيـــاة عليها مع دوران الشمس من حولهـــا فى أفلاكها المتعـــددة .

المبحث الثانى

لا توجد — بالمعنى الدقيق — جاذبية للأرض ولا للشمس ولا للقمر

اثبتنا من قبل أن الشمس تدور حول الأرض فى فلك قطره أكثر من ٣٠٠ مليون كيلومترا وان الأرض مركزه . وان القمر يدور فى فلك قطره ٤٩٦ كيلومترا تقريبا + طول قطر الأرض وان الأرض مركزه .

ولو كانت للشمس جاذبية — كما يقول الفلكيون والطبيعيون والجغرافيون — قدر جاذبية الأرض ملايين المرات لجذبت اليها القمر ، ولا عبرة هنا لجاذبية الأرض بجوار جاذبية الشمس التى تجذب الكواكب كلها على ابعاد فلكية هائلة !! لأن حجم الشمس ١/١٢ مليون مرة قدر حجم الأرض ...

ولكن لأنه ليس للشمس جاذبية فهى تدور جريا حول الأرض تسخيرا لها من خالقها العظيم .

وكذلك القمر ، يدور حول الأرض لأن الله سبحانه سخره كذلك .

فجعل الله جل شأنه كلا من الشمس والقمر « **فى فلك يسبحون** » حول الأرض .

فكل أدلة دوران الشمس حول الأرض وكذلك ادلة ثبات الأرض هى أدلة على عدم وجود جاذبية للشمس على الأرض .

وثمة ادلة أخرى :

الدليل الأول :

دليل الدوران . وهو حركة مادية مشاهدة :

الثابت — بغير خلاف مع أحد — ان القمر يدور فى فلك حول الأرض . فهذه الحركة الدائرية اذاً مقدمة ثابتة وحقيقة يقينية .

والثابت كذلك — بغير خلاف مع أحد — أن القمر يجرى فى دورانه من الشرق الي الغرب ، لأنه يبزغ من ناحية الشرق ويغيب في ناحية

الغرب . فهذه الحركة التى تبين اتجاه جرى القمر فى دورانه ، شىء ثابت وحقيقة يقينية .

والثابت ماديا أن مجال الجــذب الكهرومغناطيسى يكون بين طرفين يسيران فى نفس الاتجاه .

وهذه مسلمة حقيقية يقينية أيضا .

ولما كان العلماء يقولون بأن الأرض تدور حول نفسها متجهة من الغرب الى الشرق ؛ أى عكس اتجاه حركة القمر .

اذاً ، وطبقا للثابت ماديا فى شأن مجال الجــذب الكهرومغناطيسى ؛ لن يوجد بينهما مجال جــذب كهرومغناطيسى بسبب جرى كل من الأرض والقمر فى اتجاه مخالف للآخر .

ولما كان هذا غير حاصل ، كما سنبين بعد ، فهو باطل .

وظاهر ان ســبب بطلانه هو مقولة دوران الأرض حول نفســها فى اتجاه مخالف لاتجاه القمر فى جريه حول الأرض .

واذا قلنا ان الأرض هى بذاتها وما فيهــا من قوة جاذبية هى التى تجــذب القمر .

فان هــذا الفرض (وهــو ظن ، ولكنه قولهم) يتطلب التســليم بأن الأرض كالمغناطيس ولها قطبين (وهذه مسلمة ظنية كذلك) ومن ثم كان يجب أن ينجذب القمر الى أحد هذين القطبين — طبقا لقانون الجاذبية وهو صحيح حسبما سبق بيانه — وبالتــالى يدور القمر مع قطب الأرض المنجذب اليه ، أى حسب وتبعا لدوران الأرض — المدعى به — من الغرب الى الشرق .

ولما كان هذا غير حاصل لان القمر يدور من الشرق الى الغرب ؛ والجميع بغير خلاف على هذه الحقيقة اليقينية .

اذاً فالقول بوجود جاذبية للأرض تجذب القمر هو قول باطل .

الدليـــل الثـــــانى : دليـــل المغناطيسية :

اولا — الثابت أن المغناطيس له قطبـــان . فهـــذه المقدمة الأولى حقيقية يقينية ، والثابت كذلك بالتجربة والمشاهدة عملا أن الأقطاب المتضادة تتجاذب والأقطاب المتشابهة تتنافر . وهـــذه المقدمة الثانية ثابتة وحقيقة يقينية .

ولما كان العلماء يقولون بأن للأرض وحدها قوة جاذبية ، فلابد اذاً أن يكون لهـــا قطبين .

ولما كان العلماء يقولون ايضا بأن للقمر وحده قوة جاذبية ، فلابد اذاً أن يكون له قطبين .

وطبقا للمقدمتين الأولى والثانية ، لابد أن ينجذب القمر من أحد قطبيه الى الأرض — باعتبار الأرض الأقوى جذبا لانها الاكبر حجما — أى الى قطبها المتضاد له .

واذا قلنا بأن دوران القمر فى فلك يجعل له قوة طرد مركزية تمنعه من الالتصـــــاق بالأرض ، لأن الدوران فى فلك ينشىء قوة طرد مركزية ، وان هـــذه حقيقة يقينية .

قلنا ، أخذاً بهذه المسلمة اليقينية ، انه كان لابد أن يكون انجـــذاب القمر الى الأرض متقابلا بين قطبيهما المتضادين .

ولما كان العلماء يقولون بوجود قطب شـــــمالى للأرض على الأقـــل غير الجنوبى ، فكان لابد . والأمر كذلك ، ، وتمشيا مع قولهم ، أن يكون القمر منجذبا أمام القطب الشمالى للأرض .

ولما كان هـــذا غير حاصل .

اذاً فالقول بوجود قوة جذب ذاتية للأرض قول باطل .

ثانيـــا — لما كان الواقع المجزوم به هو شروق القمر وغروبه فى فلك متعامد على خط استواء الأرض . أى أن القمر يجرى فى فلك فوق خط اســـتواء الأرض . فان ذلك يدحض القول بوجود قطب مغناطيسى فى شمال الأرض أو فى جنوبها ؛ حسبما بينا من قبل .

وهذا يثبت ان الأرض ليست مغناطيسا بذاتها أى ليس لها قوة جذب ذاتية خاصة بها وحدها .

وانما يعنى أن القمر مسخر للدوران حول الأرض بحالته التى خلقه الله عليها بقدرته وحكمته وتدبيره سبحانه وتعالى لينير ظلمات الليل ومواقيت للناس : « **يسالونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج** » البقرة ١٨٩ .

الدليـــل الثـــالث :

دليل مادى ومنطقى : ما الذى يمسك الشمس ؟

أولا — لو تمشينا مع قانون الجاذبية العام ونظرية النسبية لانشتين ، من أن الشمس تجذب الأرض وباقى المجموعة الشمسية ، والأرض تجذب القمر . للزم لنا أن نسأل : ما الذى يجذب الشمس أو يمسكها وما الذى يجذب بقية النجوم أو على الأقل البروج منها ، واذا قلنـــا نجوم البروج تمسك الشمس وبالتالى الأرض . فما الذى يجـــذب البروج أو يمسكها واذا قلنا المجرة ، فما الذى يمسك المجرة ؟! اى بمعنى آخر ما الذى يمسك السماوات وما فيها من أرض ؟.

ولأننـــا لا نعـــرف قانونا لذلك ولا يمكن أن نعرف — مهما قالوا — لأننا من منطق الاستحالة المادية ، ذلك بأننا داخل هذه السماوات السبع الطباق فعلا ولا نستطيع أن نتجاوزها اطلاقا . فلذلك وبالتـــالى نصـــل الى القول بأن لا شيء يمسك كل السماوات وما فيهـــا من ارض وشمس وقمر ونجـــوم .

ولما كان هذا ظاهر الفســاد . فضلا عما قدمنا من ادلة تثبت فسادها كذلك .

فانه لا سبيل الا العزوف تماما عن هـــذه المعلومات الظنية والتى تتعارض مع المشاهد المادى للأجرام فى السماء وللأرض فى وسط السماوات.

ثانيـــا — ولما كان الثابت ماديا أن « **السماوات بغير عمد ترونهـــا** » الرعـــد ٢ .

ولما كان الثابت أن السماوات تحوى النجوم والشمس والقمر ويتوسطها الأرض .

اذاً فان الخالق العظيم الذى خلقها هو الذى يمسكها ، لذلك قال جل جلاله : « **ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه** » الحج ٦٥ ، « **ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا** » فاطر ٤١ .

اى يمسك النجوم ان تقع على الأرض ، لأن النجوم من محتويات السماء .

ويمسك الشمس ان تقع على الأرض ، لأن الشمس من محتويات السماء .

ويمسك القمر أن يقع على الأرض ، لأن القمر من محتويات السماء .

ومن ثم ، يبوء القول : ان لكل من هذه قوة جاذبية ؛ بالفساد .

الدليل الرابع :

دليل النجم الهائل الحجم :

افادت الأنباء العالمية ، كما هو منشور بجريدة الأهرام « المصرية » يوم ١٩٨٢/٤/٣ بالصحيفة ٣ أن علماء الفلك شاهدوا بالمناظير المكبرة الحديثة نجما هائلا يقدر حجمه بمليار شمس ويبعد عن الأرض ١٨ مليار سنة ضوئية ؛ وقال النبأ ان العلماء قالوا بعد وجود هذا النجم الهائل الحجم فى هذا البعد السحيق ان ذلك يلغى نظرية انشتين فى الجاذبية والنسبية ، ويقلب علم الفلك رأسا على عقب .

ولأن « العلم » حتى يكون كذلك يجب أن يكون عن واقع مجزوم به وعليه دليل . فان علم الفلك الموجود والذى أسس عليه قانون الجاذبية العام ، ونظرية النسبية ، ليس علما بالمعنى الصحيح للعلم ، لأنه بنى على مشاهدات غير كاملة الحدود ، وغير معلوم لها صورة حقيقية شاملة وكاملة الأقطار حتى هذه اللحظة .

ومن ثم ، ولأن ما بنى على غير الصحيح ، فهو غير صحيح .

فان المقولات المؤسسة على المعلومات الفلكية الغير الكاملة ، تكون مجرد معلومات ظنية ، ومن هذه المعلومات الظنية لا يمكن ، قطعا ، وضع قانون عام لأى من اجرام السماوات والأرض .

وذلك واضح اشد الوضوح ، من التطبيق النظرى لهذه الأفكار ، فلو ان الشمس تجذب الأرض لجذبت النجوم الأكبر النجوم الأصغر منها وهكذا حتى يصير الكل فى واحد .

ولكن المشاهد ان كل نجم مستقل بذاته الى ان يأذن الله فيه بأمر .

ولما كان المشاهد هو الحق .

لأن المشاهد هو الواقع المجزوم به ومن ثم هو اليقين .

فان كل ما بنى على غيره يقع باطلا ولا قيمة له .

وان الاكتشاف الحديث لذلك النجم الرهيب الحجم ، ولأن مشاهدته يقين مادى بالرؤية ، فانه مقدمة ثابتة للتدليل على الواقع المجزوم به ، فان هذا النجم الهائل الحجم — لو كان لكل نجم جاذبية ، اذاً لكانت جاذبية هذا النجم قدر جاذبية الشمس مليار مرة ، وبالتالى لجذب هذا النجم النجوم الأقرب فالأقرب حتى ابتلع جميع نجوم السماء .

ولما كان هذا غير حادث . فان الادعاء بوجود جاذبية مستقلة لكل جرم فى السماء يكون قولا مجافيا للواقع المجزوم به ، ومن ثم يثبت عكسه باعتباره الواقع المجزوم به وهو عدم وجود جاذبية خاصة بكل جرم سماوى سواء كانت الأرض أو الشمس أو النجوم . وتكون حركة كل جرم انما حركة مقدرة له بالقدرة الالهية وسنته سبحانه وتعالى فيه وهو تسخيرها الكامل للانسان على الأرض تحقيقا للحقيقة القرآنية : « **وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه ؛ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية ١٣ .

الدليل الخامس :

« ... **وبالنجم هم يهتدون** » النحل ١٦ .

اذا وضعت أمامك بوصلة ، فانها تشير الى ناحية الشمال ،

واذا وضعت البوصلة فى اى مكان على وجه الأرض فانهـا تشـير الى الشمال . فاذا وضعت البوصلة أمام القطب الجنـوبى للكرة الأرضية ، فانها أيضا تشير بابرتها المغناطيسية الى ناحية الشمال !.

وكأن البوصلة نجما قطبيا موجود بين أيدى الناس ، فأينما تولوا فثم فى السماء النجم القطبى يشير الى الشمال .

ويقول علماء الطبيعـة ان ذلك حادث لوجـود القطب المغناطيسى الشمالى للأرض فى القطب الشمالى !!.

فاذا كان ذلك صحيحا ، فلماذا لا تشير البوصلة الى القطب الجنوبى عندما تكون بالقرب منه ؟!.

الاجابة الحتمية البديهية — مهما كانت التعلات — هى لعدم وجود قطب مغناطيسى فى جنوب الكرة الأرضية .

وما دام لا يوجد مغناطيس له طرفين . اذاً لا يوجد أصلا مغناطيس . لذلك وبالتالى فان الأرض بذاتها تكون خالية من قوة جاذبية خاصة بها .

وقال العالم الكبير الكسندر فون همبولت : ان توزيع المغناطيسية الأرضية توزيع شـاذ ليس له قاعـدة !! حتى انه أسماها « العواصف المغناطيسية » .

وهمبولت يأتى بحقيقة هامة جـدا فى دراسة « الطبيعـة » فيقول ان هذا العلم يدرس بوجهتى نظر مختلفتين : **الأولى :** النظرة الواقعيـة وهى العالم الحقيقى ، **والثانية :** رد فعل للعـالم الحقيقى على حواس الانسان وشعوره وخياله ينتج عنه العالم المثالى .. ووصف العالم يقتضى شرح أسراره (١) .

وهـذه النظرية من هذا العالم الكبير تتفق مع فقـه الدليل القرآنى بأنه لا علم بغير واقع مجزوم به ؛ أى ما يعبر عنه بالعلم الحقيقى ؛ وعليه

---

(١) كتاب « الكون » لالكسندر فون همبولت — تراث الانسانيـة — المجلد الثانى /٢٤٨ وما بعدها .

دليل . ومن ثم يلغى نهائيا احتمال خداع الحواس على التفكر فى البرهان وصولا الى الحقيقة . وهو ما سبق بيانه تفصيلا فى باب البرهان .

وواضح من فكر « همبولت » الذى وضـــع قواعد علم الجغرافيـــا بعد ما جاب العالم عشرات السنين وكان اشـــهر شـــخصية بعد نابليون ــ فى عصره ــ يقرر ويبرز معا الخطأ الفاحش الذى وقع فيه علماء الطبيعة ــ ومنهم انشتين ــ وكأنه يقرأ المستقبل ، عنـــدما قننوا بعض الظواهر الطبيعية وارادوا ان يخضعوا لها اسرار العالم . ولما تبين اخيرا أنهـــا غير صحيحة سقطت من حالق .

وقد يظن البعض ان كل ما قاله أنشتين حتى الآن صحيح . فنرد عليهم بأن كل المعلومات التى أسس عليها أنشتين معادلاته هى معلومات قياسية ، وبالتالى هى أرقام حسابية ومبادىء رياضية ، أى يقينيات ، ومن ثم جاءت المعادلات صحيحة ، لأن المعلومات القياسية ، معلومات للظاهر وليست للأسرار . لذلك وجدنا معادلة الجاذبية صحيحة ولكن مضمون القـــانون اى سره غير صحيح اطلاقا بل وليس له من اساس . لذلك جاءت كل أحكامه خاطئة رغم أن معادلاته صحيحة .

ويقول الخالق العظيم : ((**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**)) الروم ٧ .

لذلك فان القدرة التى خلقت مجموعة النجم القطبى وجعلتها تشـــير الى شمال صفحة السماء هى نفسها القدرة التى تجعل البوصلة تشـــير تماما الى شمال صفحة السماء التى هى أيضـــا شمال الكرة الأرضية ، ومعنى ذلك عدم وجود جاذبية للأرض . وهذا دليل آخر كما سبق أن بينا على أن الجهات الأربع لصفحة السماء وليست لحركة الشمس ذلك بأنه ليس فى ملك الله تعارض لأنه حق ((**وهو الذى خلق السماوات والأرض بالحق**)) الأنعـــام ٧٣ .

الدليــل الســادس :

دليــل النيــازك والشهب .

اولا — يقول العلماء ان الشهب التى تدخل الغلاف الجوى وتسقط على الأرض هى اجزاء النجوم او الكواكب التى تفتت ، وانها تأتى من اغوار السـماء السـحيقة منجذبة بفعـل جاذبية الأرض فتسـقط على الأرض (والشهب التى تدخل الغلاف الهوائى من الفضاء بمعـدل عشرين مليون شهابا كل يوم ، ويتحول الجانب الأكبر من هذه الشهب اثناء احتكاكه بالهواء واحتراقه الى ذرات ترابية صغيرة تتشتت فى الهواء **قبل أن تسقط الى سطح الأرض بفعل الجاذبية . ومن المعروف أن الشهب تبدا سريعة فى سقوطها نحو الأرض عندما تدخل محيطها الغازى** ، فاذا ما تفتتت الى ذرات صغيرة اخذت هذه الذرات تبطىء فى سقوطها بشكل ظاهر . وهذه الذرات هى المعروفة باسم الغبار الكونى ...)(١) .

وواضح أن العلماء يقررون ان سقوط الشهب الآتية من اغوار بعيدة من السماء من نجوم أو كواكب ، انما تأتى الى الأرض نتيجة انجذابها للأرض اى أن الأرض تجذب الشهب الى سطحها بقوة جذبها لهـا .

ومعنى ذلك ببيان واضـح أن قوة جاذبية الأرض تجـذب الشهب من أعماق الفضاء ، أى الأرض تتغلب على جاذبية النجوم الأخرى القريبة من النيازك والشهب كما تتغلب على جاذبية الشمس التى تشـد الأرض اليهـا ؟!!.

وعندئذ نتساءل : اذا كانت جاذبية الأرض تجـذب الشهب ومنها النيازك مثل نيزك سيبريا الذى سقط ؛ فى صحراء سيبريا الجليدية فحفر حفرة مساحتها مائة كيلومترا مربعا ؛ من أعماق السماء اى من ابعاد فلكية هائلة ، فلماذا لم تجذب الشمس هـذه الشهب أو تجذبها النجوم الأخرى القريبة منها ؟!.

---

(١) كتاب « قواعد الجغرافيا العامة » /١٦٠ وما بعدها .

ولأنه لا توجد اجابة علمية طبقا لمفاهيم المعلومات المقول بها للناس ، فان الواقع المجزوم به أن هذه الشهب انما تسقط على الأرض طبقا لناموس آخر تماما . لأن الأرض ليس لها قوة جذب خاصة بها فضلا عن أنه لا يمكن تفسير جذبها لهذه الشهب والنيازك الضخمة من أعماق السماء حسب قانون الجاذبية المقول به .

واذا كان للأرض هذه القوة الهائلة لجذب الشهب والنيازك (لأن عدد الشهب التى تسقط على الأرض يوميا ٢٠ مليون شهاب) ، فلماذا لا تجذب الأرض القمر وهو على بعد أقل من ١/٤ مليون كيلومترا منها (٢٤٨ ألف كيلومترا فقط) ، واذا كانت اجابة العلماء أن للقمر قوة طرد مركزية لأنه يدور فى فلك حول الأرض ، قلنا ان قوة الطرد المركزية هذه لا يمكن أن تقاوم الجاذبية الهائلة للأرض التى تجذب نيزك سيبريا الضخم من أعماق السماء وتجتاز به أو تتعدى به جاذبية النجوم والكواكب قبل الأرض وجاذبية الشمس وتستخلصه من دون العالمين بقوتها !! وان ذلك من الممكن حسابه رياضيا واثبات فساده بالدليل الرياضى الحاسم . فضلا عن أن النيازك والشهب لابد وانها كانت تدور فى فلك وبالتالى لها قوة طرد مركزية كذلك .

وانه لذلك وبالتالى ، يثبت على وجه القطع أن الأرض خلوا من قوة جاذبية خاصة بها . أى ليست مغناطيسا له قطبين ويجذب أى شىء اليه بهذه المثابة .

ثانيا — أما التفسير الصحيح لسقوط الشهب على الأرض ، فهو البيان القرآنى الرائع الذى يشرح حقيقة الشهب ويبين مصادرها ويبين دورها فى الوجود وحكمة سقوطها من السماء الى وجه الأرض .

فيعرفنا الخالق العظيم بأن « **الملأ الأعلى** » من الملائكة يقبعون فى بروج السماء ، وحتى لا يتصنت الشيطان عليهم ، فان الله جل شأنه جعل من الكواكب قلاعا تقصف الشياطين بالشهب اذا خطف أحد منهم خطفة أى استمع أحد الشياطين لشىء مما يقوله الملأ الأعلى ، فيحرقه الشهاب

هاويا به الى الأرض محروقا جزاء تمرده والتصنت على الملأ الأعلى كما سبق بيانه فى مبحث « البروج » .

الدليـــل الســـابع :

دليـــل قـــرآنى .

قال سبحانه جل جلاله : « **الذى جعل الأرض فراشا والسماء بناء** » البقرة ٢٢ .

وقد علمت هيئات ابحاث الفضـــاء الدولية بمناسبة استكشـاف القمر عند محاولة الوصول اليه فى السبعينيات من هذا القرن ، أن السماء مادة لا يمكن للصواريخ ومراكب الفضاء أن تنفذ منها وان لهـــذه السماء أبوابا ينبغى التربص لها والمرور منها فى الذهاب والعودة . وعلى هذا ضبطوا مواعيد خروجهم من السماء ومواعيد عودتهم طبقا لمواعيد استقامة هـــذه الأبواب مع مواعيد وصول الصواريخ الى السماء .

وهذه الحقيقة العلمية الثابتة يحدثنا عنها العلى الكبير فى كتابه العظيم على نبيه الكريم منذ ١٤٠٠ عام فى قوله تعـــالى : « **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون** » .. وقوله جل شأنه : « **وفتحت السماء فكانت ابوابا** » النبـــأ ١٩ .

والله سبحانه خلق السماء بناء ، انما ليمنع الأشعة الكونية التى تتكون من كثير من البروتونات والنيترونات وأنوية الكربون والأكسجين والفوتونات والألكترونات والبوزيترونات والميزونات والميونات واشـــعة ألفـــا وغيرها من الوصول الى الغلاف الجوى حتى لا تهلك الحياة على الأرض .

واذا كانت المباحث العلمية المادية قد أثبتت ذلك على وجه القطع ، فان الله جل شأنه قد أخبرنا بذلك فى قرآنه العظيم منذ ١٤٠٠ هـ فى قوله تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم : « **يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران** » الرحمن .

وشواظ النار والنحاس (سواء كان بمعنى دخان أو غازات تشبه الدخان او رقائق نحاسية) انما هى الأشعة الكونية التى جعل الله سبحانه السماء مانعا لها من الوصول الى الأرض الا بقدر محسوب تمكينا للانسان من الحياة على الأرض ، ومنعا له من ارتياد الفضاء بغير طائل .

واذاً فالله سبحانه هو الذى يمسك السماء وما فى السماء من نجوم وشمس وقمر ان يقع — ولا نقول ينجذب — على الأرض ، لأن السماوات هى سقف الأرض **« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون »**.

وما دامت السماء سقفا ، فينبغى أن تظل مرفوعة **« والسماء رفعها ووضع الميزان »** الرحمن .

ومن هـــذا ، نرى أن الأرض شأنها شـــأن الشمس شأن النجوم وكذلك القمر ، ليس لأى منهما منفردا قـــوة جـــذب أى أن الأرض ليست مغناطيسا وكذلك الشمس والنجوم والقمر .

المبحث الثالث

نسيج الكون

نسيج الكون (الأرض والسماوات السبع وما فيها من نجوم) :

الثابت ماديا أن جميع الأجرام الموجودة الظاهرة لنا فى السماء الدنيا ، مكونة كلها من غاز الأيدروجين الذى هو أخف العناصر ، فذرة الأيدروجين مكونة من نواة واحدة بها بروتون واحد + نيترون واحد ، ويدور حولها اليكترون واحد .

وهذه الذرات كما هو ثابت علميا ، بكل منها شحنة كهربية ، وبين كل ذرة وأخرى مسافة قدرها الخالق العليم تكفى لتماسك الذرات على هذه الأبعاد التى هى داخل المجرة أو بمعنى آخر داخل السماء الدنيا ، فتكون كل ذرة فى مساحة مثل مسطح علبة الكبريت العادية . أما خارج المجرة أى بعد السماء فان كل ذرة تكون وحيدة فى مساحة تماثل مسطح البهو !.

واذاً فالنسيج المكون من ذرات الأيدروجين أكثر كثافة داخل المجرة منه خارجها بقدر المساحة بين الذرات الأيدروجينية .

وهذا النسيج يربطه المجال الكهرومغناطيسى الناتج من وجود الشحنات الكهربية فى كل ذرة من ذراته ، ذلك بأن الثابت أن الجاذبية — كما سبق أن بينا — هى مجال الجذب الناتج من وجود تيارين كهربيين سائرين فى اتجاه واحد فيكون بينهما منطقة جذب مغناطيسى . فأى ذرة ليس فيها قوة مغناطيسية ولكن ذرتين معا ينتج بينهما مجال جذب مغناطيسى. وهكذا بين الذرات جميعا ، الأمر الذى يجعل كل الذرات مشدودة الى بعضها البعض وبالتالى متماسكة كأنها جميعا رتقا واحدا .

ولما خلق الله سبحانه الأرض والسماوات ، فتق هذا النسيج المكون من ذرات الأيدروجين ، بأن فجر وكور جزء منه خلق منه الأرض ، وبعد

ان اتم خلقها وتقدير اقواتها ، خلق الجزء الثانى وهو السماوات وما فيها من نجوم تحقيقا لقوله تعالى : « **أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى ، أفلا يؤمنون** » الأنبياء .

ولما كنا قد سبق وبينـا بعون الله « خلق السـماوات والأرض » فانه يتبين من ذلك أنهما جميعا من عنصر واحد هو الأيدروجين . فالثابت علميا أن الشمس وهى نجم متوسط — مكونة من ٩٩٪ من غاز الأيدروجين والبـاقى — ١٪ — من رماد الهيليوم نتيجة التفاعلات النووية للأيدروجين داخل جوف الشمس .

وكذلك كل النجوم . أما الكواكب التى تحوط الأرض فلابد انها تشبه الأرض ولكن لا تساويها .

أما ما بين النجوم فنسيج من ذرات الأيدروجين . فالكل نسيج واحد ، وان كان منفجر فى النجوم ، ويشف فى باقى المساحات بينها .

لهذا فان الرأى لدينا أن الأرض هى أثقل جرم موجود داخل مجرتنا ومن ثم فان الأرض فى واقع الأمر هى بالنسبة للمجـرة كالنـواة فى الذرة بغض النظر عن موقعهـا .

وانه لذلك وبالتالى فكل شىء موجود فى المجرة انما يدور حول الأرض ولو كان فى أعماق سحيقة وأفلاك دائرية أو بيضاوية . وهذا هو السبب لظاهرة اليوم النجمى وتعاقب الليل والنهار على الأرض والأهلة والمد والجذر على ما سنوضحه بعـد .

وصدق الله العظيم « **وكل فى فلك يسبحون** » يس .

ولم يقل الخالق العظيم أبدا — الذى بين كل شىء فى الكتاب العظيم — أن الأرض تجرى أو أنها تدور فى فلك ، كما خلت السنة النبوية عن القول بحركة ما للأرض ، حتى يكون الكشف عن هذه الحقائق العلمية الرهيبة ، بيانا ساطعا وحجة بالغة على أن القرآن العظيم رسالة الرحمن على عبده خاتم المرسلين ورسول الرحمة للعالمين صلى الله عليـه وسلم . فيكون الدخول فى الاسلام بعونه تعالى أفواجا أفواجا فى جميـع مشارق الأرض ومغاربهـا .

ولأن الله سبحانه يقول ان عرشــه كان على الماء ، وهو الآن تحمله الملائكة ، أى أن « الكون » خلق بدلا من الماء ، أى من عنصر الأيدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء ، فأين ذهب العنصر الثانى وهو الأكســجين وهل يوجد ماء متبقيا حتى الآن فى ملك الله ؟!

نعلم جميعــا أن الثابت أن غاز الأوكســجين نســبته فى جو الأرض حوالى ٢١٪ ، كما انه يوجد « ماء » فى الأرض . وأنه لذلك كانت فرصة الحياة البشرية ماثلة للانسان على الأرض التى استخلف الله ســبحانه وتعالى الانسان فيها من دون ملايين الكواكب فقال ســبحانه وتعالى : **« انى جاعل فى الأرض خليفة »** البقرة فذكر « الأرض » على وجه التخصيص والحصر .

ولما كان الله جــل شأنه ذكر فى الخلق ، أنه خلق الأرض ، بصيغة المفرد ، والسماوات ، بصيغة الجمع ، فان الموجود فى مجرتنا هى الأرض التى نحن عليها لا يزيد عنها شىء ، وان وجدت كواكب أخرى ، فانها تماثل الأرض شكلا ، ولكنها قطعا ليست مثل الأرض موضوعا .

ذلك بأن الله سبحانه ذكر فى كتابه الكريم **« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون »** ، ومن هنا فان كل توسعة ، انما تكون فى بنيان الســماء وقد يكون فى بناء سماوات أخرى كثيرة وهذا ما يفسر وجــود مجرات بالملايين وملايين الملايين ، ولكن الله سبحانه لم يذكر أنه سيخلق أرضا أخرى .

كما أن الله ذكر فى آية محكمة **« وما ارســلناك الا رحمة للعالمين »** وبالتالى فالرسول صلى الله عليه وسلم ، فى الأرض ، رســول من الله للعالمين . ومن ثم فلا يكون ازدواج فى الرسول ولا فى الرسالة . وبالتالى فالرسول صلى الله عليه وسلم رســول واحد فى الأرض ومنها للعالمين . دليل على أنه لا يوجد سوى هذه الأرض فى هذه المجرة وفى اى مجرة أخرى لأن المجرات الأخرى من العالمين .

اذا يتبين من هذا كله أن كمية الأكسجين الموجودة فى الأرض فقط أو

بها وربما فى بعض الكواكب الأخرى ، لا تتناسب مع كمية الأيدروجين الذى تتكون منه المجرة بما فيها الأرض ، وملايين ملايين المجرات الأخرى .

فأين ذهب الماء ، واين ذهب الأوكسجين ؟

يقول رب العالمين فى وصف طوفان نوح عليه السلام . **« وفتحنـــا أبواب الســـماء بماء منهمر »** القمر ١١ ومعنى ذلك أن الماء الذى نزل من من السماء فى طوفان نوح كان آتيا من داخل السماء أو من مكان آخـر من السماوات وأمره الله أن ينفذ الى الأرض وبالتالى فلابد أن يمر من السماء ثم من أبواب السماء حتى يصل الطوفان الى الأرض .

ذلك بأنه لو كان « الماء » منزل من السحا ب، لما أتى ذكر « أبـواب السماء » فى الآية الكريمة . لكن الله الخالق العظيم وصانع الطوفان يبين لنا كيف جاء هذا الطوفان والطريق الذى ســار فية الماء فيقول انه كان يدخل الى الأرض بعد أن فتحنا له أبواب السماء . وأبواب السماء موجودة على بعد أكثر من مائة الف كيلومترا من الأرض ، واذا فالماء قد أتى من على بعد أكثر من هذا ، لأن الماء انما مر فقط من أبواب السماء . فمن أين جاء « الماء » ؟ الله وحده الذى يعلم . وحتى يكون البيان واضحا لنا فقد أخبرنا أنه مر من أبواب السماء ، واذا فهو ليس من السحاب المسخر بين السماء والأرض ، والذى يمدنا بالماء الذى نعيش به ، والذى يوجد فى طبقـــة الغلاف الجوى للأرض التى لا يزيد ارتفاع المزن أى السحاب الثقال فيهـا عن الأرض لأكثر من ٥ خمسة كيلمترات تقريبا .

فاذا سألنا أين ذهب الماء الذى كان تحت عرش الله جل شــأنه ؟ أو أين ذهب الأوكسجين الذى فيه بعد فصل الماء الى عنصريها ؟ نقول ان الخالق العليم يضع كل شىء فى موضعه الذى حددة له ، وملك الله واسع، « والله واسع عليم » ، كما أنه سبحانه اعلم حيث يجعل رسالته ... فاذا ما أراد ماء لاحداث طوفان ساقه الله وفتح له أبواب الســـماء ليدخل الى الأرض ، فاذا أراد منعه قال تعالى جل جلاله **« ويا سماء أقلعى »** هود ٤٤

وان استمرار خلق ذرات الأيدروجين ، وامداد الفضاء بها ، وخلــق

المجرات بملايين الملايين بصفة مستمرة حتى الآن كما تشهد المراصد بذلك، لدليل مادى حاسم وقاطع على أن حجم الماء الذى كان تحت عرش الله جل جلاله انما هو من الضـــخامة بحيث لا يمـــكن للبشر تخيله فوق أنه غيب ، والغيب لا يعلمه الا الله سبحانه . والله جل شأنه خالق كل شيء وهو بكل شيء محيط **« ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء »** البقرة .

المبحـــث الرابع

الظـــــــواهر

اولا — تعاقب الليل والنهار :

بينا من قبل أن « الليل والنهـــار » أثر لشيء أى فعل وليسا فاعل . ومن ثم لا يصلحا دليلا على شيء . انما هما واقع مجزوم به وبالتالى يحتاجا الى دليل . والدليل على الليل والنهار هو الشمس . فبغير الشـــــمس لا يوجد ليل ولا نهار . وانما توجد ظلمة حالكة مستمرة .

لذلك فان الشمس هى الدليل على الليل والنهـــار ، وبالتالى هى الفاعلة لهما .

وما دام أن « الشمس » هى الفاعلة لليل والنهار على الأرض .

فانه لذلك وبالتالى تكون هى التى تسبب تعاقب الليل والنهار .

ولما كان تعاقب الليل والنهار على الأرض بواسطة الشمس لا يكون الا اذا كانت الشمس تدور حول الأرض . وهذا سبق اثباته .

ولما كان الخالق العظيم يقرر صراحة أن الشمس تجرى فى فلك ، كما سبق بيانه .

اذا فالشمس هى التى تدور حول الأرض وتســـــبب بالتالى تعاقب الليل والنهار عليها .

وما دام أن الليل والنهار يتما فى ٢٤ ساعة .

اذا فالشمس تجرى فى فلكها حول الأرض وتتم هـــذا الجرى أى تتم قطع الفلك كله حول الأرض مرة كل ٢٤ ساعة .

ولهذا يقول العلي العظيم **« الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج**

النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى » لقمان ٢٩ .

فكل من الشمس والقمر يجرى فى فلك حول الأرض ، ولا ينبغى للشمس ان تدرك القمر حتى تظل مقابلة له ومن ثم تسبب نور القمر ليلا على الأرض ، لهذا أتى الله سبحانه بالقمر والشمس فى تسخير احد الاثنين معا وفى آية واحدة ، ولعمل واحد هو الليل والنهار .

ثانيا — سبب اختلاف طول الليل والنهار وحدوث الفصول الأربعة :

أثبتنا من قبل أمرين : **الأول** أن الشمس تدور جريا فى فلك حول الأرض مرة كل ٢٤ ساعة ، **الثانى** أن الأرض ثابتة لا تدور حول نفسها ولا تدور حول الشمس ولا أى شىء آخر .

ولما كان ذلك .

ولما كان الليل والنهار مسندين الى الشمس ودورانها فى فلكها حول الأرض .

ولما كانت الفصول الأربعة واقع مجزوم به سببه تعاقب تعامد الشمس مرة على مدار السرطان شمالا ومرة على مدار الجدى جنوبا .

فان تفسير ظاهرة الفصول الأربعة تكون — والأرض ثابتة — نتيجة لصعود فلك الشمس أثناء دورانها حول الأرض لتتعامد على مدار السرطان ثم نزولها بفلكها جنوبا لتتعامد على مدار الجدى .

ولما كان الثابت أن اختلاف الفصول الأربعة نتيجة لهذا .

فانه لذلك وبالتالى يكون صعود الشمس بفلكها شمالا هو السبب فى احداث فصلى الربيع ثم الصيف فى نصف الكرة الأرضية الشمالى مع احداث فصلى الخريف ثم الشتاء فى نصف الكرة الجنوبى فى ذات الوقت ، ونزول الشمس بفلكها لتتعامد على مدار الجدى جنوبا هو السبب فى احداث فصلى الربيع ثم الصيف فى نصف الكرة الأرضية الجنوبى مع احداث فصلى الخريف ثم الشتاء فى نصف الكرة الشمالى فى ذات الوقت .

ولما كان تعامد الشمس صيفا على مدار السرطان شمالا ، وبعد

الشمس عن مدار الجدى جنوبا وعكسه بالنسبة للنصف الجنوبى للأرض ؛ أمر واقع مجزوم به فعلا .

ولما كان الفاعل لهذا التعامد هو الشمس بصعودها شمالا ونزولها جنوبا والأرض ثابتة .

اذا فالشمس هى الدليل على احداث الفصول الأربعة بغير تدخل من الأرض .

ولما كان صعود الشمس بفلكها حول الأرض يؤدى الى تعامد الشمس على مدار السرطان ومن ثم قصر المسافة بين الشمس والأرض شمالا وطول المسافة بين الشمس والأرض جنوبا ، فانه لذلك وبالتالى يكون النهار طويل صيفا شمالا ومن ثم الليل فيه قصير ، وبالعكس الليل طويل فى الجنوب لبعد المسافة بين الشمس والأرض جنوبا ، ومن ثم النهار قصير . ويتبادل نصفا الكرة نفس الحال عندما تتعامد الشمس على مدار الجدى جنوبا .

ومن هذا يثبت بجلاء أن صعود الشمس بفلكها ثم نزولها بفلكها هو السبب فى احداث الفصول الأربعة واختلاف طول الليل والنهار .

وكنتيجة لذلك ايضا .

فان صعود الشمس بفلكها صيفا وتعامدها على مدار السرطان ، يجعل أشعة الشمس أو الفوتونات تزداد كثيرا فى سقوطها على نصف الكرة الأرضية الشمالى ، ولطول المسافة — حينئذ — بين الشمس ونصف الكرة الجنوبى ، فان عدد الفوتونات يقل .

وكنتيجة لزيادة الفوتونات شمالا تزداد الحرارة ويشتد النور فيكون ربيعا ثم صيفا .

وكنتيجة لقلة الفوتونات جنوبا تقل الحرارة ويضعف النور فيكون خريفا ثم شتاء . —

* * *

ومن هنا ، نرى أن ارتفاع الشمس بفلكها ونزولها بفلكها هما الفاعل، وليس ثمة نصيب ولو ضئيل للقول بمحور للأرض وبأنه مائل ؟! وأن ميل

المحور هو السبب فى كل ذلك !! . فاذا علمنا بأن القول بوجود محور الأرض هو مجرد فرض بنى على فرض آخر غير صحيح هو دوران الأرض بمقولة ان تعاقب الليل والنهار المفعول دليل عليه ؛ لعلمنا مدى الفساد التدليلى الذى قال به العلماء فضلا عن أنه بنى على فروض وليس على حقائق .

ويتبين بجلاء من هذا كله مدى الأهمية العلمية البالغة فى معرفة فقه الدليل العلمى وكيفية تطبيقه للوصول الى البرهان والحقيقة العلمية القرآنية .

ثالثا — الأهلة والخسوف والكسوف :

لما كان النص القرآنى : **« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر »** واضح محكم بأن لكل من الشمس والقمر فى فلكه سرعة محسوبة خاصة به وبعمله . فتجعل الشمس دائما متأخرة عن القمر ؛ وهو الأمر الثابت ماديا للعيان ؛ فنحن نرى القمر ليلا ثم نرى الشمس نهارا وقد اختفى القمر أو كاد فى مغربه .

واذا فوجود القمر ليلا أمام نصف الكرة الأول يلزم معه وجود الشمس — فى ذات الوقت — أمام نصف الكرة الثانى . وهذا هو الحادث فعلا على وجه مجزوم به . وبالتالى يسقط ضوء الشمس على القمر ، فيصدر نور القمر على نصف الكرة الأول المقابل له .

ولما كانت الأرض تقع فى هذه الحالة المستمرة ، وبصفة دائمة ، بين الشمس والقمر ، لأن الأرض مركز فلكيهما ، ولتقابل القمر مع الشمس بصفة دائمة خلال الأربع وعشرين ساعة ، كل يوم .

ولما كانت الأهلة منذ بدايتها تبدأ فى الظهور نتيجة خروج القمر من مخروط ظل الأرض شيئا فشيئا الى ضوء الشمس .

ولما كان القمر يبزغ من المشرق ، فان بداية خروج القمر من ظل الأرض الى ضوء الشمس يكون بداية للشهر القمرى أى الهجرى . وبداية دخوله فى مخروط ظل الأرض عليه يكون بداية للنصف الثانى من الشهر القمري . والمدة الواقعة بين نهاية خروج القمر من مخروط ظل الأرض

وبداية دخوله فى مخـــروط ظل الأرض هى التى يظهر القمـــر فيها كامل الاستدارة اى بدرا .

ولهذا عندما يبزغ القمر فى أول الشــــهر يكون شروقه متقدما جدا فيظهر هلال أول الشهر القمرى قبل غروبه بدقائق .

وبالعكس عندما يبدا القمر فى نهاية الشهر القمرى فان شروقه يكون متاخرا جدا فيظهر هلال آخر الشـــــهر القمرى فى المشرق بعد دقائق من غروب الشمس فى المغرب .

أما خسوف القمر فيقع عندما يكون فلكى الشـــمس والقمر على خط مستقيم واحد مع خط اســـتواء الأرض . فيقع ظل الأرض بالتدريج على القمر كدائرة معتمة تحجب اضاءته حتى يختفى ، ثم تنقشع بالتدريج عنـــه حتى يعود منيرا كما كان .

أما كسوف الشمس فيقع عندما يتوسط القمر المســـافة بين الشمس والأرض على خط مســــتقيم واحد ، لتواجد فلكيهما فى هذا الخط مع خط استواء الأرض ، وبالتالى فان القمر يعترض طريق أشـــعة الشمس الى الأرض فتعتم الدنيا وتصير ظلاما تقريبا .

رابعا — المـد والجـزر :

وكلما زادت المساحة من القمر التى تسقط عليها أشـــــعة الشمس (الفوتونات) زاد عدد الالكترونات التى تنبعث من القمر أى زاد نوره ، أى أصبح له قوة متزايدة من الكهرومغناطيسية ، تزداد كلما ازادت مســـاحة الهلال حتى اذا صار القمر بدرا كان فى أوج زيادته . ولما كان القمر قريبا جدا من الأرض (٢٤٨ الف كيلومترا) فان وجود قوة كهرومغناطيسية كبيرة للقمر عندما يكون بدرا مع وجود قوة كهرومغناطيسية للأرض تجعـــل من المســـاحة الواقعة بين القوتين مجالا للجذب ، ومن ثم تتمكن قوة الجذب هذه من جذب مياه البحار والمحيطات فيحدث المد .

وبالعكس كلما اختفى جرم القمر عن ضـــوء الشـــــمس كلما قلت الفوتونات الســـاقطة من الشـــمس على القمر وبالتالى قلت الالكترونات

الســـاقطة من القمر الى الأرض فتقل الكهرمغناطيســـبة وتقل من ثم قوة الجذب بين القمر والأرض الى أن تنعدم باختفاء القمر فى آخر الشهر القمرى وبالتالى يكون ليس ثمة قوة جذب بين القمر والأرض ، فيكون الجزر .

خامسا ــ اليــوم النجمى :

قلنا فى كلامنا عن « البروج » انها مجموعات من النجوم تأخذ أشكالا مختلفة ، وأطلق على كل منها الاسم الذى يماثل ما تأخذه من شكل .

وقلنا ان القمر يسير فى كل برج ليلتين وثلث وأن الشمس تســـير فى كل برج ليلتين ونصف وبضع دقائق .

ومعنى ذلك ان فلك القمر داخل فلك الشمس وفلك الشـــمس داخل فلك البروج ، أى أن البروج تدور فى فلك حول الشمس والقمر والأرض .

ومعنى ذلك أن فلك البروج فلك رهيب الاتســاع . ومن ثم فلا يكون للبروج يوم نجمى بالنسبة للأرض لأن الشمس التى تدور حـــول الأرض فى كل يوم مرة تسير فى كل برج ليلتين ونصـــف وبضـــع دقائق وكذلك القمر ليلتين وثلث .

لذلك فان اليوم النجمى انما يطلق بالنسبة للنجوم القريبة من الأرض مثل النجم القطبى . فيكون دورانه حـــول الأرض من السمت الى السمت ــ كما قاسه العلماء ــ هو ٢٣ ســـــاعة و ٥٦ دقيقة ؛ وهذا اليوم لا يهم سوى الفلكيين لحسابات التقويم .

هذا ، « **ليســـتيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون** » المدثر ٣١ .

وثمة كلمة اخيرة

فان هذا الكتاب « الله والكون » ، ليس الا طريقا آمل ان يكون ممهدا لمزيد من التفكر فى موضوعه ، بالتأمل الحق فى آفاق السماوات والأرض .

وان كان الكتاب قد اشتمل على بيان معنى الدليل والبرهان بعد ان بين حقيقة المعرفة واجهزتها واجهزة الاعلام بها ، فانه دلل على العلم الصحيح ومنهجه وكيفه ومضمونه وغاياته ، ومن ثم عرج على بيان كيف خلق الله السماوات والأرض ثم كيف نظم كون الشهادة (الأرض والقمر والشمس والنجوم) بفقه الدليل العلمى المؤدى الى تحقيق البرهان القرآنى أى الحقائق العلمية فى القرآن العظيم .

الا انه وبغير ادنى ريب ، فان كثرة طرق الموضوع على هدى الحقائق القرآنية وبالمنهج العلمى القرآنى ، ستؤدى باذن الله العلى العظيم الى العثور على ادلة اخرى تزيد البرهان نصوعا وجلالا .

ذلك بانه وان كان التفكر فيما عرضنا له ، قد تم على هذا الهدى الربانى : العلم الصادق الحق والهدى أى يقين الايمان والكتاب المنير أى القرآن العظيم ، فان بحور العلم بلا شطآن ، وكلمات الله لا تنفد واشراقات رب العالمين بلا نهاية ...

وان كنت احب ان اوضح شيئا ، فانما ابين أن معنى الدليل العلمى الذى هو سبب للواقع المجزوم به او المقطوع بحدوثه ، اى السبب والفاعل للواقع او السبب فى وجوده ، ليس بالضبط مثل الدليل فى الأحكام التشريعية التى تكون الآيات القرآنية أو المواد القانونية هى الأدلة على عللها ، اما عللها اى اسبابها الغالبة فتكون فى الغالب الأعم غير ظاهرة فى النص ، وان كانت هى المحققة لحكمة الحكم والدليل عليه ، وغير خاف أن مكانها ليس هذا الكتاب .

اما الدليل فى العلم فهو المحدث للواقع المجزوم به أو السبب الموجد

للموجود ، ومن هنـــا ، اذا سمينا — فى مجال العلم — الدليـــل بأنه علة او سبب ، فكلها مسميات لشيء واحد هو الدليل .

ولأن الدليل العلمى هو المحدث للواقع المتطوع به ، فانه لذلك وبالتالى يلزم أن يكون ظاهرا بينا بل وملموسا للعالمين ، ملموسا لحواسهم .

فاذا كان هـــذا يقينا فينا ، فى وجداننا ، فى صـــدورنا ، فى قلوبنا ، فى افئدتنا ، وفى البابنا ، فاننـــا نفهم اشياء كثيرة فى التطبيق ، نفهم الحق من الباطل ، ونفهم الصواب من الخطأ ، ونفهم الجد من الهزل . فلا يستطيع احد أن يتخذنا هزوا لأننا لسنا قوما فاسقين .

واذا عدنا الى التاريخ السحيق نتلمس فيه مثالا ، وجدنا أن الاسكندر المقدونى وقد استطاع أن يغزو العـــالم القـــديم ويصير اسطورة فى حربه وسلمه ، فاننا اذا تمعنا حياته علمنا أنه كان تلميذا لأرسطو أول من قال : الحقيقة تعرف بأسبابها أى بعللها أى بأدلتها . ومن ثم كان التطبيق العملى للدليل العلمى الصحيح الذى جعل من الاسكندر اسطورة فيحاء .

وبالعكس نجد فرعون مثالا فريدا للباطل فى الدليل والعمل ، حين يقول انا ربكم الأعلى ويبنى على هـــذا الدليـــل كل القهر والبطش والاستبداد والطغيـــان .

واذا عرضنا للحربين العالميتين فى ١٩١٤ — ١٩١٩ و ١٩٣٩ — ١٩٤٥ لوجدنا أن كلا منها وقد استمرت خمس ســـنوات واكلت الأخضر واليابس واودت بحياة الملايين من البشر وحطمت مع ما حطمت القيم الأخلاقية فأخرجت الناس من دثار العفـــة والشرف الى فجـــور العرى والرذيلة ، لوجـــدنا أن الدليل على هذا كله أنها قامت لتحقيق المطامع الاستعمارية وسرقة اموال الشـــعوب واستعبادها ، فبـــاءت بالخيبـــة والخسران على الذى قادها وكل من شارك فيها بنصيب .

وكذلك يقص الحق سبحانه التاريخ الايمانى فى القرآن الكريم مبينا للناس دليل القول السديد والعمل الصالح وتحقيق الفلاح تبعا له .

فتلك قصة يوسف الصديق عليه السلام ، تدور فى مضمار العمــل الاجتماعى بكل حذافيره وابعاد اقطاره على مستوى الأسرة وعلى مستوى الدولة ، فقام اخوة يوسف بالفعل السيء فباءوا بالفشل ، وقام هو بفعل الصالح ، فمكن الله سبحانه له فى الأرض وجعله عزيزا فيها فينجو بمصر واهلها بل وجيرانها من اعظم قحط الم بها فى تاريخها : ((**سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن**)) يوسف ٤٨ .

وهــذا ، بالفرحة كلها والرحمــة كلها ، نور رب العالمين ورحمته للعالمين ، سيدنا رســول الله صلى الله عليــه وسلم ، برهان ربه وبينته على مستوى العالمين ، يجاهد الظلم والشرك والجهل والفقر والقهر والفساد والاستبداد ، فاذا ما اتم عمله ساد أرض العرب نور الايمان ويقين الاسلام فاشتمل باشراقاته أقصى الشرق مع أقصى الغرب وشمالا وجنوبا وما زال يمتد وسيظل حتى يشمل كل شبر على هذه الأرض ((**ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**)) التــوبة ٣٢ و ((**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) التوبة ٣٣ .

ذلك بأنه أوتى من رب العالمين جــل جــلاله الدليل الحق لتحقيق الصالح ، وابلغــه صلى الله عليــه وسلم قرآنا من الله العــلى الحكيم ((**يا أيهــا الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**)) الأحزاب ٧٠ و ((**وقل اعملوا فســيرى الله عملكم ورســوله والمؤمنون**)) التوبة ١٠٥ .

فجعــل سبحانه :

أولا : تقوى الله طاعته وحده وعدم طاعة احــد غــيره سبحانه ، ومن ثم القول السديد أى من منهج قرآنه العظيم ، دليلا على العمل الصالح أى سببا وعلة تنتج العمل الصالح فى الدنيا ، والفوز بمغفرة الله ورضوانه فى الآخــرة .

وثانيــا : العمل بالهدى القرآنى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مؤديا كذلك لصالح الأعمال وتحقيق أشرف الغايات وأعظم الأهداف .

ومن هذا نرى أن القول والفعل لابد وأن يكونا من نهج القرآن الكريم وسنة نبيه الرءوف الرحيم حتى يكون العمل مؤديا الى الخير للعالمين .

ومن هذا المنطلق وحده ، ولا شيء أبدا غيره مهما كان بريقه ، يستقيم الأمر كله ، لأنه بدونه يتفرق أى يتعارض ويتناقض فيذهب الى سبل مختلفة ويضيع هبـاء منثورا ولا يخلف الا النكبات والشـدائد والنكد والضنك ، فيقول رب العالمين : ((**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلـكم وصاكم به لعلكم تتقـون**)) الأنعـام ١٥٣ ، ويقول سبحانه : ((**ومن أعرض عن ذكرى** ـ أى قـرآنى ـ **فان له معيشة ضـنكا ونحشره يوم القيـامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**)) طه ١٢٤ـ١٢٧

ومن ثم كان الدليل الربانى على هـذا الكتاب دليـل الحق الالهى ، **حتى يكون نبراسا يهدى الى الحق والحكمة للذين آمنوا وآتاهم الله العلم** من فضله . هو قوله جل جلاله : ((**ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ، ويهدى الى صراط العزيز الحميد**)) سبأ ٦ .

اهـم المراجـــع

القــــرآن العظيم

جامع البيان عن تأويل القرآن : أبو جعفر محمـــــد بن جرير الطبرى — دار المعـــارف بمصر

تفسير القرآن العظيم : الحافظ بن كثير — دار احياء الكتب العربية (الحلبى)

تفسير الجلالين : جلال المحلى وجلال السيوطى — دار الشعب — القاهرة

التفسير الوسيط : مجمع البحوث الاســلامية بالأزهر الشريف — الأزهــر الشريف

شروح البخارى : للامامين النووى والقسطلانى — ادارة الطباعة بالمنيرة بالقاهرة

المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى : أبو حامد محمد بن محمد الغزالى مكتبة القاهرة بالقاهرة

الله : عباس محمود العقاد — دار الهلال — القاهرة

السيرة النبوية : لابن هشام تحقيق الدكتور محمـــــد فهمى السرجانى — دار التوفيقية بالأزهر

حيـــاة محمـــد : للدكتور محمد حسين هيكل — مكتبة النهضة المصرية

عبقـــرية محمـــد : عباس محمود العقاد — دار الهلال — القاهرة

محمد الرسول البشر : توفيق الحكيم — مكتبة الآداب بالجماميز

أبو حنيفـــة : محمـــد أبو زهرة — دار الفكر العربى — القاهرة

اصول الفقـــه : محمـــد أبو زهرة — دار الفكر العربى — القاهرة

علم أصول الفقـه : عبد الوهاب خلاف ــ المؤلف

خلاصة التشريع الاسلامى : عبد الوهاب خلاف ــ المؤلف

الشفاء ــ البرهان : ابن سينا ــ المطبعة الأميرية بالقاهرة

النجاة ــ الاشارات : ابن سينا ــ مطبعة السعادة ــ القاهرة

المنطق الصورى والرياضى : الدكتور عبد الرحمن بدوى ــ مكتبة النهضـة المصرية بالقاهرة

ابن سينا بين الدين والفلسفة : الدكتور حمودة غرابة ــ مجمع البحـوث الاسـلامية

مختصر احياء علوم الدين : ابو حامد محمد بن محمد الغزالى ــ مكتبة نصير القـاهرة

ابو الحسن الأشعرى : الدكتور حمودة غرابة ــ مجمع البحوث الاسلامية

تراث الانسانية (٣ مجلدات) وزارة الثقافة والارشاد القومى ــ المؤسسة المصرية العامة

المجتمع الاسلامى كما تصوره سورة النساء ــ محمد محمد المدنى ــ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

القرآن الكريم : محمد صبيح ــ مكتبة الانجلو المصرية

تاريخ النظم القانونية والاجتماعية : الدكتور محمد بدر ــ مطبعة جامعـة القـاهرة

المذاهب الفكرية المعاصرة : كلية آداب عين شمس ــ جامعة عين شمس القـاهرة

الجيولوجيـا : الدكتور حسن صادق ــ وزارة المعارف ــ القاهرة

قواعد الجغرافيا العامة : الدكتور مصطفى عامر والدكتور محمد عوض محمد
وزارة المعارف — القاهرة

قصـــة الســـماوات والأرض : الدكتور محمد جمال الدين الفندى والدكتور
محمد يوسف حسن — دار الشعب — القاهرة

ماذا تعرف عن الذرة : الدكتور فتحى سلام والدكتور اســماعيل هزاع —
مكتبة النهضة المصرية

الفيزيقـــا : الدكتور محمد عبد المقصود النادى — وزارة التربية والتعليم —
القـــاهرة

حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : عباس محمود العقاد — دار الهلال —
القـــاهرة

الاسراء والمعـــراج : الدكتور عبد الحليم محمود — دار الكتاب العربى —
القـــاهرة

السيد احمد البدوى : الدكتور عبد الحليم محمود — دار الشعب — القاهرة

الفلسفة الاسلامية : الدكتر احمد فؤاد الاهوانى — المؤسسة المصرية العامة

مقدمة فى الفلسفة العامة : الدكتور حسن الشافعى — جامعة القاهرة

الله يتجلى فى عصر العلم : بعض العلماء الأمريكيين ترجمـــــة الدكتـــور
الدمرداش عبد المجيد سرحان — مؤسسة الحلبى وشركاه

تاريخ الأدب الجاهلى : الدكتور على الجندى — جامعة القاهرة

فى علم اللغة العام : الدكتور عبد الصبور شاهين — مكتبة دار العلوم

قضايا مواقف فى التراث البلاغى : الدكتور عبد الواحـــــد علام — مكتبة
الشـــباب

التعبير البيانى : الدكتور شفيع السيد — مكتبة الشباب

القصص القرآنى : عبد الكريم الخطيب — مكتبة النهضة

The Relegion of Islam. By Maulana Mohamad Ali.

Printed in U.A.R. By National Publication & Printed House.

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الايداع ٨٣/٣١٩٣
الترقيم الدولى ٨ ـــ٦٠٠٠ ـــ ١٠ ـــ ٩٧٧

دار عطـــــــوه للطبـــــــاعة